

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الإشارات البلاغية في وصف الجنة في نونية ابن قيم الجوزية وأثرها في بناء النص

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name: اسم الطالب: محمد صبحي عبد العاطي البحيصي

Signature: التوقيع:

Date: التاريخ: 2015/5/11



الجامعة الإسلامية - غزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

الإشارات البلاغية في وصف الجنة في نونية ابن قيم الجوزية وأثرها في بناء النص

Rehetorical Signals in the Description of Paradise at the Poetic
Structure of Iben qaim Al Jawzias's " Nounia And its
impact on the text Structure

إعداد الطالب
محمد صبحي البحيصي

إشراف الأستاذ الدكتور
محمد شعبان علوان
أستاذ البلاغة والإعجاز القرآني بالجامعة الإسلامية

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في البلاغة العربية

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م



نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ محمد صبحي عبدالعاطي البحصي لنيل درجة الماجستير في كلية الآداب/ قسم اللغة العربية، وموضوعها:

الإشارات البلاغية في وصف الجنة في نونية ابن قيم الجوزية وأثرها في بناء النص

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الاثنين 22 رجب 1436هـ، الموافق 2015/05/11م الساعة الواحدة

والنصف ظهراً بمبنى طيبة، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

..... أ.د. محمد شعبان علوان مشرفاً و رئيساً
..... د. محمد شحادة تيم مناقشاً داخلياً
..... أ.د. نعمان شعبان علوان مناقشاً خارجياً

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في كلية الآداب/قسم اللغة العربية.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا



فؤاد علي العاجز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا

هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[يونس: ٥٨]

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ،

الإهداء

إلى ذي العقل المبدع والمدبّر
وماء المعين المنهمر
أستاذي الذي أفتخر به على مر الزمن
أستاذ البلاغة العربية والإعجاز القرآني
الأستاذ الدكتور/ محمد شعبان علوان "أبو مصعب"

إلى من شمالني بعطفهما وحنانهما ودعائهما...والديّ الكريمان...
إلى صاحبة القلب الكبير... زوجتي الغالية " أم القيم ".....
إلى أبنائي الطيبين... ابن القيم ورواء وتغريد وأحمد...
إلى من هم أكرم منا جميعاً... شهداء فلسطين...
إلى أسرى فلسطين الرابضين خلف القضبان..
إلى جميع إخواني وأصدقائي الأعزاء...

إليهم جميعاً.. أهدي هذه الرسالة..

وفاءً ومحبةً وإخلاصاً..

شكركم

قال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩]

لا يسعني في هذا المقام وبعد أن أنعم الله تبارك وتعالى عليّ بفضلته ومنّه وكرمه باجتياز هذه الرسالة الكريمة، إلا أن أتقدم بالشكر الموصول بفائق الاحترام والتقدير وبالغ الامتنان وجزيل العرفان إلى من أخذ بيدي في سبيل إنجاز هذه الرسالة، وأخصّ بالذكر مشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور / محمد شعبان علوان، الذي صوّب ووجه وتابع وأرشد ونصح لي ليل نهار، فأشكره من قلبي على إخلاصه وحسن ضيافته في بيته الكريم، وإرشاده لي في جميع مراحل هذا البحث، فهو نعم الصديق والوالد المرّبي، فأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعله من أهل الدرجات العلا في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.

كما أتقدم بالشكر الخالص إلى عضوي لجنة المناقشة كل من:

الدكتور الفاضل/ محمد شحادة تيم حفظه الله

الأستاذ الدكتور/ نعمان شعبان علوان حفظه الله

لتفضلهما بقبول مناقشة الرسالة، وتحملّ عناء قراءتها وتدبرها وإثرائها وتعديلها من أجل تقويم ما لم أستدركه في كتابتي وتعزيز ما استقام، فأسأل المولى عز وجل أن ينفعني بملاحظاتهم وتوجيهاتهم السديدة...

كما أحمل الشكر والعرفان إلى كل من أمّني بالعلم والمال والدعاء، وأسدى لي النصح والتوجيه وخاصةً الصديق الفاضل الدكتور/ محمد بكر سلمي، والشهيد الدكتور/ أحمد المصري، والأستاذ/ عبد الله الأعور، والسيد الفاضل/ صابر أبو كرش، والأستاذ/ مصطفى البحصي، والصديق الكريم/ محمد سالم داوود، وعمار عابد، وإلى ذلك الصرح العلمي الشامخ متمثلاً في الجامعة الإسلامية الموقرة، وأخص بالذكر قسم اللغة العربية وعميد الدراسات العليا ورئيس الجامعة الموقر والقائمين عليها، كما أتوجه بجزيل الشكر لمكتبة الجامعة الإسلامية وجميع الإخوة العاملين وعلى رأسهم الأستاذ/ محمد أبو ستة، والأستاذ زياد العويني.

والشكر موصول بفائق التقدير والاحترام لجامعة الأقصى وأعضاء هيئتها التدريسية وخاصةً الأستاذ الدكتور/ عبد الجليل صرصور عميد كلية الآداب، والأستاذ الدكتور حماد أبو شاويش عميد كلية الآداب بجامعة سرت في ليبيا، والصديقين في مكتبة الجامعة مختار العزيزة، ونور الكرد على ما بذلا من جهودٍ مباركة في خدمة هذه الرسالة الكريمة... كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساندني بدعائه الصادق وتمنياته المخلصة.

ملخص الدراسة

فهذه الأطروحة هي دراسةً بلاغيةً تحليليةً وصفيةً لمستويات البلاغة وفنونها في نونية ابن القيم في وصف الجنة، والأداء البياني والبديعي والتصوير الخيالي وتضمنين القيمة الفنية والجمالية للصورة البصرية والسمعية والذهنية وموسيقى النص واللغة، ومن خلال دراستي للقصيدة النونية توصلت لبعض النتائج والتوصيات منها:

أولاً: النتائج:

- لقد مثلت القصيدة النونية المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، نصاً بلاغياً أدبياً في غاية الروعة والجمال، حيث تعددت الإبداعات واللمسات البلاغية وتشكّلت في جميع جوانبها الثلاثة، وذلك في المعاني والبيان والبديع.
- اهتم الباحث بوصف الجمال الحسى والمعنوي لجميع لذات النعيم، من خلال الوصف الدقيق والتحليل والاستنباط لعذوبة اللفظ ورشاقة المعني والتناغم الموسيقي والنظرات الجمالية.
- أظهر البحث جمالية وصف الجنة والإحساس بها، من خلال تقديم لغةٍ راقيةٍ فاقت الفنون والظنون.
- قام هذا البحث على أساس عملية الوصف والذي من خلاله تم تقديم أجمل صورةٍ لذاك المكان الذي لم يطوّه أحدٌ بعد، حيث ظهرت الملامح الخارجية والداخلية المتناغمة لذاك المكان وأهله، وظهرت حقيقة العلاقة بين الإنسان وذاك المكان بألوانه وظلاله ومشاهده من خلال الوصف واللغة الإبداعية المتناثرة في أرجاء النص.
- إن القصيدة النونية قد سارت وفق أداءٍ بلاغي راقٍ وعالٍ جداً ذات مستوى أسلوبى وبياني وأدبي وجمالي مؤثر، وقد عكست القصيدة النونية مدى صدق هذا العالم الرياني وعمق صورة شخصيته العقائدية والفكرية والنفسية والعاطفية

ثانياً- التوصيات: خلصتُ في خاتمة البحث إلى توصيات عدة، منها:

- توصي هذه الدراسة بتعميق البحث البلاغي بجميع مستوياته في نتاج ابن القيم الأدبي والبلاغي والفني والجمالي.
- أنصح طلاب العلم والبلاغة أن يهتموا بدراسات ابن القيم وخاصةً ما أورده في قصائده لوصف الجنة، لأن كل إنسانٍ يسعى جاهداً للوصول لذاك المكان المطهر.

Abstract

This thesis is an analytical, rhetorical and descriptive study of the levels of rhetoric and its arts in "Al Nooniyah" by Imam Ibn Qayyim Al Jawziyyah in describing Paradise. It is also about its rhetorical performance, metaphor, imaginative figuration, artistic value implication of visual, audio and mental image and the tone of the text and language. Through my study, some conclusions and recommendations have been concluded.

Conclusions:

- Al Nooniyah, which is known as Al Khafeyah Al Shageyah, represents literary rhetorical text that is extraordinary tasteful. There are various rhetorical touches that are formed in the three aspects: semantics, rhetoric and metaphor.
- The researcher is concerned about describing the concrete and abstract beauty of all types of blessings through accurate description, analysis and deduction of the charming expressions, the musical harmony and artistic views.
- The study shows the beauty of Paradise and the nature of feeling it through a sophisticated language that surpassed arts and thoughts.
- This study depends on the description process through which the most beautiful image for that place has been presented. The place has not been seen yet. The harmonious and internal features of that place and its inhabitants have been clearly shown; the relation between man and that place with its colors, shades and scenes is also presented through description and creative language.
- Al Nooniyah is rhetorically, artistically and stylistically sophisticated and effective. It reflects how sincere this scholar is and how deep his character is in terms of beliefs, ideas, psychology and emotions.

Recommendations:

- The study recommends to deepen rhetorical research in the artistic, rhetorical, and literary works of Ibn Qayyim Al Jawziyyah.
- Students of rhetoric and science should pay much attention to Ibn Qayyim Al Jawziyyah especially what was narrated by him about paradise description since every man aims at reaching that divine place.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم إنا نعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأصلح لنا شأننا كله لا إله إلا أنت، ونصلي ونسلم على معلم الأمة جمعاء، محمد بن عبد الله ومن اتبع خطاه واهتدى بهداه واقتفى أثره إلى يوم الدين وبعد:

فإنّ للجنة منزلةً عظيمةً في قلوب المسلمين منذ أن بعث الله تعالى رسوله الكريم ﷺ ليكون هادياً ومبشراً لعباد الله الموحدين مما جعلهم يشتاقون إليها ويتمنونها ويشمروا سواعدهم من أجلها، فوصفها لهم فجعلوا ينظرون إليها رأى العين، فموت أحدهم فيقول: كفنوا أخاكم فإنه مات شوقاً إلى الجنة، لذلك ظهرت معنا أهمية دراسة هذه القصيدة لما فيها من جمالٍ لذاك النعيم الأبدي الذي حوله ندندن، فأثرت الوقوف عند عتباتها وجنّباتها مبيّناً ما فيها من همساتٍ وإبداعاتٍ بلاغيةٍ، فأسأل الله العظيم أن أكونَ قد أحسنتُ الاختيارَ سائلاً المولى عز وجل أن يجعلنا من أهل الجنة وأن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه.

أهمية الدراسة:

تكمُن أهمية الدراسة في بعض القضايا التالية:

- ١- أظهرت القصيدة " المشهورة بالنونية الكافية الشافية " معتقدَ مذهب أهل السنّة والجماعة الذين يغارون على دين الله ورسوله ﷺ واستطاعت أن تردّ على جميع الفرق الضالّة والمشكّكة في القضايا العقائدية من نعيم في الجنان ورؤية لوجه العزيز المئان وصحبة مع النبي العدنان ﷺ في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.
- ٢- بيّنت النونية مدى تفاني المؤلف في خدمة الإسلام والدّود عن شرف الدين وحمایته من دنس المتلاعبين وفضح الملل والأمم التي تتستّر بلباس الدين.
- ٣- أبرزت القصيدة أجمل الأساليب والإشارات البلاغية المتناثرة في أرجائها كحبّ جُمانٍ من بدیع وعلمٍ للمعاني وصور البيان.
- ٤- دراسة النونية ووصف الجنة فيها إيقاظٌ للروح ورفعٌ للهمة، والتطلّع نحو الفردوس الأعلى ونيل مرتبة الشرف في رفقة سيد المرسلين عند الحوض والرياض والبساتين، فالله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه.

- ٥- عدم الحصول على أي رسائل سابقة تطرقت للحديث عن وصف الجنة مما شجعني أن أطرق هذا الباب لعله يكون سبباً في إظهار محبتنا لهذا الدين وشحن الهممة نحو الجنة.
- ٦- يرسم هذا البحث صورةً مشرقةً عن صدق علمائنا في دفاعهم عن العقيدة الصافية التي جاء بها النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم.

أسباب اختيار البحث:

- ١- إن الباعث الأول في اختيار هذه القصيدة الرائعة هو التقرب إلى الله تعالى وابتغاء مرضاته ومحبةً لرسوله الكريم محمد ﷺ.
- ٢- الدفاع عن هذا الدين العظيم ونصرة سيد الأولين والآخرين والرد على المضللين المشككين بعقيدة التوحيد.
- ٣- تعلق القلوب بالجنة التي وعدنا الله لعباده المتقين، فقال عز من قائل: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ [مريم: ٦١]، وأيضاً الرغبة في النعيم المقيم الذي أعده الله تعالى لعباده المؤمنين في الجنة، فقال: "أعددت لعبادي الصالحين في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر".
- ٤- يسهم هذا البحث في فهم أي القرآن الحكيم والحديث النبوي الشريف، وخاصة ما ورد في وصف الجنة ونعيمها الذي لا يزول.
- ٥- أظهرت القصيدة أسراراً جماليةً في غاية الروعة والسحر والجمال غير المتناهي، فأثرت الوقوف عندها لتكون سبباً في إثراء مكتباتنا العربية بعلوم البلاغة .
- ٦- عدم وجود دراسات سابقة للحديث عن أي إشارات بلاغية في وصف الجنة في القصيدة النونية.

منهج الدراسة:

اعتمدت في دراستي لهذا البحث المنهج الوصفي التحليلي للقضايا البلاغية المختلفة فيما يتعلق بعلم المعاني والبيان والبديع وأثرها في بناء النص بالإضافة إلى الشروحات الفنية، حيث إنني قمتُ بدراسة القصيدة منتبهاً للإشارات البلاغية وما يتعلق بها من قضايا جمالية محاولاً كشف الستار عن مكنوناتها وأسرارها البلاغية والوقوف عند لطائفها، وقد أردفتُ في خاتمة البحث ملحقاً خاصاً بتوثيق الأبيات المتعلقة بالدراسة بناءً على التوثيق المحقق الذي قدمه فضيلة الدكتور محمد العريفي في شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية والذي يبدأ من صفحة ٢٥٨-٢٩٧ حسب التوثيق المحقق في الكافية الشافية.

الدراسات السابقة:

لم أجد حسب جهدي وإطلاعي أن أحداً من الباحثين تطرّق للدراسة البلاغية في وصف الجنة في نونية ابن قيم الجوزية، وخاصةً أنني اجتهدتُ وسألت الكثير من الإخوة العاملين في مكتباتنا وجامعاتنا في الوطن والخارج، فلم أجد أيّ دراسةٍ بلاغيةٍ للقصيدة النونية، وإنما وجدتُ تحقيقاً لمخطوطاتها وشروحاً لمفرداتها في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، تحقيق وتعليق:

- ١- محمد بن عبد الرحمن العريفي، وناصر بن يحيى الجيني، وعبد الله بن عبد الرحمن الهذيل، وفهد بن علي المساعد، وإشراف بكر بن عبد الله أبو زيد.
- ٢- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن عيسى.
- ٣- شرح القصيدة النونية، د. محمد خليل هراس (١٣٩٥هـ).

خطة البحث:

لقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يتكوّن من أربعة فصول يسبقهم تمهيد وتقفوهم الخاتمة.

المقدمة

التمهيد ويتناول: حياة ابن قيم الجوزية وأثاره وعلمه وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته وإبداعاته. التعريف بالقصيدة.

الفصل الأول

الإشارات البلاغية في علم المعاني

وقد حصرتُ مباحثه في الخبر وأغراضه البلاغية والإنشاء الطلبي وغير الطلبي وموضوعاته المتعددة كالأستفهام وأغراضه البلاغية والأمر وأغراضه البلاغية والنهي وأغراضه البلاغية والنداء وأغراضه، والتقديم والتأخير ودواعيه، والإيجاز بنوعيه الحذف والقصر والإطناب بصوره المتعددة من تفصيل وإجمال وعطف العام على الخاص وعطف الخاص على العام والإيضاح بعد الإبهام والتوشيح والإيغال والاحتراس والتذييل والتكرار وأغراضه البلاغية والاعتراض والمساواة والحذف بأنواعه والفصل والوصل ومواضع كلّ واحد منهما، والقصر باعتبار نوعيه وطرفيه وباعتبار حال المخاطب وتقديم ما حقه التأخير.

الفصل الثاني

الإشارات البلاغية في علم البيان

وقد تناولتُ فيه مصادر التصوير البياني من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والتشبيه باعتبار طرفيه وباعتبار الأفراد والتركيب والتعدد، وباعتبار الأداة وباعتبار وجه الشبه، وأنواعه وأغراضه، والاستعارة وأركانها وأقسامها وباعتبارها مرشحة ومجردة ومطلقة وجامدة ومشنقة، والكناية وأقسامها باعتبار الصفة والموصوف والنسبة والتعريض، والمجاز بنوعيه العقلي وعلاقاته والمرسل وعلاقاته.

الفصل الثالث

الإشارات البلاغية في علم البديع

ويشتمل على المحسنات البديعية المعنوية كالطباق وتقريعاته، والمقابلة واللف والنشر وأسلوب الحكيم واللفظية كالجناس بأنواعه والسجع وتقسيماته ورد العجز على الصدر.

الفصل الرابع

أثر الإشارات البلاغية في بناء النص

وتناولت من خلاله الصورة البصرية في القصيدة النونية وأثرها في بناء النص، وأثر الصورة الذهنية في تشكيل الصورة السمعية. وتم تذييل البحث بخاتمته والتي تضمنت رسداً لأهم نتائج هذه الدراسة وتوصياتها.

وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعل هذه الدراسة سبباً لنا في دخول الجنان ولذة النظر إلى وجه الكريم المنان.

تمهيد

• التعريف بالمؤلف:

هو الإمام الفقيه المفسر النحويّ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز^(١) بن مكّي الزرعي ثمّ الدمشقي الحنبلي^(٢).

• سبب التسمية :

كان أبوه قيماً على المدرسة الجوزية بدمشق ومديراً لشؤونها، فأطلق عليه ابن قيم الجوزية، أي ابن ناظر المدرسة ومديرها^(٣).

• مولده ونشأته:

ولد في السابع من شهر صفر عام ٦٩١ هـ،^(٤) الموافق عام (١٢٩٢م)،^(٥) في قرية زرع من ضواحي دمشق، ونشأ في بيت علم وفضل^(٦)، وتلقّى علومه الأولى عن أبيه المتوفى (٧٢٣هـ)، وكان بحراً زاخراً بألوان العلوم والمعارف حدقاً عالماً بأصول الدين واللغة العربية.

• أساتذته:

تتلمذ على أيدي علماء كبار وفقهاء محدثين من علماء الشام في ذلك الحين أمثال الشيرازي^(٧)،

(١) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، ج ٢/١٩٥.

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، (١٠٨٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٦/١٨٦.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، تح: أحمد بن شعبان بن أحمد، القاهرة، ط ١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص ٨.

(٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، (٨٥٢هـ)، تح: محمد عبد المعيد ضان، دائرة المعارف العثمانية، ج ٢/١٣٧.

(٥) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي الزركلي، (١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط ٢٠٠٢م، ج ٦/٥٦.

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الريان، ط ١٤٢٩هـ، ٣، ٢٠٠٨م، ج ١/٧.

(٧) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو طاهر مجد الدين الشيرازي الفيروز آبادي من أئمة اللغة والأدب، ولد عام (٧٢٩هـ)، انتقل إلى العراق وجمال في مصر والشام ودخل بلاد الروم والهند وكان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، من أشهر كتبه القاموس المحيط وتوفى عام (٨١٧هـ)، وانظر الأعلام للزركلي ج ٧/١٤٦.

وابن مكتوم^(١)، والنايلسي^(٢)، والتقى بشيخ الإسلام ابن تيمية^(٣) عام (٧١٢هـ) وقد لازمه طوال حياته وتلمذ على يديه وتحمل معه أعباء الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله، وترك في نفسه أثراً بالغاً وخاصةً في محاربة المنحرفين عن عقيدة السلف،^(٤) فلازمه في سجنه ولم يُفرج عنه إلا بعد وفاة شيخه سنة (٧٢٨هـ)^(٥).

• تلاميذه:

تلمذ علي يديه فقهاء محدثون وعلماء جهابذة ولغويون عظام أمثال ابن رجب الحنبلي والإمام الحافظ ابن كثير والذهبي وغيرهم.

• منهجه وأخلاقه وعقيدته:

كان جريئاً الجنانٍ واسعَ العلم، عارفاً بالأخلاق ومذاهب السلف، تفقّه في المذهب الحنبلي وأفتى، وغلب عليه حبُّ شيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيءٍ من أقواله،^(٦) وقد اتخذ طريقةً في البحث تخالف ما درج عليه الفقهاء من قبله، فهم يعرضون المسألة ثم يؤيدونها بالدليل، أمّا هو فقد اتخذ النصوص أساساً لبحثه ثم الشروع في الاستنباط منها والإكثار من الأدلة النقلية والعقلية على المسألة الواحدة^(٧).

(١) أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي، أبو محمد تاج الدين، ولد عام (٦٨٢هـ) عالم بالتراجم وله معرفة بالتفسير وفقه الحنفية وله نظم جيد، توفي في مصر عام (٧٤٩هـ)، وانظر الأعلام للزركلي ج١/١٥٣.

(٢) إبراهيم بن إسماعيل النقيب بن إبراهيم برهان الدين المقدسي ولد عام (٧٦٣هـ)، فقيه حنبلي متقنٌ للفرائض وقد سمي بأفضى القضاة وله نظم الأجرومية في النحو، توفي عام (٨٠٣هـ)، وانظر: الأعلام للزركلي ج١/٣٣ وطريق الهجرتين، ص ٨.

(٣) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي إمام الأئمة المجتهد المطلق، ولد عام (٦٦١هـ) وسُجن بقلعة دمشق مرات عديدة ولم يزل بها الى أن مات ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة عام (٧٢٨هـ).

(٤) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني (١٢٥٠هـ)، وضع الحواشي خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ج١/٥٧-٦٣.

(٥) زاد المعاد، ص ١٢.

(٦) الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، تح: أحمد بن محمد آل نبعه، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ص ٧.

(٧) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية، تح: أحمد بن شعبان بن أحمد، القاهرة ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص ١٥.

لقد عرض آراء السابقين واختار ما أيده الدليل وعرض أدلتهم وفنّدها واعتمد على الأصول في استنباط الأحكام دون التعصب لمذهبٍ معيّن، داعياً لمذهب السلف وعقيدتهم مناصراً لهذا المذهب ذاباً عنه بقلمه ولسانه، مبطلاً جميع الشبهات التي جاء بها المخالفون.

وقد أثبت في الاستدلال على وجود الله تعالى فقال: إن الله سبحانه صفات كمالٍ لا تُحصى تزيد عن صفات المعاني وأنها أزلية قائمة بذاته تعالى.

ونادى لمذهب أهل السنّة والجماعة وتحمّس له مثل شيخه ابن تيمية راداً على كل المضللّين والمشكّكين بصحة هذا الدين العظيم.

وقال رحمه الله: " كل ما سوى الله مخلوق له، وهو أثر قدرته ومشيتته، ومن أنكر ذلك لزمه إثبات خالقٍ سوى الله أو القول بوجود مخلوق لا خالق له "

وقد هاجم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والمنحرفين بلهجة قاسية لا رحمة فيها^(١) لأنه لم يرتضِ إلى ما ذهبوا إليه، فكانت الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية نصرَةً لمذهب أهل السنّة والجماعة ورداً على أهل الباطل والأهواء.

• محتته وصبره:

أعتقل مع شيخه ابن تيمية بالقلعة بدمشق بعد أن أهدى وطيف به على جملٍ مضروباً بالدرة، ولم يُفرج عنه إلا بعد وفاة شيخه، وامتنع مرةً أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية، وكان ينال من علماء عصره وينالون منه،^(٢) وإذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار ويقول: "هذه غدوتي لو لم أقدّمها سقطت قواي وبالصبر والفقر يُنال الإمامة في الدين، ولا بد للسالك من همّةٍ تسيره وترقيه وعلم يبصره ويهديه"^(٣).

• وفاته:

ذكر ابن العماد في شذرات الذهب: " توفي ابن قيم الجوزية ليلة الخميس ١٣ رجب عام ٧٥١هـ، ودُفن بمقبرة الباب الصغير بدمشق"^(٤).

• ثناء العلماء عليه:

قال العلامة ابن رجب الحنبلي: " تفقّه في المذهب وبرع وأفتى ولازم شيخ الإسلام وتفقّن في علوم الإسلام، عارفاً بالتفسير لا يجاريه أحدٌ في ذلك، وإليه المنتهى في أصول الدين والحديث

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص ١٨-١٩.

(٢) البدر الطالع، ج ٢/١٣٧.

(٣) الدرر الكامنة، ج ٥/١٣٨.

(٤) شذرات الذهب، ج ٦/١٧٩.

ومعانيه وفقهه ودقائق الاستباط منه، وكان عالماً بعلم السلوك وكلام أهل التصوّف وإشاراتهم ودقائقهم، وله في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى^(١).

" وكان ذا عبادةٍ وتهجدٍ وطول صلاةٍ إلى الغاية القصوى، وتألّهٍ ولهجٍ بالذكر، وشغفٍ بالمحبة والإنابة والاستغفار والافتقار إلى الله والإطراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك ولا رأيتُ أوسع منه علماً ولا أعرفَ بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه"^(٢).

قال الإمام الحافظ ابن كثير: ^(٣) " سمع الحديث واشتغل بالعلم، وكان حسنَ القراءة والخُلق، كثير التودد لا يحسد أحداً ولا يؤذيه ولا يستعيبه، ولا يحقد على أحد وكنْتُ من أصحاب الناس له وأحبّ الناس إليه ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادةً منه"^(٤).

قال القاضي برهان الدين الزرعي^(٥): " ما تحت أديم السماء أوسع علماً منه "^(٦).

• من أهم مؤلفاته:

- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، المسمّاة بالنونية،^(٧) وتتكون من ستة آلاف بيت، وهي مجال الدراسة في هذه الأطروحة.
- الداء والدواء .
- إعلام الموقعين عن رب العالمين.
- الوابل الصيب من الكلم الطيب.
- الروح.
- الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة.
- التبيان في أقسام القرآن.

(١) الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، (٧٩٥هـ)، تح: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م، ج٥ / ١٧١ - ١٧٢.

(٢) المصدر السابق، ج٥ / ١٧٥.

(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي الدمشقي أبو الفداء الحافظ المؤلف الفقيه، ولد عام (٧٠١هـ) له تصانيف كثيرة في التاريخ والتفسير مثل البداية والنهاية في تفسير القرآن العظيم، (تد ٧٧٤ هـ) .

(٤) البداية والنهاية، لابن كثير، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ج١٤ / ٢٧٠.

(٥) محمد بن محمد بن شرف الزرعي الشافعي، ولد عام (٧٧٩هـ)، ألف كتاب جواهر الكلام عن أئمة الأعلام، توفي بدمشق عام (٧٧٩هـ). انظر الأعلام للزركلي ج٧ / ٤١.

(٦) ذيل طبقات الحنابلة، ج٥ / ١٧٤.

(٧) المصدر السابق، ج٥ / ١٧٥.

- إغاثة اللفهان في مصائد الشيطان.
- بدائع الفوائد.
- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين.
- زاد المعاد في هدي خير العباد^(١).
- شفاء العليل.
- عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.

التعريف بالقصيدة:

• عنوان الكتاب ونسبته إلى مؤلفه:

يقول السيوطي في كتابه **بغية الوعاة**: " فإنّ العنوان المشهور لهذا الكتاب هو الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية " ^(٢).

ونسبة هذا الكتاب لابن قيم الجوزية لا مجال للشك فيها، ويكفي ما ذكره المؤلف بنفسه في كتاب **اجتماع الجيوش الإسلامية** عندما رد على أهل الضلالة في مسألة الاستواء فقال: " وقد أشبعنا الكلام على هذه المسألة واستيفاء الاحتجاج لهم وبيان ما في ذلك في كتاب الشافية والكافية في الانتصار للفرقة الناجية " ^(٣).

(١) الوافي بالوفيات، ج ٢/ ١٩٥ - ١٩٦ .

(٢) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ج ١ / ٦٣، وانظر: ذيل طبقات الحنابلة، ج ٥ / ١٧٥، وشذرات الذهب ج ٥ / ٣٣٨.

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م، ج ١ / ١١١، وانظر: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، تح: محمد العريفي، وناصر الحيني، وعبد الله الهذيل، وفهد المساعد، إشراف بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، المجلد الأول، ط ١، ١٤٢٨ هـ، ص ١١.

• مباحث الكافية الشافية " النونية":

هذه المنظومة التي اختارها المؤلف الإمام ابن القيم جاءت على بحر الكامل، وهي من أعظم ما تم تأليفه في بيان عقيدة السلف والاحتجاج لها والرد على المذاهب المنحرفة عن جادة الصواب وهي ما عليه نبينا محمد ﷺ وصحبه الكرام.

وقد بلغت هذه المنظومة زهاء ستة آلاف بيت، شملت معظم أبواب العقائد ووجوه أهل الكلام والرد عليهم بالأدلة والبراهين القاطعة المستقاة من القرآن الكريم والسنة النبوية والعقل الصريح، وقد اتسمت النونية أحياناً بالطابع العلمي من غير جفاف، وأحياناً بفصول الملحمة الشعرية الممتعة والمشوّقة بالإضافة للصور البلاغية المتناثرة في أرجائها.

• خطبة الكتاب:

افتتح ابن القيم النونية الكافية الشافية بخطبة نثرية كشف فيها عن أهمية معرفة الله تعالى ومحبته وطلب الزلفى عنده، وأنه لا سبيل للوصول إلى رضوان الله إلا بمعرفة أسمائه العلى وصفاته الحسنى والإيمان بها، ثم ذكر أنواع القلوب فقال: "هناك قلبٌ معظمٌ لربه ولأوامره ولأسمائه وصفاته، وقلبٌ جاهلٌ بربه منكّرٌ لأسمائه وصفاته ومعتلٌّ لها، عليه ما يستحق من اللعنة والغضب"^(١).

• مقدمة النونية:

استهل الإمام ابن القيم قصيدته بمقدمة غزلية في الظاهر ومطلعها:

حکمُ المحبّةِ ثابتُ الأركان ما للصدود بفسخ ذاك يدان^(٢)

وقد عنى بالمحبة محبة الله تعالى، فهي المحبة الدائمة الثابتة التي لا تزول أركانها ولا يتزعزع بنيانها، ثم انتقل إلى موضوع القصيدة مبيّناً عقائد الجهمية الفاسدة بالتفصيل والاتحادية والحلولية والمعتزلة والأشاعرة والزنادقة والجهمية والقدرية وغيرهم من الفرق الضالة، وأسهب في وصف ركب الإيمان الذين هم عسكر القرآن فقال:

دارُ السلامةِ وجنّةُ المأوى ومنـ زلُّ عسكرِ الإيمانِ والقرآن^(٣)

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ١٢ .

(٢) المصدر السابق، ص ١٩ .

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٠ .

• موضوعات القصيدة:

١- مسألة كلام الله تعالى:

وهي المسألة التي خاض فيها أهل الكلام والفلاسفة والزنادقة والتي نتج عنها فتنة خلق القرآن، وقد استغرقت هذه المسألة أكثر من خمسمائة بيت من القصيدة، واستطاع الناظم أن يردّ على أهل الباطل بأدلة نقلية وعقلية قهرتهم ومرّغت وجوههم في التراب. ثم ذكر مقالات الفلاسفة والقرامطة في هذه المسألة والاتحادية والكلابية والاقترانية وبيّن فساد عقيدتهم ومذاهبهم.

٢- مسألة علو الله تعالى على خلقه:

ثم انتقل ابن القيم إلى بحث مسألة من أهم مسائل العقيدة زلّت فيها أقدامٌ وضلّت فيها أفهام، وأظهر بالدليل النقلي المتواتر من الكتاب والسنة صفة العلو لله تعالى وإثبات هذه الصفة كما أثبتتها مولانا سبحانه وتعالى لنفسه وكما أثبتتها له الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فردّ على الجهمية المعطلة القائلين بأنه ليس على العرش إلهٌ يعبد، ولا فوق السموات إلهٌ يُصلى له ويُسجد، وبيّن فساد قولهم عقلاً ونقلاً ولغةً وفطرةً، وتطرّق لقضية التأويل لدى الفلاسفة والملاحدة وأظهر عجزهم وضعفهم وأنهم أمثال اليهود في تأويل النصوص وتحريفها. وقارن بين المعطلة والخوارج وردّ على مسألة التركيب والتجسيم والتحيز والقلم والعرش والكرسي والسموات والاستواء ورؤية الله في الجنة.

٣- وصف الجنة ونعيمها:

بعدما فرغ الناظم من بيان عقيدة الفرقة الناجية والرد على أعدائها، بيّن فضل من تمسك بالكتاب والسنة لا سيّما في وقت الغربة وفساد الناس وما أعدّه الله تعالى لعبده المؤمن في جنات النعيم.

" فذكر أوصاف الجنات وصفاتها وأبوابها ومفتاح تلك الأبواب وصفوف أهل الجنة وعدد درجاتها، وأول زمرة تدخل الجنة وأعلى أهل الجنة منزلة وطول قامات أهل الجنة وألوانهم وحليهم ولسانهم ورائحة الجنة وأسبق الناس دخولاً إلى الجنة وعدد الجنات وأجناسها وأرض الجنة وحصباءها وتربتها وغرفاتها وخيامها وأرائكها وسررها وأشجارها وظلالها وثمارها وغناء أهل الجنة وأنهار الجنة وطعام أهلها وشرابهم ولباسهم وفرشهم وعرائس الجنات وحسنهن وجمالهن ولذة وصالهن ومهورهن ورؤية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى ونظرهم إلى وجه الله الكريم، وكلام الله لهم ورد السلام عليهم وإحلال رضوانه ويوم الميزان وسوق الجنة، وخلودهم ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم واستحالة موتهم ونومهم وذبح الموت أمامهم" (١).

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ابن قيم الجوزية، تح: زائد بن أحمد النشيري، المجلد الأول، دار عالم الفوائد،

• خاتمة المنظومة:

اختتم الناظم قصيدته بالدعاء والرغبة والتوسل لله بأسمائه الحسنی وصفاته العلام من أجل نصره هذا الدين وعباده المؤمنين.

• أهمية الكافية الشافية وقيمتها في التراث العربي:

قال الحافظ ابن حجر: ^(١) " كل تصانيفه مرغوبٌ فيها بين الطوائف، وهو طويل النفس وله ملكة قوية ولا يزال يدندن حول مفرداتها" ^(٢).

وتظهر أهمية النونية من جوانب متعددة أبرزها:

١- موضوعات الكافية الشافية من أشرف الموضوعات وأهمها، لأنها تبحث في مسائل الاعتقاد والتوحيد وحاجة الإنسان إليها أعظم من حاجته إلى أي شيء آخر.

٢- الاعتماد في التأصيل لمسائل الاعتقاد على القرآن الكريم والسنة النبوية والأدلة العقلية.

٣- تعتبر الكافية الشافية مرجعاً أصيلاً ومهماً لطلاب العلم والعلماء، لأنها شملت جميع مسائل الاعتقاد.

٤- الحديث عن وصف الجنة ونعيمها والتي يسمو إليها كل إنسان موحد بالله.

٥- اهتمام العلماء بشرحها وتدريسها حتى في عصر المؤلف، فيقول ابن رجب: " ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السنة وأشياء من تصانيفه" ^(٣).

٦- حسن الترتيب والتقسيم للأبواب والمسائل التي احتوت عليها القصيدة مما سهل للقارئ الرجوع إلى الموضوعات دون عناء ومشقة ^(٤).

• منهج ابن القيم في الكافية الشافية:

١- الاعتماد الكلي على نصوص الكتاب والسنة.

(١) الإمام الحافظ أحمد بن علي بن محمد الكناي العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين بن حجر من أئمة العلم والتاريخ، وهو صاحب فتح الباري، أصله من عسقلان بفلسطين ولد فيها عام (٧٧٣هـ) وتوفي فيها عام (٨٥٢هـ)، وانظر الأعلام للزركلي، ج ١ / ١٧٨.

(٢) الدرر الكامنة، ج ٥ / ١٣٩.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة، ج ٥ / ١٧٣.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٣٦.

٢- التوسع والشمولية في عرض معتقد أهل السنة والجماعة والاستدلال بالأدلة النقلية والعقلية والبراهين القاطعة، وهذا يظهر مدى المعرفة الكاملة لجميع المذاهب والفرق والملل والنحل وكيفية الرد عليهم في ذلك الزمان.

٣- الأمانة والدقة في نسبة الأقوال والمذاهب إلى أصحابها.

٤- الاهتمام بالأسلوب البلاغي والجمالي في الوصف وخاصة عند الحديث عن الجنة ونعيمها وعرائسها والخرائد الحسان.

قال الشوكاني: ^(١) "وله من حسن التصرف مع العذوبة الزائدة وحسن السياق ما لا يقدر عليه غالب المصنفين، بحيث تعشق الأفهام كلامه وتميل إليه الأذهان وتحبه القلوب" ^(٢).

(١) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ولد عام (١١٣٧هـ)، فقيه مجتهد من كبار علماء الدين من أهل صنعاء، تولى القضاء عام (١٢٢٩هـ)، وله مؤلفات عظيمة منها، نيل الأوطار، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، وقد توفي عام (١٢٥٠هـ)، وانظر الأعلام للزركلي ج ٦ / ٢٩٨.
(٢) البدر الطالع، ج ٢ / ١٣٨.

الفصل الأول الإشارات البلاغية في علم المعاني

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: الخبر

المبحث الثاني: الإنشاء

المبحث الثالث: التقديم والتأخير

المبحث الرابع: الإيجاز والإطناب والمساواة

المبحث الخامس: الوصل والفصل

المبحث السادس: القصر

الفصل الأول الإشارات البلاغية في علم المعاني

تعريف علم المعاني:

قال السكاكي: " علمُ المعاني هو تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره" (١).

وقد عرفه الدكتور عبد القادر حسين: " هو علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال" (٢).

" فأحوال اللفظ هي الأمور التي تُعرض له من التقديم والتأخير والخبر والإنشاء والفصل والوصل، وغير ذلك" (٣).

ومعنى مطابقة الحال: " أن يكون اللفظ مطابقاً لأحوال المخاطب، فقد يكون خالي الذهن عن الموضوع كلياً وقد يكون شاكاً في هذا الموضوع، وقد يكون مُنكراً له تماماً، وكلّ حالةٍ من هذه الأحوال تقتضي طريقةً معيّنةً من التعبير تنطبق على حالة المخاطب" (٤).

ومن خلال التتبع البلاغي لعلم المعاني وتطوره، يظهر هذا الفن بهذه التسمية من خلال نظرية النظم التي وضعها إمام البلاغة وشيخها عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) الذي يقول: " اعلم أنّ النظم أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علمُ النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجَه التي نُهجَت له فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رُسِمَت لك فلا تُخلُ بشيءٍ منها" (٥).

(١) مفتاح العلوم، للإمام محمد بن علي السكاكي (٦٢٦هـ)، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص ١٦١.

(٢) فن البلاغة، د. عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤م، ص ٧٩.

(٣) من بلاغة القرآن، المعاني والبيان والبدیع، د. محمد شعبان علوان، د. نعمان شعبان علوان، ط ٥، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

(٤) فن البلاغة، ص ٧٩.

(٥) دلائل الإعجاز، الإمام الشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، (٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة، ط ٣، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ص ٨١.

المبحث الأول الخبر

لغة: "هو ما أتاك من نياً عن تستخبر، واستخبره سأله عن الخبر، وطلب أن يخبره، والجمع أخبار وأخبار جمع الجمع"^(١).

اصطلاحاً: "هو ما يحتمل الصدق أو الكذب لذاته، أي بقطع النظر عن الذي ينطق بالخبر سواءً أكان مقطوعاً بصدقه أم بكذبه، فالعبرة بالكلام نفسه إذا احتل الصدق والكذب أمكن أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب، ويُسمى خبراً، مثل: المال نعمة، فهذا كلام يحتمل الصدق والكذب، لأن المال ربما كان نعمةً، وربما كان نقمةً، فالقطع بصدق هذا القول أو كذبه أمر يتحقق بعد النظر إلى الواقع الخارجي"^(٢).

وللخبر نسبتان: "نسبة كلامية تُفهم من الخبر، ونسبة خارجية تُفهم من الواقع الخارجي"^(٣) فمطابقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية ثبوتاً ونفيّاً صدق، وعدم المطابقة كذب، فالنسبة التي دلّ عليها الخبر وفُهمت منه تسمى كلامية، والنسبة التي تُعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر تسمى خارجية"^(٤).

الأغراض التي من أجلها يُلقى الخبر:

الأصل في الخبر أن يُلقى لأحد غرضين:

- ١- إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة إذا كان جاهلاً له وبمضمونه ويراد إعلامه أو تعريفه به ويسمى "فائدة الخبر" نحو قولك: "الدين المعاملة".
- ٢- إفادة أن المتكلم عالمٌ بالحكم الذي يعلمه المخاطب، ويسمى "لازم الفائدة" نحو قولك: "إنك لتكظم الغيظ وتحلم عند الغضب"^(٥).

(١) لسان العرب، جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ، ج ٤ / ٢٢٧.

(٢) فن البلاغة، ص ٨٠.

(٣) من بلاغة القرآن، ص ٢٠.

(٤) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ص ٥٥.

(٥) علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٥٢ - ٥٣، وانظر: جواهر البلاغة، ص ٥٦.

بعض الأغراض البلاغية للخبر الواردة في النونية الكافية الشافية:

١ - الاسترحام والاستعطاف: وذلك كقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦].

ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في نونيته الكافية الشافية، مُظهراً استعطافه لربه تبارك وتعالى أن يمنّ عليه بالمغفرة والرضوان والكرامات، فيقول: (١)

فَيَقُولُ رَبِّ أَمَا مَنْنْتَ بِمَغْفِرَةٍ قَدِمًا فَإِنَّكَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ

ويكون الجواب من الكريم المنان:

فَيَجِيبُهِ الرَّحْمَنُ مَغْفِرَتِي الَّتِي قَدْ أَوْصَلْتُكَ إِلَى الْمَحَلِّ الدَّانِي

فيظهر أن العبد في الجنة يستعطف الله تعالى عندما قال: " إنك واسع المغفرة " بعد إيمانه المطلق بأن الله تعالى أهل التقوى وأهل المغفرة، وهو الذي أحلّ عليه تلك المغفرة والرضوان للوصول إلى أعلى المراتب في الجنة بعدما ظن أنه سيهلك من سؤال الله تعالى له، فيخرج الخبر عن كونه خبراً ليفيد معنىً بلاغياً وهو استعطاف العبد لربه عز وجل ليتمّ عليه مغفرته ورضوانه ويحقّه بكنفه، ونلاحظ أن الغرض البلاغي للاسترحام والاستعطاف عمل على تحويل المعنى إلى تجربة إيمانية من شأنها أن تمنح النص وحدةً وتماسكاً، وذلك من خلال الإثارة للعاطفة.

٢ - إظهار التحسر على شيء محبوب:

وذلك كقوله: (٢)

فَلَقَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُ كُلُّ مَسْرَةٍ وَتَبَدَّلَتْ بِأَلْهَمٍ وَالْأَحْزَانِ

وقوله أيضاً:

وَالنَّاسُ قَدْ قَضَوْا مَنَاسِكَهُمْ وَقَدْ حَثُّوا رِكَائِبَهُمْ إِلَى الْأَوْطَانِ

وقوله كذلك:

وَحَدَّتْ بِهِمْ هَمَمٌ لَهُمْ وَعِزَائِمٌ نَحْوُ الْمَنَازِلِ أَوَّلِ الْأَزْمَانِ

ومثله أيضاً: (٣)

رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْرِ أَعْلَامُ الْوَصَا لِ فَشَمَّرُوا يَا خَيْبَةَ الْكِسْلَانِ

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٨.

ففي هذا المشهد تظهر صورة الحسرة والندامة التي حلت على الخاسرين، فهم لم يشمروا من أجل النعيم المقيم الذي ينتظرهم في جنات النعيم، بل كان همهم اتباع الهوى والشيطان وسيرهم خلف شهواتهم وأمانيتهم وعجزهم، فكان الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان، فظهرت حسراتهم وتقطعت قلوبهم أسفاً عليها، فويلٌ للذين كفروا من النار.

٣- الحثُّ على السعي والجد:

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في قصيدته فقال: (١)

هي جنّة طابت وطاب نعيمها فنعيمها باقٍ وليس بفان
وقوله كذلك:

دار السلام وجنة المأوى ومنه زلّ عسكر الإيمان والقرآن
ومنه قوله أيضاً:

وأعفهم في هذه الدنيا هو الـ أقوى هناك لزهده في الفاني

إذا كنت مشتاقاً إلى معرفة أوصاف تلك الدار التي هي مسكن الحور الحسان ومستقر الرحمة والرضوان، وأوصاف منازلها وغرفها صاحبة الجمال والإحسان، فاعلم أنها جنة طيبة لا يلحقها خبثٌ ولا أذىٌ وطاب نعيمها فهو باقٍ لا يبديد ولا يفنى، وهو صافٍ من كل شوبٍ فلا يمازجه كدرٌ ولا يعرض له عطبٌ ولا عفن، وفي هذا المشهد يظهر الخبر البلاغي للحث والسعي والجد للوصول إلى طيب الجنة ونعيمها الدائم، وقد عمل هذا الغرض البلاغي على إبراز الموقف الإيماني وتجميله وإغراء المتلقي به وهذا أيضاً من شأنه أن يوحد أجزاء النص من خلال دفع المعنى في بؤرة التجربة.

٤- الفخر:

وذلك كقوله على ألسنة الحور العين وهنّ يغنين أزواجهنّ بأحلى الكلام، ويفتخرنّ بحسنهنّ وجمالهنّ الذي لا يفنى مدى الأزمان، فيصف ويقول: (٢)

نحنُ النواعمُ والخوالدُ خيرا تّ كاملاتُ الحسنِ والإحسان
وكقوله أيضاً:

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٣.

لسنا نموتُ ولا نخافُ وما لنا
سَخَطٌ ولا ضِغْنٌ من الأضغان
ومنه قوله:

طوبى لمن كُنَّ له وكذلك طو
بى للذي هو حظنا لفظان
ففي هذه الأبيات يظهر الخبرُ البلاغي وهو الافتخار والتباهي من الحور العين وما هنَّ
فيه من النعيم المقيم، فهنَّ يفتخرنَ بغنائهنَّ لأزواجهنَّ بأحسنِ الأصواتِ وخلودهنَّ ونعومتِهِنَّ
ورضاهنَّ، فطوبى لمن كان لهنَّ وكنَّ له، فهنَّ الآماتُ المقيّمات.

٥ - المدح:

ونظيره من القصيدة في قوله: (١)

وهمُ الملوكُ على الأسرةِ فوقها
تيك الرووسِ مرصعُ التيجان
وكقوله أيضاً:

ولباسُهم من سندسٍ خضرٍ ومن
إستبرقٍ نوعانِ معروفان
وفي هذه المقطوعة يخرج الخبر عن كونه خبراً ليفيد معنىً بلاغياً وهو المدح، وذلك من
خلال مدح أهل الجنة بأنهم هم الملوك والتيجان على رؤوسهم، ولباسهم السندس والإستبرق
ووصف جمالهم الظاهر والباطن.

٦ - الوعد:

وذلك كقوله رحمه الله تعالى: (٢)

والحليُّ أصفى لؤلؤٍ وزبرجدٍ
وكذلك أسورةٌ من العقيان
وقوله كذلك: (٣)

التاركين لباسه في هذه الد
نيا لأجل لباسه بجنان
ففي هذا المشهد الرائع من وصفه لأهل الجنة يخبرنا عن لباسهم وحليهم وأساور الذهب
والعقيان، ولكنه أخرج الخبر عن معناه الحقيقي ليعطي معنىً بلاغياً وهو وعد الله تعالى للمؤمنين

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٦.

(٢) المصدر السابق، ٢٧٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٧.

الذين تركوا لباس الذهب والحريير في الدنيا ليجازيهم أحسن ما كانوا يعملون في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، فهذا وعد الله لهم ولن يخلف الله وعده.

٧- الوعيد:

وذلك كقوله في وعيد الله عز وجل للطغاة المتمردين والمتكبرين ووصفه لقلوبهم التي ملئت بالزيف والحرمان:^(١)

هربوا من الرقّ الذي خُلقوا له فبُلو برقّ النفس والشيطان
وقوله أيضاً:^(٢)

والله لو أنّ القلوب سليمة لتقطعت أسفاً من الحرمان
ومنه قوله:

لكنّها سكرى بحبّ حياتها الدّ نيا وسوف تفيقُ بعد زمان
فهو لا يريد أن يخبرنا بأنهم هربوا من المقصد الحقيقي الذي خُلقوا له وهو التكليف الإلهي لهم في العبادة، وأنهم سيفيقون من غفلتهم في وقت الاحتضار، ولكنه أظهر وعيد الله تعالى وغضبه عليهم وأن هذه القلوب بمجرد أن تلقى الله يوم القيامة ستعلم يقيناً أن الله شديد العقاب، فجاء الخبر باللفظ ولكنه متضمنٌ لمعنى الوعيد.

٨- التوبيخ:

ونظير هذا ما أورده الإمام ابن القيم في قصيدته الكافية الشافية، فقال:^(٣)

قد آثروا الدنيا ولذّة عيشها الـ فاني على الجنات والرضوان
وقوله أيضاً:

صحبوا الأماني وابتأوا بحظوظهم ورضوا بكلّ مذآةٍ وهوان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٥٩.

فإنه لا يقصد إخبارنا بأنهم استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير وأنهم اتبعوا أهواءهم، بل أراد معنى التوبيخ لهم بعد أن رضوا بالذل والهوان بدلاً من التمتع في جنان الرحمن، فكان عليهم ما يستحقون من اللعنة والعذاب والخسران المبين.

٩ - التذكير بما بين المراتب من التفاوت: (١)

كقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٥].

ونظير ذلك في قوله رحمه الله تعالى: (٢)

قوتُ النفوسِ وإنما القرآنُ قو ت القلبِ أئى يستوي القوتان

فهو لا يخبرنا عن قوت النفوس والقلوب، ولكنه يبيّن لنا خبراً خرج عن معناه الحقيقي لإفادة معنى بلاغياً جديداً وهو التذكير بما بين المراتب من التفاوت بين قوت الدنيا الفاني وقوت الآخرة الباقي، وأن خير الزاد التقوى لقلب المؤمن، فشتانَ بين الزادين عند الله تعالى، وفي البيت استفهامٌ بمعنى النفي يفيد الاستبعاد، فالحقيقة أنهما لا يستويان عند الله تبارك وتعالى.

أضرب الخبر:

يقول عبد العزيز عتيق: "ينبغي على صاحب الخبر أن يأخذ في اعتباره حالة المخاطب عند إلقاء الخبر، وذلك بأن ينقله إليه في صورة من الكلام ثلاثم هذه الحالة بغير زيادة أو نقصان" (٣)، فيُلقي الخبر بحسب حالات المخاطب:

١ - فإن كان المخاطب خالي الذهن عن الحكم، وليس متردداً فيه ولا منكرًا له، أُلقي إليه الكلام دون تأكيد لأن الكلام يتمكن بسهولة إذا صادف ذهنًا خاليًا ويُسمّى هذا الضرب:

ابتدائياً (٤)، وذلك كقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

(١) البلاغة فنونها وأفنانها، د. فضل عباس، دار الفرقان، إريد، ط٤، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ص ١٠٩.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٤.

(٣) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص ٥٥.

(٤) فن البلاغة، ص ٨٣، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٤، وانظر: علم المعاني، ص ٥٥.

ونظير ذلك في وصف أرض الجنة وترتيبها، فقال: (١)

والأرضُ مرمرةٌ كخالصِ فضةٍ مثلُ المرارةِ تنالها العينان
وقوله:

حصباًؤها درٌّ ويقوتُ كذا كَ لآلئِ نُثرتِ كُنُثرِ جُمان
وقوله أيضاً:

وتربُّها من زعفرانٍ أو من الـ مسكٍ الذي ما استئل من غزلان

فإذا نظرنا إلى هذه المقطوعة نجد أن الخبر ألقى إلى مخاطب خالي الذهن من حكمه، أي مضمونه، لأنه في هذا المشهد يخاطب المؤمنين الموحدين المشتاقين للجنة أصحاب الهمة العالية، الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، ولا يخاطب المعاندين الذين يصدون عن سبيل الله المنكرين للجنة ونعيمها، من أجل ذلك جاء بالخبر خالياً من أدوات التأكيد منسجماً مع حالتهم، ونظير ذلك أيضاً في وصف طعام أهل الجنة: (٢)

وطعامهم ما تشتهيه نفوسهم ولحوم طيرٍ ناعمٍ وسمان
وقوله كذلك:

وفواكه شتى بحسب مناهم يا شبعةً كملت لذي الإيمان
ومنه قوله:

لحمٌ وخمرٌ والنساء وفواكه والطيبُ مع رُوحٍ ومع ربحان
وكقوله أيضاً:

وصحافهم ذهبٌ تطوف عليهم بأكف خدامٍ من الولدان

فإذا نظرنا إلى هذه المقطوعة الرائعة نجد أنه قد ألقى الخبر خالياً من التأكيد مراعيًا حال السامعين وعلمه بأن المؤمن له من النعيم في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأن هذا المؤمن على يقين بأن الله تعالى لن يخلف وعده مع عباده المؤمنين.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٤.

٢- وأحياناً يكون المخاطب شاكاً في الحكم متردداً في قبوله فيحسُن عندئذٍ أن نؤكد له الكلام بمؤكدٍ واحدٍ لنزيل منه الشكَّ، ونمحو التردد لكي يتمكن الخبر من نفسه، ويُسمى هذا الضرب: طلبياً، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠].

ونظير ذلك ما ورد في وصف عرائس الجنات، فقال: (١)

حورٌ حسانٌ قد كملن خلائقاً ومحاسناً من أجمل النسوان

ومثل قوله:

حتى يحار الطرف في الحسن الذي قد ألبست فالطرف كالحيران

ومنه أيضاً: (٢)

أقدامها من فضةٍ قد رُكبت من فوقها ساقان ملتفان

وقوله أيضاً:

لكنهن كواعبٌ ونواهدٌ فنهووهن كأطف الرمان

فإذا أمعنا النظر نجد أن ابن القيم يوجه الخبر المتضمن في الأبيات إلى مخاطب متردد في حكم الخبر، ومضمونه لمن أراد أن يشتاق إلى الجنة وتزداد همته نحوها طالباً وصالها، ولهذا حسن توكيد الكلام له بمؤكدٍ تمكيناً له من نفسه وحسماً للشك في حقيقته (٣).

ويقول الميداني: " جاءت أداة التوكيد والتحقيق " قد " و " لكن " المصاحبة للتوكيد والاستدراك " (٤).

٣- أن يكون المخاطب منكرًا لحكم الخبر الذي سيُلقي إليه، وربما يكون معتقداً عكسه، عندئذٍ ينبغي أن يكون إلقاء الخبر إليه مصحوباً بتأكيدين أو أكثر حسب حالته في الإنكار قوةً وضعفاً.

ويقول السكاكي: " استوجب حكم الخبر ليترجح تأكيداً بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده، ويسمى هذا الضرب: إنكارياً " (٥).

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٢.

(٣) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص ٥٧ .

(٤) البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٦هـ،

١٩٩٦م، ج ١/ ١٩٣.

(٥) مفتاح العلوم للسكاكي، ص ١٧٠-١٧١.

ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: ٥٩].

فجاء بمؤكدَيْن هما " إِنَّ واللام "، لأن المخاطبين هم الكفار الذين ينكرون الساعة.

ونظير ذلك في النونية الشافية في وصفه لمن أثر غناء الدنيا على غناء الجنة، فقال: (١)

إِنَّ اختيارك للسمع النازل الـ أدنى على الأعلى من النقصان
والله إِنَّ سماعهم في القلب والـ إيمان مثل السم في الأبدان
والله ما انفك الذي هو دأبه أبداً من الإشراك بالرحمن

فقد ألقى الخبر بمؤكداته لأناسٍ منكربين حرمة الغناء، ذوي العقائد الفاسدة المؤثرين سماع الأغاني والألحان على سماع كلام الحليم المنان، فظهر النقص في عقولهم وإيمانهم، مبيناً لهم أن الأغاني أشد فتكاً بالقلب من السموم في الأبدان، فأورد " إِنَّ " التوكيدية مع القسم الذي يفيد التوكيد.

وقد قال الجرجاني في إن التوكيدية: " ثم إن الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه البناء هو الذي دون في الكتب من أنها للتأكيد " (٢).

فخاطب أناساً قلوبهم معلقة بالدنيا الفانية التي آثروها على النعيم المقيم مؤكداً لهم زوال هذه الدنيا وأن ما عند الله خير وأبقى ولكنهم أصروا على إشراكهم بالرحمن وكفرهم به .
ونظير ذلك في نعيم الجنة أيضاً: (٣)

فيها الذي والله لا عين رأت كلا ولا سمعت به أذنان
كلا ولم يخطر على قلب امرئ فيكون عنه معبراً بلسان

فقد وجه ابن القيم الخبر في هذه المرة إلى شخصٍ ينكر حكم الخبر ويعتقد فيما يخالفه، فهناك أناسٌ لا يؤمنون بالله ولا بالجنة ولا نعيمها، فألقى لهم بالمؤكدات على حسب إنكارهم قوةً وضعفاً، لما أمعنوا بالكذب وأصروا عليه فزاد في التأكيد، فأكد بالقسم وتكرار لفظ " لا " النافية و " كلا " في أكثر من موضع لإفادة معنى التوكيد.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٣.

(٢) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ٣٢٥.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٣.

ويشير في وصفه لحالهم عند رجوعهم إلى أهلهم ومنازلهم، وزيادة حسنهم وجمالهم بعد جلوسهم ورؤيتهم لوجه الله الكريم، فيقول: (١)

والله لازددتم جمالاً فوق ما كنتم عليه قبل هذا الآن
قالوا وأنتم والذي أنشأكم قد زدتهم حسناً على الإحسان
لكن يحق لنا وقد كنا إذا جلساء ربّ العرش ذي الرضوان

وقد حملت هذه الأبيات معنى التوكيد والتحقيق خاصة أن الميداني استعمل " إن " بمعنى التوكيد والتحقيق (٢)، فهو يؤكد إثبات زيادة الحسن والبهاء والجمال لأهل الجنة وخاصة بعد زيارتهم لربهم في الوادي الأفيح ورجوعهم إلى منازلهم، وقد ألقى بالمؤكدات الظاهرة لدينا كالقسم والتوكيد بـ " قد " في موضعين، لوجود من ينكر الخبر وهو رؤية الله في الجنة وجلوسه مع عباده. وقوله أيضاً: (٣)

فيقول ربّ أما مننت بغفرةٍ قدماً فإنك واسع الغفران

فأورد " أما " المخففة التي تأتي بمعنى حقاً و" إن " المشددة مكسورة الهمزة، وهي من الأحرف المشبهة بالفعل الداخلة على الجملة الاسمية والتي تفيد تأكيد النسبة بين اسمها وخبرها (٤). وقوله في دم القلوب المريضة التي تعلق بحب الدنيا الزائف: (٥)

والله لو أن القلوب سليمةً لتقطعت أسفاً من الحرمان
لكنها سكرى بحب حياتها الدّنيا وسوف تفيق بعد زمان

فأورد " لكن " الناصبة التي يصحب معناها الاستدراك والتوكيد ، و" سوف " الداخلة على الفعل المضارع الدال على الوعد والوعيد (٦)، وما ينتظرهم من العذاب الشديد يوم القيامة.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٣.

(٢) البلاغة العربية للميداني، ص ١٨٧.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٢.

(٤) البلاغة العربية للميداني، ص ١٨٩.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٩.

(٦) البلاغة العربية للميداني، ص ١٩٢ - ١٩٣.

المبحث الثاني الإنشاء

لغة: أنشأه الله: خلقه، ونشأ ينشأ نشوءاً ونشأً ونشأً ونشأً، وأنشأ الله الخلق، أي ابتداء خلقهم، وهو الإيجاد والإبداع والابتداء، وكل من ابتداء شيئاً فقد أنشأه^(١).

وقد سمّاه السكاكي "الطلب" فقال: "والطلب إذا تأملت نوعان: نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول، ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول"^(٢).

وهو عند القزويني ضربان: طلبٌ وغير طلب، والطلب يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل وهو المقصود بالنظر ههنا^(٣).

اصطلاحاً: "هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود نسبة خارجية تطابقه أو لا تطابقه، فالأول الخبر والثاني الإنشاء"^(٤).

الإنشاء في الجملة الإنشائية:

١ - الإنشاء غير الطلبي:

"وهو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب،^(٥) إلا أنه ينشئ أمراً مرغوباً في إنشائه، وهو ما يتحقق فيه وجود معناه في الوقت الذي يتحقق فيه وجود لفظه"^(٦).

وقال الميداني: "وهذا القسم لا يبحث فيه البلاغيون لأنه لا يشتمل على أي دلالات بلاغية وبيانية، ولأن أكثر صيغته هي في أصلها أخبار، اللهم إلا أفعال الرجاء وصيغة القسم"^(٧)، وله أنواعٌ وصيغٌ تدل عليه منها:

الأول: "صيغ المدح والذم كنعم وبئس وحبذا ولاحبذا"^(٨).

كقوله تعالى في المدح: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]، وقوله تعالى في

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ١ / ١٧٠.

(٢) مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٣٠٢.

(٣) الايضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبدیع، للخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٣٥.

(٤) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص ٧٤.

(٥) من بلاغة القرآن، ص ٢٧، وانظر: البلاغة العربية للميداني، ص ٢٢٤.

(٦) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص ٨٠.

(٧) البلاغة العربية للميداني، ص ١٥٠.

(٨) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م،

الذم: ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرَّ مَا بَ جَهَنَّمَ يَصْلُونَهَا فَبِئْسَ الْمِهَاد ﴾ [ص: ٥٥ - ٥٦].

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في ذمه لأهل الباطل والضلالات، فقال: (١)

ولبستم ثوبين ثوبُ الجهلِ والـ — ظلمِ القبيحِ فبئستِ الثوبان

ونظير ذلك ما أورده في مدح أهل السنة والجماعة الذين استطاعوا أن يقهروا أعداء الله بثباتهم على الدين، ووصفه لنعيم المؤمنين ونصرة وجوههم لحظة النظر إلى وجه العزيز الكريم، فقال:

فلهم نعيمٌ عند رؤيته سوى — هذا النعيمِ فحبّذا الأمران (٢)

حيث قام أسلوب المدح والذم بخلق تجربة وإحساسٍ بجمال الجميل وقبح القبيح، والذي بدوره يعمل على ربط أجزاء النص مع بعضه البعض ومنحه الوحدة والتماسك.

الثاني: القسم ، ويكون بأحرفٍ ثلاثة تجر ما بعدها وهي " الواو، الباء، والتاء "

ويكون بالفعل " أقسم " أو ما في معناه مثل " لعمرك ، يميني ، قسمي "

كقوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا ﴾ [الشمس: ١-٢]، ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّقِيقِ ﴾ [الانشقاق: ١٦]، وقوله: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، وقوله: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢].

ويشير ابن القيم إلى هذه الأنواع من القسم بقوله: (٣)

والله لولا رؤيةَ الرحمنِ في الـ — جنات ما طابت لذي العرفان

وفي هذا المشهد يقسم لنا أن الجنة مهما يكن خيرها وتزداد لذتها فإنها لا تساوي شيئاً، ولا يطيب نعيمها دون النظر لوجه الله الكريم، لأنه أعلى النعيم وأجله وأشرفه وأكمله.

وقال أيضاً:

والله ما في هذه الدنيا ألدُّ — من اشتياق العبد للرحمن

(١) شرح القصيدة النونية، د. محمد خليل هراس، (١٣٩٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤١٥هـ، ج ١٧٣/٢.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

ويمدح أهل الجنة وهم في شغلهم يُحبرون ويتمتعون، فقال: (١)

بِالله لا تسأله عن أشغاله تلك الليالي شأنه ذو شأن
أتلوؤه أن صار ذا شغلٍ به لا والذي أعطى بلا حسابان

قال الهراس: " فقد انشغلوا بافتضاض العذارى ولا يُنكر على أهل الجنة شغلهم بأزواجهم وقد تمكنوا من وصالهم بعد طول الغيبة، فإن العاشق الصبّ من أهل الدنيا إذا غاب عن محبوبه في بلاد بعيدة وأصبح يكابد لواعج الفراق ويتجرع مرارة الأشواق وينتظر بفارغ الصبر يوم التلاق، ثم آب إليه ووافاه بعد هذا الغياب الطويل، وصار وصاله في الإمكان بعد ما كان أشبه بالمستحيل، فمن ذا يلومه إذا أقبل على محبوبه يطفئ نار أشواقه بالعناق والتقبيل والانشغال به " (٢).
ونظير القسم بالتاء في قوله: (٣)

تالله ما هذا بفكرٍ وانتظا ر مغيبٍ أو رؤيئةٍ بجنان

فالله وعد أهل الجنة بأنهم لا يمسم فيهما نصب ولا يمسم فيهما لغوب، وأنهم سيرونه لا محالة، وهذه التأويلات السخيفة التي يعمد إليها أهل الضلالة ليروغوا بها عن الحق روغان الثعالب داحضة بإذن الله وأن عقولهم مريضة بداء الإنكار والتعطيل.
الثالث: التعجب: (٤)

وله صيغتان هما: " ما أفعل " كقوله تعالى: ﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَحْرَه ﴾ [عبس: ١٧].

أي أنه لعن الكافر ما أشد كفره، ومعناه التعجب من إفراط كفره وسرعته إليه.

و " أفعل ب " كقوله تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [مريم: ٣٨].

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في وصفه للمؤمنين الذين يتتعمون برؤية وجه الله عز وجل وسماع صوته في الجنة العليا:

فأكرم جنات النعيم وأهلها إخوان صدقٍ أيما إخوان
جيران رب العالمين وحزبه أكرم بهم في صفوة الجيران

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨١ - ٢٨٢.

(٢) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢/ ٣٩٧.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٧.

(٤) من بلاغة القرآن، ص ٢٨، وانظر: معجم المصطلحات البلاغية، ج ١ / ٣٣٣.

فهذا مشهدٌ يستحق التعجب، فأَيُّ نعيمٍ وأيِّ كرامةٍ لأهل الفردوس الأعلى ومقاماتهم ودرجاتهم، فهم جيرانُ ربِّ العالمين المتمتعين بلذة النظر إلى وجهه، وسماع صوته وكلامه، تعالى عما يقولون علواً كبيراً، وأيضاً في تعجبه من ثمار الجنة وبساتينها في المسك الأذفر، فقال: (١)

ما أطيب هاتيك الثمارِ وغرسِها في المسك ذاك الثُّربُ للبستان

فما أطيب هذه الثمار التي غُرست أشجارها في أرض المسك الذي هو تراب الجنة، ثم سُقيت بماءٍ هو أظهُر ماءٍ وأنقاه، وأعذبُ موردٍ للظمئِ الصادي وأحلاه، وهذه الثمار إذا تناولت منها ثمرةً خلق الله مكانها أخرى، فثمارها لا تنقطع أبداً، بل هي متجددة دائماً، وقيمة التعجب أنه يغري المتلقي بجمال الجميل وتنفيره من القبيح، مما يولد إحساساً جميلاً ورائعاً في المتلقي من شأنه أن يوحد أجزاء النص ويدمغها بالتماسك.

٢- الإنشاء الطلبي:

يقول الحافظ جلال الدين السيوطي: "الطلبُ استدعاءٌ غير حاصل، أي طلب حصول غير حاصل وقت الطلب، لأن طلب حصول الحال كالأمر والنهي" (٢)، أو "هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، أو ما يتأخر وجود معناه عن وجود لفظه" (٣).

ويشتمل على خمسة أنواع هي: "الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والتمني ، والنداء" ، وهذه الموضوعات التي تحدث عنها البلاغيون في مبحث الإنشاء، فهي موضع العناية لما فيها من دقائق لطيفة وفوائد جليلة ولأنها تخرج عن الأغراض الحقيقية لتؤدي معاني بلاغية جديدة (٤).

أولاً: الأمر:

لغة: " هو نقيض النهي، يقال أمره يأمره أمراً وإماراً فائتمر أي قَبِل أمره" (٥).

والأمر في اصطلاح البلاغيين: " هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام" (٦).

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٢.

(٢) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، الحافظ جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، وبهامشه حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للشيخ أحمد الدمنهوري، دار الفكر، بيروت، ص ٩٢ .

(٣) فن البلاغة، ص ١١١، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٩، وانظر: علم المعاني، ص ٨٠ .

(٤) فن البلاغة، ص ١١٥ .

(٥) لسان العرب، ابن منظور، ج ٤ / ٢٧ .

(٦) معجم المصطلحات البلاغية، ج ١ / ٣١٣، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٩ .

وعزّفه الحسن المفتي بأنه: " طلب الفعل لا طلب تركه، وترد صيغة الأمر للدعاء إن استعملت لطلب الشيء على سبيل التضرع والالتماس"^(١).

ويقصد عبد العزيز عتيق بالاستعلاء: " أن ينظر الأمر لنفسه على أنه أعلى منزلةً ممن يخاطبه أو يوجه الأمر إليه، سواءً أكان أعلى منزلةً منه في الواقع أم لا "^(٢).

وقد وردت صيغُ الأمرِ في صور متعددة منها:^(٣)

١- فعل الأمر: كقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [فصلت: ٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد: ١٩].

ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في نصيحته لمن أراد أن يجدّ ويشمر من أجل الوصول إلى الجنة، مُخبراً أن الطريقَ إليها لن يطول كثيراً، فما هي إلا لحظات وينتقل الإنسان من الدار الفانية إلى الدار الباقية وما عند الله خيرٌ وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، فيقول:^(٤)

أسرع وحثّ السيرَ جهْدك إنما مسراك هذا ساعةً لزمان

حيث أورد الفعلين " أسرع ، وحثّ " بصيغة الأمر، وكقوله أيضاً:

فاعشق وحثّ بالوصال النفس وابذل مهراً ما دُمتَ ذا إمكان

فقد أورد الأفعال " اعشق، وحثّ، وابذل " وهي جميعها أفعال أمر، ومثله في خطاب رب العالمين للجنة وتكليمه لها، فقال:^(٥)

لما قضى ربُّ العبادِ الغرسَ قاً ل تكلمني فتكلمت ببيان

٢- المصدر النائب عن فعل الأمر: كقوله تعالى: ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [البقرة: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١١].

(١) خلاصة المعاني، للحسن بن الحسين المفتي (١٠٥٩هـ)، تحقيق: عبد القادر حسين، الناشر: العرب، الرياض، ص ٢٤٢ - ٢٤٥.

(٢) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص ٨١.

(٣) من بلاغة القرآن، ص ٣٠.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٨.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٦٨.

وقال الميداني: " فسحقاً: أي بُعداً شديداً، وهو مصدر سَحَقَ، بمعنى بَعُدَ أشدَّ البعد، وقد ناب عن فعل الأمر، والمعنى ابتعدوا ابتعاداً شديداً ".^(١)
ومثل ذلك في قول ابن القيم:^(٢)

شوقاً إليه ولذّة النظر الذي لجلال وجه الربّ ذي السلطان
فإذا تجلّى ربنا تبارك وتعالى لعباده المؤمنين في الجنة نسوا كلّ ما هم فيه من ألوان النعيم
من أجل ما ظفرت به أعينهم من اللذة الكبرى بالنظر إلى وجهه الكريم، والمعنى: اشتاقوا أيها
المؤمنون اشتياقاً لرؤية الله سبحانه وتعالى.
ويقول أيضاً:^(٣)

كَدْحاً وَكَدّاً لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ مَا فِيهِ مِنْ غَمٍّ وَمِنْ أَحْزَانٍ
فإن أهل الدنيا يكدحون ويعملون ولا ينالهم من أعمالهم إلا الخسران المبين في الدنيا
والآخرة، وحياتهم مملّى بالهمّ والأحزان التي لا تُفْتَرُ ولا تخفف عنهم لما هم فيه من الضياع والنتية،
والمعنى: اكدحوا كدحاً فلن يخفف عنكم العذاب يوم القيامة، وستبقون في غمكم وأحزانكم.

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر:

١- الدعاء:

" وهو الطلب على سبيل التضرع، ويكون من خطاب الأدنى لمن هو أعلى منزلةً كدعاء الإنسان
ربه "^(٤)، وذلك كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].
ويظهر معنا في هذا البيت الغرض البلاغي للأمر في قول ابن القيم على سبيل الدعاء والمسألة:^(٥)

يَا رَبِّ غَفراً قَدْ طَغَتْ أَقْلَامُنَا يَا رَبِّ مَعذرةً مِنَ الطغيان

(١) البلاغة العربية للميداني، ص ٢٣٠.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٤) من بلاغة القرآن، ص ٣١.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٢.

فأورد التضرعَ بالطلب وليس بالأمر، فهو يطلب من الله تعالى المغفرةَ والمعذرةَ على ما فرّط به في جنب الله، لذلك خرج الأمر عن كونه أمراً ليعطي معنىً بلاغياً وهو الدعاء والطلب ممن هو أدنى لمن هو أعلى منزلةً.

٢ - النصح والإرشاد: كقوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَوْفَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].
ونظير ذلك في هذه المقطوعة: (١)

نَزّهَ سَمَاعَكَ إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ ذِيٍّ سَاكَ الْغِنَا عَنْ هَذِهِ الْأَحَانِ
وَارْغَبْ بِعَقْلِكَ أَنْ تَبِيعَ الْعَالِي الـ بَاقِيَ بَذَا الْأَدْنَى الَّذِي هُوَ فَانٍ

فيقدم الإمامُ ابن القيم نصيحةً لنا في قمة الروعة لمن أراد أن ينزّه سمعه عن لهو المعازف والأغاني والألحان الفانية لئلا يخسر سماعَ أصواتِ الحور وهنَّ يغنينَ لأزواجهنَّ في الجنة، فخرج الأمرُ في هذين البيتين عن كونه أمراً لإفادة معانٍ بلاغيةٍ جديدة وهي النصح والإرشاد. ويقول أيضاً:

كُنْ مُحْسِنًا فِيمَا اسْتَطَعْتَ فَرِيْمًا تُجْزَى عَنِ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ
وَاعْمَلْ لِحَنَاتِ النِّعَمِ وَطِيبِهَا فَنَعِيمُهَا يَبْقَى وَلَيْسَ بِفَانٍ

فإنه يوجه قلوبنا للإحسان وطاعة الرحمن، والعمل من أجل الجنان الباقية ذات النعيم السرمدي، فإن الجزاء من جنس العمل، وفي هذا المشهد يخرج الأمر عن معناه الحقيقي لمعنى بلاغي وهو النصح والإرشاد.

٣ - التهديد:

وقال ابن قتيبة في هذا الموضوع: " أن يأتِيَ الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد " (٢)، وذلك إذا استعمل في مقام عدم الرضا، كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَسْعَوْا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، فإذا وقع الأمر في مقام عدم الرضا فإنه يُحمل على التهديد، ونظير ذلك في الكافية الشافية: (٣)

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٣.

(٢) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري، (٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١٧٢/١.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٩.

يا عاشق الدنيا تأهب للذي قد ناله العشاق كل زمان

فجاء الأمر بمعنى التهديد والاستعداد لعذاب الله يوم القيامة لمن كان عاشقاً للدنيا ومفرطاً في نصيبه من الآخرة ونعيمها.

٤ - الإباحة: وذلك كقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مَبْنِيًّا بِمَا أَسْلَقْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤].

ويقول القزويني: " وقد تُستعمل صيغة الأمر في غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام كالإباحة، كقولك في مقام الإذن: جالس الحسن أو ابن سيرين "(١).

وقد جاء معنى الإباحة جلياً في هذا المشهد من وصف عرائس الجنات، فقال: (٢)

فاسمع صفات عرائس الجنات ثم اختر لنفسك يا أخا العرفان
حور حسان قد كمن خلائقاً ومحاسناً من أجمل النسوان
وانظر إلى جعل اللذات للعيون وشهوة النفس في القرآن

فهنا لا يأمره بالاختيار من نساء الجنة والهور العين أو النظر إليهن، إنما أخرج الأمر ليحمل في طياته معانٍ جديدة وهي الإباحة في لذة النظر وقضاء الشهوة مع الحور الحسان في كل وقت وحين، فله أن يختار ما يشاء وكيفما يشاء وأينما شاء.

٥ - التشويق:

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في قصيدته، فقال: (٣)

فاسمع إذا أوصافها وصفات ها تيك المنازل ربة الإحسان
وقوله كذلك: (٤)

فاخطب من الرحمن خوداً ثم قد م مهرها ما دمت ذا إمكان
وقوله أيضاً:

فاجمع فؤاك لما هناك وغمض الـ عينين واصبر ساعة لزمان

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٤٧ .

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧٩.

وينتقل بنا إلى غرضٍ بلاغيٍّ جديدٍ وهو التشويق، حيث إنه يرغّبنا لسماع صفات هاتيك الخرد الحسان وجمالهنّ، ويشوّقنا لخطبتنّ لأنهنّ ذواتُ العقّة والأخلاق والطهارة فنخطبُ لأنفسنا واحدةً منهنّ من ربنا الرحمن ثم نقدّم مهرها من الإيمان والتقى ما دما ذوي قدرة وإمكان، فذاك النكاحُ أيسرُ وأخفّ كلفةً من خطبة واحدةٍ من نساء هذا الزمان، وما هذه الدنيا إلا لحظةٌ ثم نكون في الدار الآخرة، فهو يريد أن نُتوّقَ لرؤيتنّ وخطبتنّ والصبرِ من أجل الوصول إليهن.

٦- الوعيد: وذلك كقوله فيمن غفل عن ذكر الله وطاعته: (١)

يا غافلاً عما خلقت له انتبه جدّ الرحيل فاست باليقظان

يظهر معنا في هذا المشهد وعيداً قاسياً لمن غفل عن طاعة الله وذكره، ومعصية رسول الله ﷺ، ويتوعده بالعذاب القاسي بعد رحيله من هذه الدنيا إلى الدار الآخرة، فإن الله تعالى مدّ لهم من العذاب مداً، وقد أخرج الأمر عن كونه أمراً ليفيد معنىً بلاغياً وهو الوعيد.

ومن هنا فإن وظيفة الأمر بأنه يحسن المعنى الشعري ويجمله من خلال دعوته إلى التحلية بالأخلاق الفاضلة والأفعال الحميدة والصفات الخيرة، وهذا بدوره يقوّي بنية النص وتماسكه.

ثانياً: النهي:

لغة: " هو خلاف الأمر، نهاه ينهاه نهياً فانتهى وتناهى أي كفّ" (٢).

وعند ابن الناظم: " هو طلب حصول الانتفاء في الخارج على وجه الاستعلاء، فإن استعمل فيه بالشروط المذكور أفاد الحظر، وإلا أفاد الطلب في ضمن الدعاء أو الالتماس أو الإباحة أو التهديد" (٣).

وقال السيد أحمد الهاشمي: " هو طلبُ الكفِّ عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام" (٤)، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسِدُّوْا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

" ويتفق النهي مع الأمر في أنّ كلّ واحدٍ منهما لا بد فيه من اعتبار الاستعلاء، وأنهما يتعلقان بالغير فلا يمكن أن يكونَ الإنسانُ أمراً لنفسه أو ناهياً لها، ويختلفان في أنّ كلّ واحدٍ منهما

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٥.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج ٣٤٣/١٥.

(٣) المصباح في المعاني والبيان والبدیع، بدر الدين بن مالك بن الناظم، تحقيق: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، القاهرة، ص ٩١.

(٤) جواهر البلاغة، ص ٧٦، وانظر: علم المعاني، ص ٩٠.

مختصٌ بصيغة تخالف الآخر، وأن الأمر دالٌّ على الطلب، والنهي دالٌّ على المنع" (١).

ويقول **عبد القادر حسين**: "والنهي له صيغةٌ واحدة وهي المضارع المقرون بلا الناهية

الجازمة" (٢) كقوله تعالى: ﴿فَلَا تُلْمُوا نَفْسَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهْتُوا وَلَا تَحَزَبُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [العمران: ١٣٩].

ويقول **الميداني**: "يخرج النهي عن معناه الحقيقي للدلالة على معانٍ أخرى كثيرة تظهر من السياق وقرائن الأحوال" (٣).

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النهي:

١- **النصح والإرشاد**: وذلك عندما يكون النهي يحمل بين ثناياه معنىً من معاني النصح والإرشاد. ويقول ابن القيم في الكافية الشافية: (٤)

لا يلهينك منزلٌ لعبت به أيدي البلا مُذ سالفِ الأزمان

وفي هذا المشهد يقول **الهراس**: " فلا يشغلنك عن السير إلى غايتك والجدّ للقاء محبوبتك هذا المنزل الفاني الذي عصفت به ريحُ البلى من قديم الزمان، وهو خلوه من كل ما يسرُّ القلب ويُبهج النفس، بل ليس حشوه إلا الهموم والأحزان" (٥).

وقد خرج النهي في هذا المشهد ليفيد معنى النصح والإرشاد بعدم اللهو والانشغال بما هو فانٍ في الدنيا، وأن ما عند الله خير وأبقى.

ويقول رحمه الله تعالى: (٦)

واحفظ حدودَ الربِّ لا تتعدّها وكذاك لا تجنح إلى النقصان

هذا الذي قد حدّه الرحمنُ في الـ قرآن لا تعدل عن القرآن

(١) معجم المصطلحات البلاغية، ج ٣ / ٣٤٤.

(٢) فن البلاغة، ص ١٢٠، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٣٧.

(٣) البلاغة العربية للميداني، ص ٢٣١، وانظر: علم المعاني، ص ٩١.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٨.

(٥) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢ / ٣٣١.

(٦) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٧.

فيقدم لنا نصيحةً أخرى لحفظ حدود الله وعدم تجاوزها، لأنه من يتعد حدود الله فقد باء بغضبٍ من الله ورسوله، وقد خرج النهي في هذا المشهد عن معناه الحقيقي لإفادة معنىً بلاغياً وهو النصح والإرشاد وعدم الجنوح والميل لما يغضب الله تعالى.

٢- التحذير: ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ وَنَادَيْتُ بِأَسْمَائِكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَانصُرُونِي وَاسْبِرُوا عَلَىٰ آلِيكُمْ لِئَلَّا يَتَّبِعُوا آلِيكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمُ﴾ [يوسف: ٥].

ونظير هذا ما ورد في القصيدة النونية في قوله: (١)

لا ترضَ ما اختاروه هم لنفوسهم فقد ارتضوا بالذلِّ والحرمان

ولأنهم عبادٌ للنفس والشيطان فلا ترضَ أيها العاقل اللبيب أن تسلكَ سبيلَ هؤلاء ولا تختار لنفسك ما اختاروه لأنفسهم من ذلٍّ وحرمان، ومن إثارة الدنيا الفانية ولذة عيشها على الجنات والرضوان، فقد صحبوا حظوظهم وأهواءهم فدمر الله عليهم، فيظهر معنا في هذا البيت أن النهي قد خرج عن معناه الأصلي ليفيد معنى التحذير، وكأن لسان حاله يقول: إياك ثم إياك أن تُبتلى بحظك وشهواتك وأمانيك الزائفة.

٣- التوبيخ: وهو عندما يكون المنهي عنه أمراً لا يشرف الإنسان ولا يليق أن يصدر عنه، نحو

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في قوله: (٢)

لا تؤثِّر الأذى على الأعلى فتُح رَمَ ذا وذا يا ذلةَ الحرمان

فقد جاء النهي ليفيد معنى التوبيخ للذين آثروا الفاني على الباقي واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فحرموا خيري الدنيا والآخرة، فيا لها من ذلة ويا له من هوان.

وقوله فيمن أفسد عقيدته واتبع هواه، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، فقد زاغوا عن دينهم فأزاع الله قلوبهم، وأفسدوا الدين بأهوائهم فأفسد الله قلوبهم وعقيدتهم.

فقال في ذلك المشهد: (٣)

لا تُفسدوا لفظَ الكتابِ فليس فيهِ ه حيلةٌ يا فرقة الروغان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٧.

ويتبين معنا في هذا المشهد أن النهي قد خرج عن معناه الحقيقي ليصيب معنىً جديداً وهو التوبيخ للمفسدين المراوغين ووغان الثعالب، الذين نسوا بأن الله تعالى سيحفظ هذا الدين وأهله إلى يوم يبعثون.

٤- التهديد :

وذلك عندما يقصد المتكلم أن يخوف مَنْ هو دونه قدراً ومنزلةً عاقبة القيام بفعل لا يرضى عنه المتكلم، كأن تقول لمن هو دونك " لا تقلع عن عنادك" أو " لا تكف عن أذى غيرك" (١). ونظيره في قوله: (٢)

لا تؤثر الأدنى على الأعلى فإن تفعل رجعت بذاتة وهوان
فيظهر معنى التهديد من الله تعالى والتخويف من غضبه وعذابه لمن اشترى الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة، فقد باؤوا بالذلة والهوان.

٥- الالتماس: كقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا بَنِيَّ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِرَأْسِي وَلَا بَرَأْسِي ﴾ [طه: ٩٤].

وذلك كقوله رحمه الله تعالى: (٣)

بالله لا تسأله عن أشغاله تلك الليالي شأنه ذو شان
قال الهراس: " لا يُنكر على أهل الجنة شغلهم بأزواجهم وقد تمكنوا من وصالهم، فإن العاشق الصبّ الولهان من أهل الدنيا إذا غاب عن محبوبه في بلاد بعيدة وأصبح يكابد لواعج الفراق ويتجرع مرارة الأشواق وينتظر بفارغ الصبر يوم التلاق ثم آب إليه ووافاه بعد هذا الغياب الطويل وصار وصاله في الإمكان بعد ما كان أشبه بالمستحيل، فمن ذا يلومه إذا أقبل على محبوبه يطفى نار أشواقه بالعناق والتقبيل" (٤).

ويظهر معنا في هذا البيت النهي الذي خرج عن معناه الحقيقي لإفادة معنىً بلاغي وهو الالتماس، لأنه يخاطب من هو مثله مرتبة في الجنة.

(١) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص ٩٥.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨١.

(٤) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢ / ٣٩٧.

٦- الحث والجد: وذلك كقوله: (١)

ولقد وصفتُ طريقَ مسكنِها فإن رُمتَ الوصالَ فلا تكن متواني

ويخرج النهي في قوله " فلا تكن متواني " لإفادة معنى الحث والسعي لرفع الهمة نحو القمة، فمن أراد الفردوس الأعلى لابد له من التشمير لها، لأن سلعة الله غالية.

وتكمن قيمة النهي في تمتين بناء النص من خلال تصحيح المعنى بنفي العوارض المانعة والنهي عن الأفعال والصفات السيئة التي يلفظها الذوق والحس السليم.

ثالثاً: الاستفهام :

لغة: طلب الفهم ومعرفة الشيء وفهمت الشيء عقلته وعرفته وتفهم الكلام فهمه شيئاً بعد شيء وأفهمه الأمر أفهمه إياه وفهمه تفهيماً (٢).

اصطلاحاً: قال ابن الناظم: " هو طلب ما في الخارج أن يحصل في الذهن من تصور أو تصديق موجب أو منفي " (٣).

ويقول عبد القادر حسين: " هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة مخصوصة " (٤).

وقال الميداني: " وللاستفهام طائفة من الأدوات تقع في ثلاثة أقسام " (٥).

الأول: ما يُستفهم به عن التصوّر والتصديق ويكون بهمزة الاستفهام فقط، كقوله تعالى: ﴿الرَّبَّابُ مُتَرَفِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

"وأما التصديق فهو إدراك النسبة الحكمية، سواء كانت موجبة أو سالبة" (٦)، وتكون الإجابة بنعم أو لا ، وتأتي الأداة " هل " ويمتنع مجيء " أم " المعادلة بعدها لأنه يؤدي إلى التناقض ولأن "هل" تفيد أن السائل جاهل بالحكم و" أم " تفيد أنه عالم بالحكم " (٧).

ويُقصد بالتصور: هو طلب تعيين المفرد، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٨.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٢ / ٤٥٩.

(٣) المصباح في المعاني والبيان والبدیع، ابن الناظم، ص ٨٣ .

(٤) فن البلاغة، ص ١٢٢ .

(٥) البلاغة العربية للميداني، ص ٢٥٨ .

(٦) المصدر السابق، ص ٢٥٩ .

(٧) من بلاغة القرآن، ص ٤٢.

أما التصديق: "فهو طلب تعيين النسبة أو الحكم، وتكون الإجابة عليه بنعم أو لا" (١).

ومثل ذلك في وصف ابن القيم للإنسان في الجنة لحظة لقائه المشوق لمحبيبته، وجمالها الذي فاق جمال كل شيء، فنصيفها على رأسها أفضل من الدنيا وما فيها، فكان القمر يلتقي قمراً آخر أشد منه روعةً وجمالاً وسحراً، فقال رحمه الله: (٢)

حتى إذا ما واجهته تقابلا رأيتَ قَطَّ تقابلَ القمران

ويصف لحظة اقتراب هذا الإنسان من محبوبته، وضمه لها بعد طول غياب وفراق، والتقاء الأرواح والأجساد، ويتساءل عندما تظهر هذه الحوراء في أبهى حللها وهي مختالة متشبية في مشيتها متباهية في جمالها، كأنها البدر ليلة التمام في غسق الدجى، فيقول:

فيضمها وتضمه رأيتَ مع شوقين بعد البعد يلتقيان

أترهما ضجرين من ذا العيش لا حياة ربك ما هما ضجران

الثاني: ما يُستفهم به عن التصديق فقط وهو لفظ " هل " .

ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩].

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في مشهد محاضرة الله تعالى لأحبابه وأوليائه، وتذكيره لهم بذنوبهم ومعاصيهم التي اقتترفوها في الدنيا، وإقرارهم بتلك المعاصي، ومغفرته التي حفتهم، وإحلال رضوانه عليهم بعد ذلك، فقال: (٣)

ويحاضرُ الرحمنُ واحدَهُمَ مَا ضرة الحبيبِ يقول يا ابنَ فلان

هل تذكر اليوم الذي قد كنتَ فيه —ه مبارزاً بالذنب والعصيان

ويتساءل إن كان أهل الجنة بإمكانهم أن يصبروا عن أزواجهم ومحبيباتهم دون التمتع بهن وعناقهن وتقبيلهن، فإن أعراسهم في الجنة متصلةً ومستمرة لا تنقطع أبداً، فهم في شغلٍ فاكهون، فيقول: (٤)

فسل المتيم هل يحلُّ الصبرُ عن ضمِّ وتقبيلٍ وعن فلتان

(١) من بلاغة القرآن، ص ٤١.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٩٢.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨٤.

ويعلم أن الإنسان لا يستطيع أن يصبر على فراق محبوبه في الجنة.

الثالث: ما يُستفهم به عن التصور فقط، وهي سائر أدوات الاستفهام : " ما - مَنْ - أي - كم - كيف - أين - أنى - متى - أيان "

• (ما - ماذا) ويستفهم بهما عن غير العاقل، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ [الطارق: ١-٢].

ونظير ذلك ما ذكره ابن القيم في الكافية الشافية، فقال: (١)

قد أفلح العبد الذي هو مؤمنٌ ماذا ادّخرت له من الإحسان
فهو يستفهم عن عمل الإنسان الذي قدمه في الدنيا ليكون له ذخراً عند الله يوم القيامة.
وقوله أيضاً: (٢)

ولسوف تعلم حين ينكشف الغطا ماذا أضعت وكنت ذا إمكان
ثم يحذر الإنسان المقصر في حق الله وفي حق نفسه على أنه سيندم ندماً شديداً عندما
يتكشف له الغطاء يوم القيامة، وكان بإمكانه أن يكون من المتقين ولكنه لا يريد، ففرط في جنب
الله فكان من الساخرين الخاسرين.
ويقول في وصف فرش الجنة وبطائنها: (٣)

والفرش من استبرقٍ قد بطنت ما ظنكم بظهارة لبطنان
أما أداة الاستفهام (مَنْ) فإنه يُطلب بها تعيين أحد العقلاء، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].
ونظير ذلك في قوله: (٤)

ورأيت أكثر من ترى متخلفاً فتبعتهم ورضيت بالحرمان
أما أداة الاستفهام (متى) فإنه يطلب بها تعيين الزمان سواءً أكان ماضياً أم مستقبلاً.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٦.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨٥.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [السجدة: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأنبياء: ٣٨]، ويورد ابن القيم في قصيدته:

حتّى متى هذا الرقاد وقد سرى وفدُ المحبّة مع أولي الإحسان^(١)

فالناس قد حنّوا ركائبهم للوصول إلى الجنات وما زال هناك أناسٌ يرقدون في سكراتهم يعمهون، فالى متى سيبقى هذا الانسان غافلاً عما خُلق له ويشمر عن ساعديه للوصول إلى جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

* أما الأداة (أين) فإنه يطلب بها تعيين المكان، كقوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [التكوير: ٢٦].

ونظير ذلك في الكافية الشافية، قول ابن القيم رحمه الله تعالى: (٢)

وسل المتيمّ أين خلف صبره في أيّ وادٍ أم بأيّ مكان

فاسأله أين خلف صبره في أيّ مكان، ثم كيف عيشته الهانئة الراضية وقد اتكأ هو وعروسه على فرشيها منفردين يتناجيان بأعذب الألحان وينثران الدرّ من أفواههما كأنه عقود جمان.

* و(كيف) يُطلب بها تعيين الحال، كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ [آق: ٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٦].

ونظير هذا الاستفهام قوله رحمه الله:

وسل المتيمّ كيف عيشته إذاً وهما على فرشيها خلوان

وسل المتيمّ كيف حالته وقد مُنّبت له الأذنان والعينان

وسل المتيمّ كيف مجلسه مع الـ محبوب في روح وفي ريحان

فهم يتساقطون عن فراشهم كحبات اللؤلؤ والدرّ المنثور، وحياتهم في فرح وحبور وروح وريحان وجنة نعيم، وتدور عليهم كاسات الخمر والريحق المختوم بأيدي الولدان المخلدون، فيتتعمون في عيشتهم نعيماً لا يعلم به إلا الله تعالى.

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢/٢٢٥، باب في تيسير السير إلى الله على المثبتين الموحدين.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٤.

* أما أداة الاستفهام (كم) فُيطلب بها تعيين العدد، كقوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْبُونَ﴾ [الدخان: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢].

ومثل هذا في القصيدة النونية: (١)

هَذَا وَكَمْ زَرْبِيَّةٍ وَنَمَارِقٍ وَوَسَائِدٍ صُفَّتْ بِهَا حَسْبَانِ

فقد استخدم أداة الكثرة " كم " في هذا المشهد للدلالة على عظمة وكثرة تلك الوسائد والزرايبي والبسط والنمارق المعدة لأهل الجنة في الدرجات العلا، ففيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* و(أي) يطلب بها تعيين أحد المتشاركين في شيء يعمهما، كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيْكُمُ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

وذلك كما في قوله رحمه الله تعالى:

وَسَلِّ الْمَتِيْمَ أَيْنَ خَلْفَ صَبْرِهِ فِي أَيِّ وَادٍ أُمُّ بِأَيِّ مَكَانِ

فهو يستفهم عن تعيين أحد المكانين الواردين في المشهد.

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام:

وتخرج ألفاظ الاستفهام عن أصل وضعها فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به لأغراض بلاغية تستفاد من سياق الحديث ودلالة الكلام، أهمها:

١ - التقرير: " وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بصورة من صور الاستفهام " (٢).

ونظير ذلك ما ورد في هذا المشهد الرائع: (٣)

فَيَقُولُ جَلَّ جَلَّاهُ هَلْ أَنْتُمْ رَاضُونَ قَالُوا نَحْنُ ذُو رَضْوَانِ

فقد خرج الاستفهام في هذا المشهد عن معناه الأصلي لإفادة معنى مجازي وهو التقرير، فالله تعالى يعلم أنهم راضون، ولكنه يريد أن يقرهم بذلك النعيم والرضوان لإتمام النعمة عليهم.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٧.

(٢) من بلاغة القرآن، ص ٤٥.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٠.

ويقول **عبد القاهر الجرجاني**: "واعلم أن هذا الذي ذكرت لك في" الهمزة وهي للاستفهام "قائمٌ فيها إذا هي كانت للتقرير، فإذا قلت: "أنت فعلت ذلك؟" كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل" (١).

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِاللَّيْلِ يَا إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٢].

فهم يريدون أن يقرّ لهم بأن كسر الأصنام قد كان، ولكن أن يقرّ بأنه منه كان، وقد أشاروا إلى الفعل في قولهم: "أنت فعلت هذا؟"، وقال هو عليه الصلاة والسلام في الجواب: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب: "فعلت أو لم أفعل"، ويقول أيضاً: "واعلم أن الهمزة تقريرٌ بفعل قد كان، وإنكارٌ له لم كان، وتوبيخٌ لفاعله عليه" (٢).

ونظيره في مشهدٍ جديدٍ أيضاً: (٣)

أفما تصدّق أن أعمال العباد د تحطّ يوم العرض في الميزان

فقد جاء بالاستفهام الذي أفاد التقرير لما ذكره من أن أعمال العباد تُعرض يوم القيامة على الله تعالى ويوزنها في الميزان، فمنها ما يتقلّ ومنها ما يخفّ، وأن هناك أناساً ستوزن أعمالهم في ميزان الله فلا تساوى عند الله جناح بعوضة، كلٌّ حسب عمله، لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنْى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ويقول ابن القيم في القصيدة الشافية: (٤)

أو ما علمت بأنه سبحانه حقاً يكألم حزبه بجنان

فهنا أيضاً يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي ليدخل في سياقٍ بلاغي وهو إقرار العبد بتكليم الله تعالى لعباده يوم القيامة، وعدم إنكاره لهذه الرؤية يقيناً لا ظناً، وأنّ الذين يرونه فقط هم أوليأوه الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون، والله تعالى يخرج على عباده المؤمنين وينظر إليهم ويكلّمهم ويناجيهم، وليس بينهم وبينه ترجمانٌ ولا حجاب.

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ١١٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٤.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩٠.

ويبين ابن القيم في هذا المشهد آخر أهل الجنة دخولاً وما له من الكرامات والنعيم المقيم، فيقول: (١)

أَوْ مَا سَمِعَتْ بَأْنَ آخِرِ أَهْلِهَا يعطيه ربُّ العرشِ ذو الغفران
أضعافُ دُنْيَانَا جَمِيعاً عَشْرُ أَمْ ثَالِ لَهَا سَبْحَانِ ذِي الإِحْسَانِ

ففي هذا المقطع لا يسأل عما إذا سمع الإنسان بآخر أهل الجنة دخولاً أم لا، بل أفاد الاستفهام غرضاً مجازياً وهو الإقرار بما وعد الله عباده المؤمنين بأن أقلهم منزلة في الجنة له عشر أمثال الدنيا وما فيهم دني، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

٢- التعجب: كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٤].

قال الخطيب القزويني: " وهذه الألفاظ كثيراً ما تُستعمل في معانٍ غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام " (٢).

ويقول ابن القيم في عطاء رب العالمين لعباده في الجنان وإحلال رضوانه عليهم: (٣)

أَمْ كَيْفَ لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ يَنْلَهُ قَطُّ مِنْ إِنْسَانٍ
ويصف لنا مشهداً في قمة الروعة لعباد الله يوم القيامة، وهم يعجبون من صنيع الله لهم في الجنة، فقد أدخلهم الجنة برحمته ومنّ عليهم بالنعيم الدائم، وحققهم بكنفه، وناجاهم وناداهم ومتّعمهم بلذة النظر إلى وجهه الكريم، ثم يكرمهم بكراماته ورضوانه فلا يسخط عليهم أبداً، فيعجبون من سؤال الله لهم وقوله: اليوم أحلّ عليكم رضواني فلن تشقوا بعد ذلك أبداً، وفي هذا المشهد يخرج الاستفهام عن حقيقته ليفيد معنى مجازياً وهو التعجب.

وفي هذا المقطع يصول ابن القيم ويجول في رده على من يزعمون أنهم على الهدى، وهم في الغواية والضلالة كالعميان الذين اتبعوا أهواءهم فأضلّ الله أعمالهم، فدمر عليهم وللكاشرين أمثالها، فقال: (٤)

ويَقْدُومُهُمْ أَعْمَى يُظَنَّ كَمَبْصِرٍ يَا مَحْنَةَ الْعَمِيَانِ خَلْفَ فُلَانٍ

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٤.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص ١٤١-١٤٢.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨٩.

هل يستوي هذا ومبصرُ رشده **الله أكبر كيف يستويان**
 ففي البيت الثاني يظهر معنا الاستفهام الذي خرج عن معناه الحقيقي ليعطي معنىً بلاغياً وهو التعجب في كيفية الاستواء والمساواة عند الله تعالى بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات والفجار الذين اتخذوا دينهم هزواً ولعباً، فأنى يستويان عند الله تعالى؟، والحقيقة أن البيت يشتمل على استفهامين أحدهما: "هل، وهذا يعني أنهما لا يستويان، والآخر: كيف، المستخدمة للتعجب. وذلك كقوله رحمه الله تعالى: (١)

ياسلعة الرحمن كيف تصبر الـ **خطابُ عنك وهم ذوو إيمان**
 حيث خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي لإفادة معنى مجازياً وهو التعجب من أناسٍ فرطوا في جنة عرضها السموات والأرض، ولم يشمروا لها مع أن النبي الكريم ﷺ قد رسم الطريق إليها. ومنه قوله أيضاً:

ياسلعة الرحمن أين المشتري **فلقد عرضت بأيسر الأثمان**
 حيث أُخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي لإفادة معنى مجازي وهو التعجب، فكيف ينام الخطّاب عن تلك العرائس وذاك النعيم الذي لا يزول، مع أن الجنة عرضت بأيسر الأثمان، فيأتي التعجب من أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير. ويصف في هذا المشهد جمالَ الزوجات وهنَّ في الخيام، وأن هذا الجمال إذا بدا كالشمس حين تحل على الظلام وتغشاه، فيقول: (٢)

فتراه يعجبُ وهو موضعُ ذاك من **ليلٍ وشمسٍ كيف يجتمعان**
 ففي هذا المشهد الخلاب الرائع يصف لنا محاسنَ الحور العين في الجنة، وأنهنَّ كالبدر ليل الست بعد ثمان، ومن شدة جمالها كأن الشمس والقمر يجريان في وجهها، وهذا من كمال الحسن والبهاء، فيأتي الاستفهام بحلته المجازية للتعجب من جمالها وحسنها وبهائها الذي غطى على جمال الشمس والقمر، وأنهما لا يجتمعان لأن نورها أعظم من نور الشمس والقمر. ويقول أيضاً: (٣)

قوتُ النفوسِ وإنما القرآنُ قو **تُ القلبِ أنى يستوي القوتان**

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٤.

فخرج الاستفهام عن معناه الأصلي لإفادة المعنى البلاغي وهو التعجب من فهم أهل الدنيا في مساواتهم بين قوت الأجساد وقوت القلوب، فهناك بَوْنٌ شاسعٌ لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد.

٣- التشويق: وذلك نظير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠].

وقول ابن القيم في سماع أصوات الحور العين وهنَّ يغنينَ لأزواجهنَّ بأجمل الأصوات والألحان:

أَوْ مَا سَمِعْتَ سَمَاعَهُمْ فِيهَا غَنَا غُ الْحُورِ بِالْأَصْوَاتِ وَالْأَلْحَانِ

فأورد الاستفهام في هذا المشهد لا مجرد أنه يسأل عن سماع الحور العين في الجنة، بل لإفادة مضمون بلاغي جديد وهو التشويق لتلك الأصوات الرائعة والتعلق بها لما فيها من ألحانٍ وأشجان لا تُستبدل بعيديانٍ وأوتارٍ الدنيا وأنغامها وألحانها. وفي حديثه عن مساكن الحور العين في الجنة، فيقول: (١)

أَوْ كُنْتَ تَعْرِفُ أَيْنَ مَسْكَنُهَا جَعَلْتُ السَّعْيَ مِنْكَ عَلَى الْأَجْفَانِ

فهو لا يسأل عن مسكن الحور العين، لأنه يعلم أن مسكنها في أعلى الجنان، ولكنه يشوقنا لمعرفة مكانها ومكانتها للعمل والسعي ولو على الأجفان من أجل الوصول إليها والاستئناس بها، وبذلك يكون قد خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي ليضيف معنىً بلاغياً وهو التشويق للجنة. وكقوله كذلك: (٢)

يَا سَلْعَةَ الرَّحْمَنِ هَلْ مِنْ خَاطِبٍ فَا الْمَهْرُ قَبْلَ الْمَوْتِ نُو إِمْكَانِ

حيث أورد الاستفهام في هذا المشهد لإفادة معنى التشويق، فهو لا يسأل عن وجود خطاب الجنة أم لا، ولكنه يشوقنا لخطبة الحور العين في تلك الجنان التي أعدها الرحمن لعباده المؤمنين.

٤- الاستبطاء: كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصُرُ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢١٤].

ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم فقال:

حتى متى هذا الرقاد وقد سرى وفدُ المحبَّةِ مع أولي الإحسان (٣)

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩٧.

(٣) شرح القصيدة التونسية للهراس، ج ٢/٢٢٥، باب في تيسير السير إلى الله على المثبتين الموحدين.

فقد استنبطاً عودة الناس إلى الله تعالى بتوبة صادقة، فإن المحسنين قد حثوا ركائبهم ووصلوا إلى مبتغاهم، وما زال هؤلاء القوم في سكرتهم يعمهون، لأنه من خاف أذلج ومن أذلج دخل المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الجنة، فكأنهم لم يسمعوا مثل هذا القول من قبل، فجاء الاستفهام بصورته البلاغية لاستنباط توبة هؤلاء الناس وعدم استجابتهم لدعوة ربهم ونبیهم وتسويفهم في الإنابة والرجوع إلى ربهم تبارك وتعالى، فتباعد زمن الاستفهام عن زمن الاستجابة.

٥- الأمر: وذلك كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨].

والمعنى: أي أسلموا.

ونظير هذا ما أورده الإمام ابن القيم في تجلّي رب العالمين للسماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل وفتحه لأبواب التوبة والإنابة، فيقول: (١)

وَالسَّاعَةُ الْآخِرَىٰ إِلَىٰ هَذِي السَّمَاءِ يَقُولُ هَلْ مِنْ تَائِبٍ نَدِمَانَ

فقد خرج الاستفهام في هذا الموضع عن معناه الأصلي لإفادة معنى مجازي جديد وهو الأمر، والمعنى توبوا واندموا على ما فاتكم من المغفرة والرضوان وأنبيوا إلى ربكم واستغفروه.

٦- الإنكار والتوبيخ: ويقول المراغي: "ويشترط فيه أن يلي المنكر الهمزة " ويكون:

إما للتوبيخ على الفعل بمعنى ما كان ينبغي أن يكون، (٢) كقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تُلَوِّنُ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، " وقد خرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى التوبيخ، وقد يكون للتوبيخ على أمر واقع في الحال، بمعنى لا ينبغي أن يكون، كقولك لرجل يركب الخطر: " أخرج في هذا الوقت؟ " (٣).

وقال الإمام الجرجاني: "والغرض في مثل هذا تنبيهٌ للسامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع عن فعل ما هم به " (٤).

وإما للتكذيب في الماضي بمعنى لم يكن، كقوله تعالى ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [الصافات: ١٥٣]، فالاستفهام إنكاري تكذيبي، وهو ردٌّ على المشركين وتكذيبٌ لهم في قولهم ما يؤدي إلى هذا الجهل

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٩.

(٢) علوم البلاغة، البيان والمعاني والبدیع، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، ص ٦٩.

(٣) من بلاغة القرآن، ص ٥٤.

(٤) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ١١٩، وانظر: علوم البلاغة للمراغي، ص ٦٩.

العظيم،^(١) أو في المستقبل بمعنى لا يكون، وهذا يخص الحال والمستقبل.
وذلك كقول امرئ القيس:

أَيْقُتُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زَرْقٌ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ^(٢)

" فهذا تكذيب منه لإنسان تهدده بالقتل، وإنكاراً أن يقدر على ذلك ويستطيعه، وقد يظن الظان أنه يجوز أن يكون في معنى أنه ليس بالذي يجيء منه أن يقتل مثلي، فذكر ما يكون منعاً من الفعل، لأن المنع يُتصور فيمن يجيء منه الفعل، ومع من يصح منه لا من هو منه محال، ومن هو نفسه عنه عاجز " ^(٣).

ونظير ذلك من قول ابن القيم رحمه الله:^(٤)

أَتَلُومُهُ أَنْ صَارَ ذَا شَغْلٍ بِهِ لَا وَالَّذِي أُعْطِيَ بِلا حَسْبَانَ

فقد تلا المخاطب الهمزة في قوله " أتلومه "، وذلك بمعنى ما كان ينبغي أن تلومه، وبذلك يكون الاستفهام قد خرج عن معناه الأصلي ليحمل معني التوبيخ على هذا اللوم، لأنه لا ينبغي لأحد أن يلوم أهل الجنة على ما هم من النعيم المقيم، وقد قدّم الاستفهام لإقرار اللوم كأنه يعتقد أن الفعل لم يكن واقعاً منه، في حين أنه لا يمكن أن يلام أهل الجنة على شغلهم الذي هم فيه فكهون. وقوله أيضاً:^(٥)

طُبِعَتْ عَلَى كَدْرِ فَكَيْفَ يِنَالُهَا صَفَوْا أَهَذَا قَطُّ فِي الْإِمْكَانِ

فقد ذم الدنيا ومن تعلق بها لما فيها من آلام وأحزان، وعدم صفاء في العيش، وأن الله تعالى لما خلقها لم ينظر إليها منذ أن خلقها، لأنها لا تساوي عنده جناح بعوضة، فكيف ينالها هذا الإنسان صفواً ورغداً في حياة كريمة، فجاء الاستفهام في قوله: " أهذا " للإنكار والتوبيخ على من تمسك بها ولهث خلفها وأفنى حياته من أجلها.

٧- الإهانة والتحقير: " وفيها يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي للدلالة على التصغير والتقليل من الشأن " ^(٦).

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ١١٤ .

(٢) المصدر السابق، ص ١١٧، وانظر: علوم البلاغة للمراغي، ص ٧٠ .

(٣) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ١١٩ .

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٢.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٦) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص ١٠٩.

ونظير ذلك ما ورد في القصيدة النونية، فقال رحمه الله: (١)

لا يُرتجى منها الوفاء لصبّها أين الوفا من غادرِ خوآن

فهو لا يسأل عن المكان في هذا المشهد، بل أخرج الاستفهام عن كونه حقيقةً لإفادة معنى بلاغي وهو الإهانة والتحقير للدنيا، فهذه الدنيا شيمتها الغدر بالإنسان والإطاحة به في معادن ومبارك الزيع والهلاك، وإدخاله في حنادس الظلمات، فهي أقلُّ من أن يهتم بها الإنسان ويفنى في حبّها الزائل.

٨- التعظيم:

وفي هذا إشارة إلى ما أورده ابن القيم في هذا المشهد الخلاب، فقال: (٢)

لله هاتيك الخيام فكم بها للقلب من غلقٍ ومن أشجان

لقد أورد أداة الاستفهام " كم " ولكنها ليست على الحقيقة، فهو لا يريد أن يعلم أعداد الحور العين داخل الخيام والقصور، ولكنه أخرج الاستفهام للمعنى المجازي الرائع وهو العظمة المتناهية التي تحلّ على الإنسان داخل تلك الخيام من تعلق الروح بتلك النساء ووصالهن دون انقطاع.

ويقول الهراس: " ليس في هذه الخيام سوى الحور العين التي لو التقت إحداهن بالشمس والقمر لأزرت بنورهما ولخلت أنهما منكسفاً فله هاتيك الخيام كم للقلوب بها من تعلق وميل وكم بها من غرام وأشجان، لأنهنّ لا ينظرنّ إلى غير أزواجهنّ وهنّ خيرات حسان خيرات أخلاقٍ وحسان وجوهاً، كملّ منهنّ الظاهر والباطن والخلق والخلق فانفق لهما الحسن والجمال مع الإحسان وكريم الخلال" (٣).

ثم يكمل وصف مشهد تعلق القلب بسماع أصوات الحور العين في الجنان، فيقول:

واهاً لذّيكَ السماع فكم به للقلب من طربٍ ومن أشجان (٤)

فإنه لم يسأل عن نسبة ذاك السماع في القلب، بل أخرج الاستفهام ليعطي المعنى البلاغي المقصود وهو عظمة ذلك السماع في القلب ومدى تعلقه به، وإنّ أهل الجنة حين يشتهون السماع ويذكرون لهو الدنيا وهم تحت شجرة طوبى يرسل الله إليهم ريحاً تهز أفنان الشجرة فتنتلق منها أنغامٌ وأصواتٌ هي أعظم وألذّ في السمع من كل أنعام الدنيا وأحانها.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٠.

(٣) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢/٢٦٥.

(٤) معنى واهاً: التلهف، وقد توضع موضع الإعجاب بالشيء، يقال: واهاً له، لسان العرب، ج ١٣/٤٧٣.

رابعاً: التمني:

لغة: " تشهّي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وما لا يكون، تقول تمنيت الشيء ومنيت غيري تمنيةً، وتمنى الشيء يعني أراده "(١).

أما في اصطلاح البلاغيين:

قال **الحسن المفتي:** " هو طلب حصول شيء على سبيل المحبة ممكناً كان أو ممتعاً "(٢).

وقال **الميداني:** " هو طلب أمرٍ محبوبٍ أو مرغوب فيه، ولكن لا يُرجى حصوله في اعتقاد المتمني لاستحالته في تصوره، أو هو لا يطمع في الحصول عليه، إذ يراه بالنسبة إليه متعذراً بعيد المنال "(٣).

والأداة الأم التي وضعت للتمني " ليت "، وقد كثر مجيئها في كتاب الله تعالى، فكما ورد في التنزيل: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ [القصص: ٧٩]، وهناك أدوات أخرى للتمني خرجوا بها عن أصل وضعها منها: " لعل، لو، هل " وأصل " لعل " للترجي، و " لو " حرف امتناع، و " هل " أصلها للاستفهام، وهم يستعملون هذه الأحرف مكان " ليت " ولكن هذا الاستعمال له أغراض بلاغية ونكتة بيانية.

ويقول **فضل عباس:** " والغرض البلاغي المقصود من وراء التمني ب (هل) و (لعل) هو إبراز المتمني المستحيل وإظهاره في صورة الممكن القريب حصوله وذلك لكمال العناية به والشوق إليه "(٤).

ويقول **الحسن المفتي:** " وقد يُتمنى بلفظ "هل" مجازاً، والنكته في العدول عن " ليت " هي إبراز المتمني لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا جزم بانتفائه نحو قوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُغَاءٍ فَیَشْفَعُوا لَنَا﴾ [الأعراف: ٥٣]، مع العلم أنه لا شفيع وهو ممتنع حقيقة حمله على الاستفهام لحصول الجزم بانتفائه، ولأن حقيقة الاستفهام تقتضي الجهل بالمستفهم عنه لأن الطلب يستدعي

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٥ / ٢٩٤.

(٢) خلاصة المعاني، للحسن المفتي، ص ٢٢٧.

(٣) البلاغة العربية للميداني، ص ٢٥١.

(٤) البلاغة فنونها وأفانها، فضل عباس، ص ١٥٨، وانظر: فن البلاغة، ص ١٤٩، وانظر: علم المعاني،

مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، والعلم هنا بأن الشفيح ليس بموجود حاصل فيحمل على ما يناسب المقال، والذي يناسبه هنا التمني^(١).

ويقول عبد القادر حسين: " هل " أداة استفهام كما هو معلوم، ولكنها لم تستعمل للاستفهام بل للتمني، وخرجت عن معناها الحقيقي الذي وضعت له وذلك لأن المطلوب مستحيل والغرض إبراز التمني البعيد الحصول، في صورة المستفهم عنه الممكن الحصول، إظهاراً لكمال العناية به والرغبة فيه"^(٢).

ومعنى " لو " الذي وضعت له في أصل اللغة أن تكون حرف امتناع لامتناع، أي: امتناع الجواب لامتناع الشرط، ففي قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]، فقد أبرز التمني وهو الأمر الممكن وإن كان بعيد المنال في صورة الأمر الممتنع تماماً إبرازاً لعزّة شأنه وندرة حاله^(٣).

أما " لعل " ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَآمَانُ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [غافر: ٣٦].

فإن بلوغ فرعون أسباب السموات ونصرة الأصنام لهم ورجوعهم عن الكفر أمر مستحيل، وكان هذا يقتضي استعمال الأداة التي وضعت للتمني وهي ليت، ولكنه استعمل بدلاً منها لعل التي تفيد الترجي وهو إمكان الوقوع وسبب هذا العدول هو أنه أراد إبراز الأمر المستحيل في صورة الممكن إظهاراً لكمال العناية به واللهفة إليه.

العلاقة بين التمني والترجي:

قال فضل عباس: " التمني طلبُ حصول الشيء المحبوب دون أن يكون لك طمع وترقب في حصوله، لأنه إذا كان قريب الحصول وتوقعته كان ترجياً"^(٤).

وقد ورد التمني في نونية ابن القيم " الكافية الشافية " حيث ردّ على الفرق الضالة الملحدة الذين كفروا بالله ورسوله، ودافع عن مذهب أهل السنّة والجماعة، وقدم نصيحة لكل مؤمن يريد أن ينجو من النيران يوم القيامة، بعدما حذّرنّا من أهل الكفر والإلحاد وأرشدنا لطريق الهداية الموصلة إلى رضوان الله ونعيمه الدائم، فقال:

(١) خلاصة المعاني للحسن المفتي، ص ٢٢٧ .

(٢) فن البلاغة، عبد القادر حسين، ص ١٤٩.

(٣) المصدر السابق، ص ١٥٠.

(٤) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ١٥٦.

هذا هو الإلحاد فاحذره لعلَّ الله أن ينجيك من نيران^(١)
وتفوز بالزلفى لديه وجنة الـ مأوى مع الغفران والرضوان

فقد جاء التمني في هذا المشهد بالأداة " لعل " والتي أفادت معنى الترجي، وإمكان حلول النجاة فأبرز التمني وأظهره في صورة الممكن القريب حصوله، وهو النجاة من عذاب الله يوم القيامة وذلك لكمال العناية به والشوق إليه.

ويصف - رحمه الله - القلوب المريضة التي عاشت في الجهل والغي والحرمان، فقال:^(٢)

والله لو أن القلوب سليمة لتقطعت أسفاً من الحرمان
فقد استعمل " لو " والتي تفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط، فلو أن قلوبهم سليمة حقيقة لا وهماً لتعلقت بالله ولأجهشت بالبكاء والعيول ليلَ نهار على ما فاتها من خيرى الدنيا والآخرة، ولكنها مريضة بحب الدنيا فزادها الله مرضاً، وكأن لسان حاله يقول: ياليت هذه القلوب سليمة، فنتقطع شوقاً لطاعة الله ورؤيته، فنتجو من عذاب الدنيا والآخرة.
ويقول أيضاً:^(٣)

والله لولا رؤية الرحمن في الـ جنات ما طابت لذي العرفان
فقد أورد " لولا " والتي في أصلها حرف امتناع لوجود، لتفيد معنى التمني والشوق لرؤية الله عز وجل في الجنة، وأن الجنة مهما يعلو نعيمها، فإنها لا تساوي شيئاً دون لذة النظر إلى وجه العزيز الكريم.

ويقول في هذا المشهد الرائع في خطابه لساعة الرحمن الغالبة:

يا ساعة الرحمن هل من خاطبٍ فالمهز قبل الموت ذو إمكان^(٤)
فقد أخرج أداة الاستفهام " هل " عن معناها الحقيقي التي وضعت له لإبراز معنى جديد وهو التمني، فأظهر المستحيل في صورة الممكن القريب لكمال العناية والاهتمام به والتشويق له.

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/١٢٩، فصل في بيان حقيقة الإلحاد في أسماء رب العالمين.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٩.

(٤) شرح القصيدة النونية للهراس، ج٢/ ٤٤١، فصل في اقامة المأتم على المتخلفين عن رفقة السابقين.

خامساً: النداء:

لغة: " النداء والنداء مثل الدعاء والرغاء، وقد ناداه ونادى به، وناداه مناداة ونداء، أي صاح به وأندى الرجل إذا حسن صوته" (١).

اصطلاحاً: "هو دعوة المخاطب بحرف ينوب مناب الفعل" أَدْعُو " ونحوه" (٢)، وأدواته ثمان: " الهمزة " و " أي " و " يا " و " أيا " و " هيا " و " آ " و " آي " و " وا " .

أو "هو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف منها مناب الفعل أَدْعُو" (٣).

ويقول **الحسن المفتي:** " هو طلب المتكلم إقبال المخاطب بحرف نائب مناب الفعل أَدْعُو لفظاً، أي نحو: يا زيد، أو تقديراً نحو قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩]، أي: يا يوسف أَعْرِضْ عَنْ هَذَا" (٤).

وتنقسم أدوات النداء إلى قسمين:

• أدوات نداء القريب :

وهما حرفان : الهمزة ، و أي .

ويقول **فضل عباس:** " وقد يُنزلُّ البعيد منزلة القريب، فينادى بالهمزة أو " أي " تنبيهاً على أنه مع بُعد لا يغيب عن القلب، بل هو مالكٌ للفؤاد واللب، وكأنه حاضرُ الجثمان" (٥).

• أدوات نداء البعيد :

وهي باقي الأدوات المذكورة آنفاً .

وقد ينزلُّ المنادى القريب منزلة المنادى البعيد فينادى بإحدى أدواته إما :

- ١- للدلالة على أن المنادى رفيع القدر عظيم الشأن، فيجعل بُعد المنزلة كأنه بُعد في المكان .
- ٢- للإشارة إلى أنه وضع، منحط الدرجة .

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٥ / ٣١٣ .

(٢) علوم البلاغة للمراغي، ص ٨١.

(٣) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص ١٢٥ .

(٤) خلاصة المعاني للحسن المفتي، ص ٢٤٧.

(٥) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ١٦٣، وانظر: علوم البلاغة للمراغي، ص ٨١، وانظر: جواهر

البلاغة للهاشمي، ص ٨٩ .

٣- للإشعار بأن السامع غافلٌ لاهٍ، فتعتبره كأنه غير حاضر في مجلسك .

ونظير ما أورده ابن القيم في النداء بحرف " يا "، في صفات عرائس الجنات: (١)

فاسمع صفات عرائس الجنات ثم اختر لنفسك يا أبا العرفان
حورٌ حسانٌ قد كملن خلئقاً ومحاسناً من أجمل النسوان
فهو ينادي على من أراد أن يسمع صفات عرائس الجنات، ويختار ما يشاء منهن لنفسه.

وقد تخرج أدوات النداء عن معناها الأصلي الذي وُضعت له واستعملت في معنى آخر غير النداء يفهم بواسطة القرائن، وسياق الكلام، وذلك لأغراض بلاغية منها: (٢)

١- التعجب:

حيث ورد ذلك في ردّ ابن القيم على الذين قالوا بفناء الجنة والنار وجواز المجون والرقص والغناء، فأدحض حجّتهم وقال: (٣)

قال الفناء يكون في الحركات لا في الذات وأعجباً لذا الهذيان
قال ابن عيسى: " فهو يتعجب من جرّتهم على الله تعالى وكفرهم وعنادهم وهذيانهم الذي سيوصلهم لا محالة إلى جهنم ويئس المهاد" (٤).

وقال متعجباً من ثمار الجنة وطيبها ولذتها التي لا ينقطع نعيمها: (٥)

يا طيب هاتيك الثمار وغرسها في المسك ذاك الثرب للبستان
وقوله أيضاً:

وكذلك الماء الذي يُسقى به يا طيب ذاك الورد للظمان

فخرج النداء في هذين البيتين عن معناه الأصلي لإفادة معنى التعجب من الثمار وبساتينها وغراسها ومائها، فما أجمل وما أعظم هذا الطعام والشراب للظمان.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

(٢) فن البلاغة، عبد القادر حسين، ص ١٥٤ .

(٣) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ١/٣١.

(٤) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن عيسى بن إبراهيم، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٤هـ، ج ١/٨٣، نقل بتصريف.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٢.

ويقول واصفاً لسوق الجنة: (١)

واهاً لذا السوق الذي من حلّه نال التهاني كلها بأمان

وقد أخرج النداء عن حقيقته في قوله " واهاً " ليعطي معنىً بلاغياً وهو التعجب من ذلك السوق الذي تحفّه الملائكة في الجنة، الممتلئ بكل ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيه متنعمون.

وقوله في سماع أهل الجنة لغناء الحور العين: (٢)

واهاً لذيّك السماع فإنّه مُئيت به الأذنان بالاحسان

واهاً لذيّك السماع وطيبه من مثل أقمارٍ على أغصان

نحن النواعم والخوالد خيرًا تّ كاملاتُ الحسن والإحسان

فقد أخرج النداء عن أصله ليفيد معنى التعجب من لذة سماع أصوات الحور العين وهنّ يغنين أزواجهن في الجنة.

٢- التحسر:

وذلك كما في قوله رحمه الله تعالى: (٣)

رُفعت لهم في السير أعلامُ الوصا ل فشمروا يا خبيّة الكسلان

وواضح في هذا البيت أنه لا ينادي على الكسلان، وإنما أظهر معنىً بلاغياً من النداء وهو الحسرة والندامة على من فاته الوصول إلى الجنة، فهناك أناس صدقوا الله تعالى فأرشدهم وأوصلهم إلى جنات النعيم، وما زال هناك من يلهو ويلعب والموت في انتظاره وهم في سكرتهم يعمهون.

قال الهراس: " وقد رفعت لهم في سيرهم أعلام الوصال فقربت منهم بعيد الآمال، وشحنت منهم الهمم، فلم يشعروا في سيرهم بسأم ولا كلال على حين باء الكسلان بالخبيّة والحرمان " (٤).

ويورد مشهداً آخرًا من مشاهد التحسر في قصيدته، فيقول: (٥)

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٣.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٨.

(٤) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢/٣٨٧.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٣.

أمشاطهم ذهبٌ ورشحهم فمس — كُ خالصٌ يا ذلة الحرمان
والظاهر معنا أنه أخرج النداء عن معناه الأصلي لإفادة المعنى المجازي وهو الحسرة
والندامة على من حُرِم هذا النعيم ولم يظفر به يوم القيامة.
وقوله أيضاً:

يا لذّة الفسّاق لستِ كلذّة الـ — أبرار في عقلٍ ولا قرآن
فظهر النداء بالصورة المجازية، وهي الحسرة على الفسّاق وشهواتهم ولذاتهم، وأن هذه اللذّة
ليست كلذّة الأبرار وهم يتمتعون في الفردوس الأعلى.
٣- الإغراء: " وهو حث المخاطب على الفعل الطيب، والابتعاد عن الفعل السيئ، كقولك للجندي
المتردد في الدفاع: يا شجاع أقدم " (١).
ونظيره من القصيدة النونية في قوله: (٢)

يا خاطب الحور الحسان وطالباً — لوصالهن بجنة الحيوان
فهو لا يقصد النداء، ولكنه يريد إغراء المخاطب على الفعل الطيب، والعمل من أجل
دخول الجنة وخطبة الحور العين ووصالهن والتمتع بهن، وفي حثه للعمل من أجل دخول الجنان
ورؤية الكريم المنان، بعدما خاطب سلعة الله الغالية، فقال: (٣)

يا سلعة الرّحمن لستِ رخيصةً — بل أنتِ غاليةٌ على المسلان
يا سلعة الرحمن ليس ينالها — في الألف إلا واحداً لا اثنان
يا سلعة الرّحمن ماذا كفوها — إلا أولو التّقوى مع الإيمان
يا سلعة الرحمن سوقك كاسدٌ — بين الأراذل سفلة الحيوان
يا سلعة الرّحمن أين المشتري — فلقد عُرضتِ بأيسر الأثمان

ويشير ابن القيم في هذا المشهد الرائع لسلعة الله الغالية، والذي باستطاعة كل إنسان أن
يكون من أهلها إذا وقى حلى الإيمان، فأخرج النداء عن معناه الحقيقي في صورة مجازية بلاغية
وهي إغراء المخاطب من أجل الإقبال على عقد التبائع الذي عقده الله تعالى مع الإنسان، فقال عز

(١) من بلاغة القرآن، ص ٦١.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٩٧.

من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، ويقول الهراس: " فهو يخاطب سلعة الرحمن التي هي جنته بأنها ليست رخيصة مبتذلة ولا مزهوداً فيها، بل هي غالية جداً على أهل الكسل والبلادة الذين لم يقدموا من السعي ما يرشحهم للظفر بها، وهي لعلوها وتمتعها وغلاء مهرها لا يستطيع أن ينالها من كل ألف إلا واحد فقط و ليس من خاطب كفاء لسلعة الله الغالية، بل لا ينالها من عباده إلا أولو التقوى والإيمان، فهما تمنها الذي لا تُنال إلا به من دون سائر الأثمان، ولكنها سلعة بائرة عند الأخساء من أهل الكفر والفجور والعصيان، فإيا سلعة الرحمن أين مشتريك، فقد عرضك مولاك بأيسر الأثمان، ولكنه ليس يسيراً إلا على كل موفق ذي ثقة، ولا يستطيعه أهل الخيبة والخذلان، وأين خطابك الذين يقدمون لك المهر في هذه الحياة؟" (١).

٤ - الاستغاثة: وذلك كما في قوله رحمه الله تعالى: (٢)

يَا رَبِّ غُفْرًا قَدْ طَغَتْ أَقْلَامُنَا يَا رَبِّ مَعذْرَةً مِنَ الطَّغْيَانِ

ويتجلى النداء في هذا البيت ليعطي معنى الاستغاثة بالله من الطغيان والمعاصي والذنوب، وطلب المعذرة والعفو والغفران.

٥ - الزجر والتنبيه:

وذلك كقوله رحمه الله تعالى: (٣)

يَا غَافِلًا عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبِه جَدِّ الرَّحِيلِ فَاسْتَبَالِيْقِظَانِ

ويتبين معنا من خلال فهمنا لهذا المشهد، أن النداء قد تجلى في صورة مجازية، وهي الزجر والتنبيه لكل من يترك مقصده الأسمى وهو عبادة الله تعالى، فالمرء يبقى في غفلته وسكرته إلى أن يأتيه الموت فإذا هو مبصر ومستيقظ، ولكن بعد فوات الأوان والحسرة والندامة. ويقول أيضاً: (٤)

يَا عَاشِقَ الدُّنْيَا تَاهِبَ لِلَّذِي قَدْ نَالَهِ العِشَاقُ كُلَّ زَمَانِ

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢ / ٤٤٢.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٥.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٥٨.

فقد وجّه زجره وتحذيره لعشاق الدنيا الذين أفنوا أعمارهم في دمالجها وزينتها، فهو يتوعددهم لكي يستعدوا لملاقاة الله تعالى وعذابه الذي سيحلّ بهم لا محالة، فأخرج النداء لإفادة المعنى البلاغي وهو الزجر والتوبيخ من عذاب الله لهم يوم القيامة.

المبحث الثالث التقديم والتأخير

التقديم لغةً: " ورد في أسماء الله تعالى المقدم، وهو الذي يقدم الأشياء ويضعها في مواضعها، فمن استحق التقديم قدمه، والقديم على الإطلاق هو الله عز وجل" ^(١)، والتقديم من قدم أي وضعه أمام غيره، والتأخير نقيض ذلك.

والتقديم والتأخير له فوائد جمّة تعبر عن مدى سعة اللغة العربية في تحصيل جمال التعبير والصياغة للمفردات والتراكيب.

فهذا شيخ البلاغة وإمامها عبد القاهر الجرجاني يقدم لنا كلاماً في التقديم والتأخير يكتب بماء الذهب فيقول: " هو بابٌ كثير الفوائد جمّ المحاسن، واسع التصرف بعيد الغاية، لا يزال يفتنُّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدّم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان" ^(٢).

ويقول المراغي في علوم البلاغة: "والألفاظ قوالب المعاني، فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي بحسب ترتيبها الطبيعي، ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزاي ما يدعو إلى تقديمه وإن كان حقه التأخير، فيكون من الحسن تغيير هذا النظام ليكون المقدم مشيراً إلى الغرض الذي يراد" ^(٣).

والتقديم والتأخير عند الجرجاني على وجهين: ^(٤)

الأول: " تقديم على نية التأخير مع بقاء حكمه الذي كان عليه وذلك كتقديم الخبر على المبتدأ، والمفعول على الفاعل كقولك: " منطلقٌ زيد " و " ضرب عمراً زيداً " .

الثاني: " تقديم لا على نية التأخير، ولكن أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له باباً غير بابه وإعراباً غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأً والآخر خبراً، فتقدم تارةً هذا على ذلك وأخرى ذلك على هذا كقولك: " زيدٌ المنطلق " وأخرى المنطلق زيد، فأنت في هذا لم تقدم " المنطلق " على أن يكون متروكاً على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، فيكون خبر المبتدأ كما كان، بل على أن تنقله عن كونه خبراً إلى كونه مبتدأً، وكذلك لم تؤخر " زيداً " على أن يكون مبتدأً كما كان، بل على أن تخرجه من كونه مبتدأً إلى كونه خبراً " .

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٢ / ٤٦٥ .

(٢) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ١٠٦ .

(٣) علوم البلاغة للمراغي، ص ١٠٠ .

(٤) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ١٠٧ .

وقال صاحب الكتاب " سيبويه " وهو يذكر الفاعل والمفعول:

" فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول وذلك قولك: ضرب زيداً عبداً لله لأنك إنما أردت به مؤخرًا ما أردت به مقدماً ولم تُرد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرًا في اللفظ فمن ثم كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدماً وهو عربيٌّ جيّدٌ كثيرٌ كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهمُّ لهم وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعاً يُهمّانهم ويعنيانهم" (١).

وتقديم أي جزء من الكلام أو تأخيره لا يردُّ اعتباراً في نظم الكلام وتأليفه وإنما يكون عملاً مقصوداً يقتضيه غرضٌ بلاغي أو داعٍ من دواعيه، فمن أهم هذه الدواعي التي توجب التقديم والتأخير في الكلام:

١- التخصيص أو القصر إذا ولى حرف النفي، ونظير ذلك من قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ [الصفافات: ٤٧]، فقدم الجار والمجرور لإفادة معنى التخصيص والقصر، فكان نفي الغول مقصوداً على خمر الآخرة دون خمر الدنيا، فإن خمر الجنة لا يوجد فيها غَوْلٌ للعقول ودوران للرأس وغثيان وهذيان ورائحة كريهة أو فقدان للتوازن، فهذه الآفات فقط في خمر الدنيا.

وذلك كقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠- ٣٢]، فقدم الجحيم وهي المفعول به على الفعل " صلّوه " لإفادة معنى التخصيص، وكأنها فقط لهؤلاء الناس لا لغيرهم، بالإضافة إلى مراعاة السجع والفاصلة.

وأيضاً كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [النور: ٤٢]، فقدم الجار والمجرور لإفادة معنى التخصيص والقصر على أن ملك السموات والأرض مقتصرٌ على الله وحده لا شريك له، فلا أحد ينازعه في ملكه، له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في وصف الجنة وخيامها، فقال: (٢)

للعبد فيها خيمةٌ من لؤلؤٍ قد جُوفت هي صنعة الرحمن

فقد اختصت واقتصرت هذه الخيام الكريمة المجوفة باللؤلؤ والمرجان والياقوت والعقيان لهؤلاء العباد ملكاً لهم لا لغيرهم، لذلك جاء التقديم بالجار والمجرور " الخبر المقدم " لإفادة معنى

(١) الكتاب، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، (١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل،

بيروت، ج ١/ ٣٤.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٠.

التخصيص، وقد أتم الله عليهم نعمة الأمن والاستئناس بأزواجهم في تلك الخيام المنصوبة في الرياض والبساتين.

ويورد مشهداً رائعاً أيضاً، فيقول: (١)

فلهم نعيمٌ عند رؤيته سوى هذا النعيم فحبّذا الأمران

فقد بدأ بذكر هؤلاء الناس لتخصيص النعيم المقيم لهم فقط، فإن لهم نعيماً وكراماتٍ في الجنان لا تكون لغيرهم، خاصة أنهم يزورون ربهم بكرة وعشية، فإن هذا النعيم من أعلى النعيم في الجنة عندما يجلسون على كئبان المسك والكافور ناظرين إلى ربهم، ثم ينتقلون إلى غرفاتهم ونسائهم ولذائذهم يتتعمون ويحبرون.

ويقول في وصف حياتهم الأبدية السرمدية التي لا بوؤس فيها ولا ضجر: (٢)

لكم حياةٌ ما بها موتٌ وعا فيةٌ بلا سقمٍ ولا أحزان
ولكم نعيمٌ ما به بوؤسٌ وما لشبابكم همٌّ مدى الأزمان

فتقديم الجار والمجرور في هذين البيتين أفاد معنىً بلاغياً وهو التخصيص والاقتصار على الحياة الحقيقية في الجنة لهؤلاء الكرام على الله تعالى، فلا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم ولا يسقمون ولا يحزنون ويتتعمون، وهم في ما اشتهدت أنفسهم خالدون، فلا يحزنهم الفرع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون، وتقديم الجار والمجرور يأتي للتعريض لإغابة الكفار والمشركين الذي خسروا الدنيا والآخرة، وفي المقابل تقرير البشارة للمؤمنين الذين كانوا في طاعة رب العالمين.

وقال رحمه الله في وصفه لطعام وشراب أهل الجنة: (٣)

للعين منها لذةٌ تدعو إلى شهواتها بالنفس والأمران

فقد أورد الجار والمجرور المقدم " للعين " وذلك للتخصيص دون سائر الحواس الأخرى، لإتمام وكمال اللذة البصرية، وشهوة الإنسان التي لا توصف لحظة رؤية النعيم أمام عينيه في الجنان.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٥.

وقد ذكرت في هذا الموضع بعضاً من الشواهد البلاغية في التقديم والتأخير على سبيل المثال لا الحصر، وسأقوم بذكر بعضها دون التطرق للشروحات حتى يتسع لنا المقام بالإتمام بإذن الله، فيقول رحمه الله تعالى في التشويق وهو يصف نساء الجنة وأجسادهن وصفاً حسياً ما للصفات عليه من سلطان: (١)

وعليه أحسن سرّة هي مجمع الـ — خصرين قد غارت من الأعكان
وفي وصفه لكيفية تفجر الأنهار من تحت العرش، فيقول: (٢)

منه تفجر سائر الأنهار فالـ — منبوع منه نازلاً بجنان
وفي وصف المقصورات والخيام ذوات الأبواب المرصعة بالذهب، فيقول: (٣)

فيها مقاصير بها الأبواب من — ذهبٍ ودرّ زين بالمرجان
وفي وصف الأرائك والسرر والزرابي والحجال، فيقول: (٤)

فيها الأرائك وهي من سررٍ عليـ — هـن الحجال كثيرة الألوان
وقال في وصف روائح أهل الجنة وكيفية هضم الطعام، وأن هذا الهضم يكون عن طريق رشح المسك عندما يخرج من الأجساد، فهذه الكرامة لهم من الله تعالى دون غيرهم.

ولهم جشأءٍ ريحه مسكٌ يكو — نٌ به تمام الهضم بالاحسان
ويقتبس قولَ الله تعالى الذي يتضمن معنى هذه الآية الكريمة: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، فيقول رحمه الله تعالى: (٥)

فيها الذي والله لا عينٌ رأَت — كلاً ولا سمعت به أذنان
وقد ابتدأ البيت بالجار والمجرور المقدم الذي أفاد معنى بلاغياً وهو التخصيص، فالنعيم الذي ينتظر المؤمن في الجنة لا يوجد في مكان آخر سوى الجنة، فلا عين رأَت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وذلك لإظهار كمال اللذة والنعيم ودوامه لهم.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨١.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧١.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٩٢.

٢- تقوية الحكم وتقديره في نفوس السامعين: وذلك كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٨- ٥٩]، فقدّم الاسم الضمير لبيان أن الذين لا يشركون بالله هم المؤمنون حقاً، وأن الله تعالى هو الذي يستحق العبادة لا غيره، فتم تقديم الضمير لأنه أبلغ في التوكيد وأقوى في نفوس السامعين الذين قد يترددوا في إخلاص عملهم لله تعالى وحده. ونظير ذلك في وصف ابن القيم لأول زمرة تدخل الجنة، فقال: (١)

والسابقون هم وقد كانوا هنا أيضاً أولي سبقٍ إلى الإحسان

فجاء بالضمير المنفصل لأنه أبلغ في التوكيد والإقرار في النفس، بأن السابقين للإحسان إلى الناس في الدنيا هم الذين يستحقون هذه الدرجات والكرامات، وقد بدأ بذكرهم لينبه السامع لهم ولصفاتهم فيستقر ذلك في نفوس السامعين، ويتمكن في قلوبهم.

وفي وصفه لأهل الجنة لحظة رجوعهم إلى أهلهم ومنازلهم، فيقول: (٢)

فإذا هم رجعوا إلى أهلهم بمواهبٍ حصلت من الرحمن

فهم إلى يوم المزيد أشد شوفاً من محبٍ للحبيب الداني

فقدم الاسم الضمير لزيادة التوكيد في الحكم وإقراره في نفس السامع وتنبئهم، بأن الله تعالى من على أهل الجنة بهذا النعيم، وخاصة ما وعدهم به في يوم المزيد من النظر إلى وجهه الكريم. وقال في وصف الجنة وطيبها ونعيمها: (٣)

هي جنّة طابت وطاب نعيمها فنعيمها باقٍ وليس بفان

فقد شرع بالضمير المنفصل العائد على الجنة، لزيادة التوكيد والإقرار للسامعين وتنبئهم على ما في الجنة من طيب النعيم، فهي دار الكرامة والسلامة من كل آفة وبلاء.

أما في تقديم الفعل المضارع، فيقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: " فإذا قلت: أتفعلُ كان المعنى على أنك أردت أن تقرره بفعلٍ هو يفعله وكنت كمن يوهم أنه لا يعلم بالحقيقة أن الفعل كائن، وإذا قلت: أنت تفعل كان المعنى على أنك تريد أن تقرره بأنه الفاعل، وكان أمر الفعل في وجوده ظاهراً وبحيث لا يحتاج إلى الإقرار بأنه كائن، وإن أردت بـ " تفعل " المستقبل كان المعنى:

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٠.

إذا بدأت بالفعل على أنك تعتمد بالإنكار إلى الفعل نفسه وتزعم أنه لا يكون، أو أنه لا ينبغي أن يكون، كقولك للرجل يركب الخطر: أخرج في هذا الوقت؟ أتذهب في غير الطريق؟ أتغرر بنفسك؟ وقولك للرجل يضيع الحق: أتتسى قديم إحسان فلان؟ أتترك صحبتته وتتغير عن حالك معه؟" (١).

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم فقال: (٢)

أترهما ضجرين من ذا العيش لا وحياء ربك ما هما ضجران

فبدأ بالاستفهام المقدم على الفعل المضارع ليقرره بفعل هو يفعله، وإقرار السامع أن فعل الرؤية كائن لا محالة، فهو ينكر عليه ذلك الفعل بأن أهل الجنة يسأمون ويتضجرون، بل هم في رغدٍ وعيشٍ وروح وريحان وجنة نعيم.

ويعرض **عبد القاهر الجرجاني** مسألة مهمة وهي: "عدم القول بال العناية والاهتمام فقط وإنما لأغراض بلاغية، وإلا فهو كلام ساقط لا قيمة له، فالذي يعينهم ويهمهم ويتطلعون له ويشوقهم ويتصل بمسرتهم هو الذي يقدمونه" (٣).

٣- العناية والاهتمام بشأن المقدم:

يقول **المراغي**: "فذكره أهم والعناية به أتم، فيقدم المفعول على الفاعل إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه، لا وقوعه ممن وقع منه" (٤).

ويقدم الفاعل على الفعل للعناية والاهتمام، كقوله في وصف ثغر الحور العين وهي تبتسم لزوجها في الجنة: (٥)

والبرق يبدو حيث يبسم ثغرها فيضيء سقف القصر بالجدران

نلاحظ في هذا المشهد أنه قدم الفاعل على فعله للعناية والاهتمام بما بدأ به، فالبرق وحده هو الذي يبدو ولا شيء غيره لحظة التبسم والفرح والحبور، وأي برق يبدو ويسطع من ثغر هذه الحوراء وهي تبتسم لزوجها في الجنان فيضيء الجدران ولا يبقى مكاناً إلا ودخل فيه من هذا النور، ويقدم الظرف في هذا المشهد لإبراز العناية والاهتمام بتلك القبة المجوفة التي أتقن الله صنعها وأبدع تسويتها، فقال رحمه الله: (٦)

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ١١٧.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٤.

(٣) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ١٠٨.

(٤) علوم البلاغة للمراغي، ص ١٠٨.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٦٠.

وسط الجنان وعلوها فلذاك كما نت قبّة من أحسن البنيان

وهذا لبيان درجات الجنة ومنازلها وأن الفردوس أعلى الجنة ووسطها ومنها تفجر أنهار الجنان، وهي كثيرة ومتفاوتة بحيث لا يعلم عددها وعظمتها وتباهيها إلا الله عز وجل، فلكل درجات في الجنة عند الله تبارك وتعالى.

وفي وصف الطرف وهي تنظر إلى محبوبها، فيقول: (١)

والطرف يشرب من كؤوس جمالها فتراه مثل الشارب النشوان

ويقدم في هذه الصورة الرائعة أيضاً الفاعل على فعله لإفادة معنى العناية والاهتمام بالطرف وهو البصر لا بغيره، وحتى ليرى مخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن، كما ترى الصور في المرأة.

وحقيقةً أيها الكريم على الله لا تسئل عن جمال العيون ففيها كل السحر والفتون قد زانها الحور فاشتد بياضُ بياضها واشتد سواد سوادها، والتأم كل منهما بالآخر وتناسبا حتى أصبغا يشعان الفتنة، ففيهن كل ما شئت من شباب وجمال وحسن ودلال وبهاء حتى يقول صاحبها حين يشاهدها وهو مشدوه حائر الطرف سبحان من أكملك جسماً ومعنى وأعطاك هذا الحسن والإحسان، ويظل طرفه يشرب من كؤوس جمالها ويعبّ من معين فتنتها وسحرها، حتى يصير ثملاً نشوان مثل الشارب السكران.

أما في وصفه لميزان الأعمال عند الله تعالى يوم القيامة، فيقول: (٢)

ولله لسان كفتاه تقيمه والكفتان إليه ناظرتان

فتقديم الجار والمجرور والضمير العائد على الميزان الذي ستوزن عليه أعمال العباد يوم القيامة كان محط العناية والاهتمام، وكون إظهار الميزان في صورته الحسية وأن له لسان يتحدث، وعيون الناس ناظرة إليه، لهو في غاية العناية والاهتمام لأن الله تعالى هو العدل وهو الذي يضع الموازين يوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئاً ولو كان مثقال حبة من خردل لأتى الله بها ووزنها لعباده في ذلك الميزان، فهو الذي سيحكم بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

وفي تقديم المنسوب، فيقول في وصفه لنساء الجنة وحسن تبعلها لزوجها وتحببها إليه: (٣)

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٢.

نُظْفَافاً وَحَسَنَ تَبَعْلٍ وَتَغَنِّجٍ وَتَحَبَّبٍ لِلزَّوْجِ كُلِّ أَوَانٍ

فأراد أن نبدي اهتمامنا وعنايتنا بتلك النساء وتلطفهن بأزواجهن، فهن المتحبيبات المطيعات لهم، والعاشقات المتلطفات والمتغنجات حين المواقعة والجماع، فهن أصحاب الملاحة والحلاوة، فكمال اللذة فيهن أنه لم يطوهن أحد قبلهم لا من إنسٍ ولا من جان.

ووصف مشهد الشوق واللقاء لرب العالمين في الفردوس الأعلى، فقال: (١)

شَوْقاً إِلَيْهِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ الَّذِي لَجَلالَ وَجْهِ الرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ

فقدم الاسم المنصوب لإبداء العناية والاهتمام بهذا الشوق الذي لا يضاهيه شوق ولا متعة في الجنة، فالوجه إليه ناظرة مستبشرة.

قال **الهراس**: " إن الله تعالى يتخذ في الفردوس الأعلى وادياً أفيح فيه كئيبٌ من مسكٍ، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله سبحانه وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكئيب، فيقول الله عز وجل: أنا ريكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك، فيقول قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولديّ مزيد " (٢).

ويقول في وصفه لأهل الدنيا الذين آثروها على الآخرة، فإن حياتهم مليئة بالهم والأحزان والكد والنصب: (٣)

كُدْحاً وَكُدّاً لَا يَفْتَرُّ عَنْهُمْ مَا فِيهِ مِنْ غَمٍّ وَمِنْ أَحْزَانٍ

ومن الوهلة الأولى يظهر معنا حياة أهل الشهوات الخسيسة وحطامها الفاني الذي أعقبهم حسرة وندامة وعذاباً أليماً أوجب سخط الله عليهم بسبب ما اختاروه لأنفسهم من الذل والحرمان، فقدم الاسم المنصوب لإبداء العناية والاهتمام بأحوالهم، لكي نتجنبها ونحذر الوقوع فيها.

ويقول **الميداني**: " وفي كل الأحوال ترجع مزايا التقديم والتأخير إلى أمرين رئيسين هما: (٤)

- ما يفيد زيادة في المعنى وزيادة في جمال اللفظ، وهذا غاية ما يعتني به البلاغ.
- ما يفيد زيادة في أحدهما، ويدخل أيضاً ضمن مقاصد البلاغ "

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٠.

(٢) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢ / ٢٢٦.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٩.

(٤) البلاغة العربية للميداني، ص ٣٦٣.

والشوق يزعجه إليه وما له بلقائه سبباً من الإمكان
وقال في ذبح الموت بين الجنة والنار: (١)

والله ينشئ منه كبشاً أملحاً يوم المعاد يُرى لنا بعيان
وأورد قولاً في وصف الجنة وقيعانها وأن غراسها الكلم الطيب والعمل الصالح، والخسارة والندامة
على من فاتته ذاك الغرس في الجنان فقال: (٢)

وغراسها التسبيح والتكبير والتَّـ حميد والتوحيد للرحمن
تبّاً لتارك غرسه ماذا الذي قد فاتته في مدة الإمكان
وذلك كقوله أيضاً: (٣)

بينما هم في عيشهم وسرورهم ونعيمهم في لذةٍ وتهاني
فيظهر في هذا المشهد لحظةً من أجمل وأروع اللحظات في الجنة عندما يخرج ربُّ
العالمين على عباده الموحدين فيتمتعون بلذة النظر إلى وجهه الكريم، فهم في سرور وحبور ونعيم
دائم جزاءً بما كانوا يعملون.
ويصف ويقول رحمه الله تعالى:

أعلى النعيم نعيمٌ رؤيةً وجهه وخطابُه في جنة الحيوان
ويصف لنا في هذا المشهد أعلى وأرقى النعيم لأهل الجنة، وهي الزيادة لهم سوى ما نالت
النفس من لذة وشهوة، فحديث رب العالمين لهم وصوته جل في علاه يطغى على جميع أنواع
اللذات والشهوات.

وفي وصفه ليوم اللقاء مع العزيز الجبار، يقول: (٤)

فيقول عندي موعدٌ قد آن أن أعطيكموه برحمتي وحناني
فقدم الظرف الذي يختص بجلال الله ووعده لعباده برؤيته وإحلال رضوانه عليهم، وما
ينتزل عليهم من الرحمات والكرامات، وأنه لن يخلف وعده معهم، فالله ينجز وعده لهم بعدما ثقل

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨٩.

موازينهم وبيّض وجوههم وأدخلهم الجنان ونجّاهم من النيران، فيكشف لهم الحجاب فيتلذذون بالنظر إلى وجهه الكريم.

٥- الإشعار بأن الممدوح حاضر في التصور لا يغيب: (١)

وفي هذا المشهد يصف لنا مكانة رسول الله ﷺ في الفردوس الأعلى، فيقول: (٢)

أعلاه منزلةً لأعلى الخلق من — زلةً هو المبعوث بالقرآن

فإن أعلى المنازل في الجنة هي منازل الأنبياء لا تكون لغيرهم، وأن رسول الله ﷺ له أعلى المنازل والدرجات، فهو صاحب الوسيلة والدرجة العالية الرفيعة والمقام المحمود الذي وعده الله إياه يوم القيامة، فهو حاضر ومكانته حاضرة مشرفة مطهّرة لا تغيب عن قلب إنسان يؤمن بالله ورسوله الكريم ﷺ.

(١) البلاغة العربية للميداني، ص ٣٦٤.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٧.

المبحث الرابع الإيجاز والإطناب والمساواة

لقد جمع الخطيب القزويني معني الإيجاز والإطناب والمساواة في تعريف جامع فقال: " هو تأدية أصل المراد بلفظ مساوٍ له، أو ناقصٍ عنه وافٍ، أو زائدٍ عليه لفائدة " (١).

" فقولُه: مساوٍ له هي المساواة، وقولُه: ناقصٌ عنه وافٍ هو الإيجاز، وقولُه: زائدٌ عليه لفائدة هو الإطناب " (٢).

أولاً: الإيجاز:

وتعريفه لغةً:

أوجز وجازةً ووجزاً، وأوجزتُ الكلام قصرته، وأوجزه اختصره وأمرٌ وجيز وكلامٌ وجيز أي: خفيفٌ مقتصر " (٣).

وفي اصطلاح البلاغيين: " هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط مع وفائه بالدلالة على المقصود، والإطناب أداؤه بأكثر من عبارته، سواءً أكانت القلة أم الكثرة راجعة إلى الجمل، أم إلى غير الجمل " (٤).

وهو عند ابن الأثير: " حذف زيادات الألفاظ وهو نوعٌ من الكلام شريفٌ لا يتعلق به إلا فرسان البلاغة من سبق إلى غايتها وضرب في أعلى درجاتها بالقدح المعلى وذلك لعلو مكانه وتعذر إمكانه، وحدّ الإيجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه " (٥).

والإيجاز نوعان:

الأول: إيجاز الحذف: وهو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، وذلك بحذف شيء من الجملة مع عدم الإخلال بالمعنى، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، وقد قال **الحسن المفتي:** "وتقدير الآية: كل سفينةٍ سالحةٍ أو سليمةٍ أو صحيحة، أو غير معيبةٍ بدليل ما قبله" فأردت أن أعيبتها " وهذه دلالة على أن الملك لا يأخذ السفينة المعيبة " (٦).

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص ١٨٠.

(٢) من بلاغة القرآن، ص ١٣٧.

(٣) لسان العرب لابن منظور، ج ٤٢٧/٥.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص ١٧٩، وانظر: البلاغة العربية، للميداني ج ٢/ ٢٦.

(٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية،

بيروت، ١٩٩٥م، ج ٢/ ٦٨.

(٦) خلاصة المعاني للحسن المفتي، ص ٢٨٨.

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في وصف الدنيا بأنها سجن المؤمن وجنة الكافر، فقال: (١)

سَجْنٌ يَضِيقُ بِصَاحِبِ الْإِيمَانِ لـ كُنْ جَنَّةَ الْمَأْوَى لَذِي الْكُفْرَانِ

فجاء بإيجاز الحذف عندما حذف المبتدأ ولم يُحَلَّ بالمعني، فإن ترك المبتدأ في هذا المشهد أفصح من ذكره، وفي ذلك تنبيه وتحذير من اللهث وراء الدنيا وشهواتها.

ويورد **عبد القاهر الجرجاني** قولاً رائعاً في إيجاز الحذف، فيقول: " والإيجاز بالحذف هو بابٌ دقيقٌ المسلك لطيفُ المأخذ عجيبُ الأمر شبيهٌ بالسحر وذاك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجذُّك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبين " (٢).

وقد وردت أقسام عدّة للحذف نذكر بعضها:

١ - **حذف المضاف:** كقوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]، والتقدير: وأسأل أهل القرية.

ونظير ذلك قوله رحمه الله تعالى: (٣)

وَالأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ لِه سَبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّلْطَانِ

فحذف المضاف إليه في سياق الكلام، وتقدير ذلك: لله الأمر من قبل ذلك ومن بعد ذلك.

٢ - **حذف الصفة أو الموصوف:** كقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ٥٩]، والتقدير: آيةً مبصرةً، وقد أورد ابن القيم مشهداً في وصف أهل الجنة وهم يتتعمون في شهواتهم ومجالسهم وفرشهم وكاسات الرحيق التي تطوف عليهم بأكف الولدان المخلدون واللالئ المنثورة عليهم، وأعراسهم وزفافهم إلى غير ذلك من الكرامات، فيصف ويقول: (٤)

فَالْوَصْلُ مَحْفُوفٌ بِحَبِّ سَابِقٍ وَيَلَاحِقُ وَكِلَاهُمَا صَنَوَانِ

فحذف الموصوف وهو الحب، وتقدير الكلام: بحبِّ سابقٍ وبحبِّ لاحقٍ.

ونظير ذلك في وصفه لنساء الجنة اللواتي قصرن طرفهن على أزواجهن فلا ينظرن لغيرهم،

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٨.

(٢) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ١٤٦.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٢.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨٤.

حيث قال رحمه الله في هذا المشهد:

من قاصرات الطرف لا تبغي سوى محبوبها من سائر الشبان

فجاء بالصفة وحذف الموصوف المقدر بالنساء القاصرات.

٣- حذف الفعل:

ويشير لهذا في قوله: (١)

شوقاً إليه ولذة النظر الذي لجلال وجه الرب ذي السلطان

فحذف الفعل، وتقديره: يشناق شوقاً واشتياقاً، ويتلذذ لذةً وتلذذاً.

وقوله أيضاً:

لطفاً وحسن تبعلٍ وتغنّجٍ وتحببٍ للزوج كل أوان

فحذف الفعل في بداية الكلام، والتقدير تتلطف لطفاً وتلطفاً مع زوجها وقت الجماع بحركاتها وغنجاتها وحلاوتها وملاحتها وصبها لعاشقها.

٥- حذف الخبر:

ونظير ذلك فيما أورده ابن القيم بقوله:

فيها الذي والله لا عين رأت كلا ولا سمعت به أذنان

فحذف الخبر وتقدير الكلام موجود فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب

بشر.

وقوله أيضاً في حذف الخبر:

قوتُ النفوسِ وإنما القرآنُ قو ت القلبِ أنى يستوي القوتان

فذكر المبتدأ دون الخبر، وتقدير الكلام: قوت النفوس الطعام والشراب واللهم ونعيم الدنيا الزائل كما أن قوت القلب ذكر الله تعالى وطاعته، والإنابة إليه.

ويقول عبد القاهر الجرجاني: " لا معنى للإيجاز إلا أن يُدَلَّ بالقليل من اللفظ على الكثير

من المعنى" (٢).

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٠.

(٢) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ٣٦٣.

الثاني: إيجاز قصر:

وهو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة من غير حذف كقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَبْصَارِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١]، فقد اشتملت الآية على كل ما تشتهيه الأنفس وتلذذ به العيون.

ونظير ذلك ما ورد في وصف خلود أهل الجنة ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم واستحالة نومهم وموتهم: (١)

هَذَا وَخَاتِمَةُ النِّعِيمِ خُلُودُهُمْ أَبَدًا بَدَارُ الْخُلْدِ وَالرِّضْوَانِ

فشمل هذا البيت جميع معاني النعيم والخلد في الجنان، ودوام حياتهم بلا سقم ولا أحزان ونفي الموت عنهم وبقاء نعيمهم وشبابهم وعدم شقائهم وهرمهم وبؤسهم، وازدياد جمالهم وحسنهم يوم المزيد وهم ينظرون إلى وجه خالقهم تبارك وتعالى ومحاضرتهم له وسعة غفرانه وسماع صوته وإحلال رضوانه عليهم، وكقوله أيضاً وهو يصف الحور العين وجمالهن الذي لا يفنى ولا يبيد: (٢)

حُورٌ حَسَنَاتٌ قَدْ كَمَلْنَ خَلْقًا وَمَحَاسِنًا مِنْ أَجْمَلِ النِّسْوَانِ

فجاء في هذا المشهد بالمعاني الكثيرة والألفاظ القليلة وهو يصف الحور العين وحسنهن وجمالهن، كأن وجوههن البدر من شدة الجمال، فشمل هذا البيت جميع محاسن تلك الزوجات من وصف ثغورهن وصدورهن وخدودهن وعيونهن وأيديهن وأرجلهن كأنهن سبائك الذهب والياقوت ونعومتهم وصفاء أعينهن فنهودهن كألطف الرمان، فهن الكواكب النواهد الأتراب.

ويورد عبد القاهر الجرجاني قولاً في غاية الروعة والبيان، فيقول: " وفي الإيجاز معنى شريفٌ وهو أنّ العاقل إذا نظر عِلْمَ عِلْمٍ ضرورةً أنه لا سبيل له إلى أن يكثر معاني الألفاظ أو يقلّها، لأن المعاني المودعة في الألفاظ لا تتغير على الجملة عما أراده واضع اللغة، وإذا ثبت ذلك ظهر منه أنه لا معنى لقولنا: " كثرة المعنى مع قلة اللفظ "، غير أن المتكلم يتوصل بدلالة المعنى على المعنى لفوائد، لو أنه أراد الدلالة عليها باللفظ لاحتاج إلى لفظٍ كثير" (٣).

(١) دلائل الإيجاز للجرجاني، ص ٢٩٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٦٤.

ثانياً: الإطناب

وتعريفه لغةً:

المبالغة في المنطق والوصف مدحاً أكان أم ذمّاً، وأطنب في الكلام: بالغ فيه، والإطناب:

" المبالغة في مدحٍ أو ذمٍّ والإكثار فيه، وأطنب في الوصف إذا بالغ واجتهد"^(١).

وفي مصطلح البلاغيين: " هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة، وهو خلاف الإطالة، لأن الإطالة زيادة اللفظ على المعنى لغير فائدة " ^(٢).

ويقول عبد العزيز عتيق: " والإطناب والإطالة مترادفان ومقابلان للإيجاز، وهما عند الجاحظ كل ما جاوز مقدار الحاجة من الكلام ولم يقف عند منتهى البغية " ^(٣).

وللإطناب أساليب عدة لدى القدماء قد جعلوها ضمن تقسيمات فنون البلاغة نذكر بعضها:

١- الإطناب بالاعتراض:

- ويكون بالتنزيه:

وهو أن يؤتى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملةٍ أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتةٍ بلاغيةٍ كالتنزيه والتعظيم كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧].

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في قصيدته الشافية في رؤية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى ونظرهم إلى وجهه الكريم، فقال: ^(٤)

ويرونه — سُبْحَانَهُ — من فوقهم رؤيا العيان كما يُرى القمران

ويشير في الرد على من أنكر رؤية الله تعالى في الجنان، وأنه لا يكلم عباده يوم القيامة فيكذبهم ويقول: ^(٥)

والله لولا رؤية الرحمن في الـ جنات ما طابت لذي العرفان

(١) لسان العرب لابن منظور، ج ١/ ٥٦٢.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية، ج ١/ ٢٢٥.

(٣) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص ٢٠٢.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٧.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

أعلى النعيم نعيم رؤية وجهه وخطابه في جنة الحيوان
وأشدُّ شيءٍ في العذاب حبابه — سبحانه — عن ساكني النيران

ويشير في هذا المقطع إلى دعاء رسول الله ﷺ الذي قال فيه: وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، فيقول:

والله ما في هذه الدنيا ألدُّ من اشتياق العبد للرحمن
وكذاك رؤية وجهه — سبحانه — هي أكمل اللذات للإنسان

ويظهر الاعتراض بالتنزيه والتعظيم جلياً في هذا المشهد أيضاً فيقول:

وكذاك يسمعون لذيذ خطابه — سبحانه — بتلاوة القرآن
فالله تعالى يمنّ على عباده بعدما عفا عنهم وأحسن إليهم، بسماع صوته ولذيذ خطابه عندما يتلو عليهم القرآن في الجنة، فيستمعون إليه، وكأنهم لم يسمعه من قبل ذلك.

والغرض البلاغي من التنزيه هو المسارعة إلى تنزيه المولى جل في علاه عن كل نقیصة وعيب.

- ويكون بالدعاء:

وذلك كقوله رحمه الله تعالى: (١)

سُبْحان من غرست يداه جنة الـ فردوس عند تكامل النبيان
ويداه أيضاً أتقنت لبنائها — فتبارك — الرحمن أعظم بان

فظهر التنزيه بالمسارعة في الدعاء للثناء على الله وتمجيد قدرته المطلقة في الخلق.

- ويكون بالتعظيم:

وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكُونُ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٨]، وهذا إشارة إلى قول ابن القيم: (٢)

فالورد والتفاح والرمان في غصن — تعالى — غارس البستان
وقد وردت مواطن كثيرة للإطناب بالتنزيه والتعظيم والدعاء، ذكرنا بعضها على سبيل الاستشهاد لا الحصر.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٠.

٢- الإيضاح بعد الإبهام:

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في حديثه وذمه لمن تعلق قلبه بحطام الدنيا الفاني، فقد أجمل القول في البيت الأول بذكر صفاتهم بصورة عامة، ثم فصل القول في إيثارهم وتفضيلهم للحياة الدنيا على الآخرة وإتباع شهواتهم التي ستشتعل عليهم ناراً يوم القيامة، وحظوظهم الخسيسة ورضاهم بالمذلة والهوان، فجاء هذا إيضاحاً لما كان مبهماً وذلك لتقرير المعنى وتمكينه في ذهن السامع، بعدما عرف صفات هؤلاء الناس وأخلاقهم البائسة، فقال: (١)

عمرت بهم هذي الديارُ وأقمرت
منهم ريوغُ العلم والإيمان
قد آثروا الدنيا ولذة عيشها الـ
فاني على الجنات والرضوان
صحبوا الأماني وابتأوا بحظوظهم
ورضوا بكلّ مذلةٍ وهوان

وقدم وصفاً في غاية الإبداع عندما وصف الحور العين، فقال: (٢)

حور حسان قد كملن خلئقاً
ومحاسناً من أجمل النسوان

فتحدث عن تلك الخرائد الحسان وتمام حسنهن وجمالهن، ولكن بصورة مبهمة، ثم يورد صفاتهن الحسية والمعنوية إيضاحاً وتشويقاً لهن وهو يعلم أن النفس تتطلع لذلك الجمال الساحر فيردف قائلاً:

حمر الخدود ثغورهن لآلى
سود العيون فواتر الأجفان
والريخ مسكٌ والجسوم نواعم
واللون كالياقوت والمرجان
كملت خلئقها وأكمل حسنُها
كالبدر ليل الست بعد ثمان

فيشوقنا لسماع تلك المحاسن بعد الإيضاح والتفصيل لتلك الصفات التي ذكرها كالألوان الزاهية والأجساد الناعمة والثغور التي ترشف مسكاً وشهداً، وجمال أعينهن ورائحتهن الزكية التي فاقت رائحة المسك، وجمال البدر ليلة تمامه في غسق الدجى، والاستئناس بهن والشوق إليهن، لأن النفس تتطلع لجمالهن ووصالهن في كل وقت وحين.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٠.

٣- ذكر الخاص بعد العام:

" ويكون للتنبية على فضل الخاص حتى كأنه ليس من جنس العام، تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات"^(١)، وذلك كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: ٩٨]، فخص جبريل وميكال بالذكر مع أنهما داخلان في عموم الملائكة.

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في رؤية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى، فيقول:^(٢)

والله ما في هذه الدنيا ألدّ من اشتياق العبد للرحمن
وكذاك رؤية وجهه - سبحانه - هي أكمل اللذات للإنسان

فخصّ الوجه في الرؤية دون سائر الأعضاء عامة تنبيهاً على فضل الخاص لما للوجه من كرامةٍ وفضلٍ ومزيةٍ وشرفٍ وبيان أهميتها، وهذه الرؤية من أكمل اللذات التي يُنعم الله تعالى بها على عباده في الجنة، فالله جل في علاه يقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَتَّبِعُ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في ذكر الخاص على العام، قوله في درجات الجنة:^(٣)

درجاتها مائةٌ وما بين اثنتي - من فذاك في التحقيق للحسبان
مثل الذي بين السماء وبين ه - ذي الأرض قول الصادق البرهان
لكن عاليها هو الفردوس مس - قوف بعرش الخالق الرحمن

فخصّ الفردوس بالذكر دون غيرها من الدرجات، مع أنها داخلة في عموم الدرجات المائة، ولكن تنبيهاً على فضل الخاص دون غيره وهو الفردوس الأعلى لما في ذلك من مزايا وفضائل يكفي لنا من ذكرها أن سققها هو عرش الرحمن.

وأيضاً في وصفه لأبواب الجنة، فقال:

أبوابها حقّ ثمانية أتت في النص وهي لصاحب الإحسان
بابُ الجهاد وذاك أعلاها وبأب في الصوم يُدعى الباب بالريان

(١) شرح عقود الجمان، للسيوطي، ص ٧٢، وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقرظيني، ص ١٩٧.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٠.

فخصّ بالذكر بابَ الجهادِ في سبيل الله وهو أعلى الأبواب في الجنة، وباب الريان مع ما فيه من كرامة عظيمةٍ للصائمين، مع أن هذين البابين داخلان في عموم الأبواب الثمانية، ولكنه خصهما بالذكر لما لهما من شرف عظيم عند الله تعالى، وبيان لأهميتهما وفضلهما.

وذكره لبعض أسماء الجنة دون غيرها، فيقول:

هي جنة طابت وطاب نعيمها فنعيمها باقٍ وليس بفانٍ
دار السلام وجنة المأوى ومنه زل عسكر الإيمان والقرآن

فذكر الجنة بصفقتها واسمها المعروف العام والمألوف لدى جميع الخلق دون تخصيص، ثم أورد نوعين من تلك الجنان وهما، دار السلام وجنة المأوى، وفي هذا إشارةً للتبنيه على فضل الخاص بعد العام، فدار السلام قد سلمت من كل آفة وبليّة، وجنة المأوى الأبدية التي يأوي إليها صاحبها ولا يخرج منها، ولا يرتحل عنها.

٤- ذكر العام بعد الخاص:

كقوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨]، "قالمؤمنون والمؤمنات لفظان عامان يدخل فيهما كل ما ذكر قبلهما وكأن الخاص ذكر مرتين، مرة منفرداً ومرة ضمن العموم، وفي هذا عناية واهتمام بذكر الخاص" (١).

ونظير ذلك في وصفه لحليّ أهل الجنة وألوانهم، فقال: (٢)

ألوانهم بيض وليس لهم لحي جعد الشعر مكحلو الأجنان
هذا كمال الحسن في أبشارهم وشعورهم وكذلك العينان

فكمال الحسن في وجوههم وجمال شعورهم وسحر عيونهم، ألفاظ عامة ينطوي تحتها كل ما ذكر قبلها من بياض الألوان وتكحيل الأجنان، وكأن الخاص ذكر مرتين، وفي هذا تمام العناية والاهتمام بشأن الخاص وبيان فضله.

٥- التكرار: وهو دلالة اللفظ على المعنى مكرراً، ويكون أبلغ في:

- التأكيد والإنذار:

كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣-٤]، وقوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ *﴾

(١) من بلاغة القرآن، ص ١٤١.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٥.

مَا الْقَارِعَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةَ ﴿ [الفارعة: ١-٣]، فجاء التأكيد والإنذار بالتكرار لكي يكون أبلغ في التحذير والتخويف.

ويقول ابن قتيبة: " والتكرار تنبيهٌ للعافلين وشحذٌ لهمة المؤمنين، وزيادةٌ في التوكيد والإفهام والتحذير"^(١). ونظير ذلك في حديثه عن عشاق الدنيا الذين خسروا أنفسهم وحرمانهم رضا ربهم، فقال:^(٢)

يا عاشق الدنيا تاهب للذي قد ناله العشاق كل زمان
أو ما سمعت بلى رأيت مصارع الـ عشاق من شيبٍ ومن شبان
فأتى بلفظ العشاق مكرراً للمبالغة في التأكيد والإنذار من عاقبتهم المخزية وعذابهم الأليم الذي سيتعرضون له ويحلّ بهم يوم القيامة.

ويورد ابن القيم مقطعاً آخر في أسبق الناس دخولاً إلى الجنة، فيقول:^(٣)

هذا وأمةٌ أحمدٍ سُبَّاقٍ با قي الخلقٍ عند دخولهم لجنان
وأحقُّهم بالسبق أسبقُهم إلى الـ إسلام والإيمان والتصديق بالقرآن
ولذا أبو بكرٍ هو الصديقُ أسـ بقهم دخولاً قولَ ذي البرهان

فجاء بالتأكيد والتكرار في السبق للتشويق والترغيب فيه والتشهير نحو الجنة، مبيناً فضل أبي بكرٍ الصديق في هذا السبق، كيف لا، وربنا عز وجل ينزل قرآنه الكريم على قلب نبيه الكريم في صحبة الصديق ﷺ، فإن الله تعالى حرّم الجنة على الأمم حتى تدخلها أمة أحمد عليه الصلاة والسلام.

- وفي التعجب والتشويق والاستمالة، يقول رحمه الله تعالى:^(٤)

أو ما سمعت سماعهم فيها غنا ء الحور بالأصوات والألحان
وهاً لذيالك السماع فإنه مئنت به الأذنان بالإحسان
وهاً لذيالك السماع وطيبه من مثل أقمار على أغصان

(١) تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت ٢٧٦هـ)، تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ص ١٤٨.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٦.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧٣.

واهاً لذيالك السماع فكم به للقلب من طرب ومن أشجان
واهاً لذيالك السماع ولم أقل ذياك تصغيراً له بلسان
واهاً لذا السُّوق الَّذِي مِنْ حَلِّهِ نال التهاني كلها بأمان

فقد أورد الألفاظ السابقة مكررةً للتعجب من طيب الشيء ولذته، واستمالة المخاطب وترغيبه بترك سماع الأغاني في الدنيا لسماع غناء أهل الجنة من الحور العين والولدان المخلدين، فجاء بتكرار " واهاً " والتي أفادت معنى التعجب، وتكرار " ذياك " التي أفادت الرقة والتشويق.

وفي ذمه لمن أثر غناء الدنيا على غناء الحور العين بأجمل الأصوات والألحان، واختياره لذلك اللهو الذي هو بمثابة السم في الأبدان، فوصف وقال:

قوتُ النفوسِ وإنما القرآنُ قو تُ القلب أنى يستوي القوتان

فذكر القوت بالتكرار والتأكيد للاستبعاد وإفادة معنى التعجب من تساوي قوت النفس الفاني بقوت القلب الباقي.

٦- التوشيع:

وهو عند القزويني: " أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر" (١). وذلك كقولك: " العلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان، وفائدة التوشيع أنه يخرج لنا الكلام من الخفاء المستوحش إلى الظهور المأنوس" (٢).

وقد صدر التوشيع جلياً في وصف ابن القيم لمنشور الجنة وتوقيع أهلها عليه، فقال: (٣)

ولذاك يُكتب للفتى لدخوله من قبل توقيعان مشهودان
إحداهما بعد الممات وعرض أر واح العباد على الـديان
فإذا انتهى للجسر يوم الحشر يُعـ طى للدخول إذاً كتاباً ثاني

فذكر الكتاب الأول الذي يوقعه رب العالمين لعبده بعد الممات لحظة العرض للحساب يوم القيامة، والكتاب الثاني لحظة عبور الجسر في يوم المحشر قبل دخول الجنة أو النار، فبيّن لنا الكلام المبهم المستوحش بطريقة نستأنس بها، ونتشوق إليها.

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص ١٩٧، وانظر: خلاصة المعاني للحسن المفتي، ص ٢٩٧.

(٢) من بلاغة القرآن، ص ١٤٢

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٢.

ويقول ابن عيسى: " وهذا الكتاب مكتوب كتابةً حقيقية لعباد الله الأبرار، موقعاً لهم بمشهد المقربين من الملائكة والنبیین وإشهاراً لهذا العبد وإظهاراً له بين خواص خلقه كما تكتب الملوك تواقع من تعظّمه من بين الأمراء وخواص أهل المملكة تنويهاً باسم المكتوب وإشارةً بذكره وهذا نوعٌ من صلوات الله سبحانه وملائكته على عبده المؤمن" (١).

٧- الإيغال:

وهو ختم البيت بكلمة أو عبارة يتم المعنى بدونها، ولكن تعطيه قافيةً وتضيف إلى معناه التام معنى زائداً، كقوله تعالى: ﴿ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [يس: ٢٠ - ٢١]، وفي هذا الموضع قال الحسن المفتي: فقوله: " وهم مهتدون " إيغالٌ لأن المعنى يتم بدونه لأن الرسل مهتدون لا محالة، والنكته البلاغية هي زيادة الحث على إتباعهم والترغيب، أي لا تخسرون شيئاً من دنياكم، وتربحون صحة دينكم، فينتظم لكم خير الدنيا والآخرة" (٢).

ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في قصيدته لحظة وصفه للحوار العين وجمال أقدامها المركبة من سبائك الذهب والفضة مثل العاج، فيرى مخ العظام من فوق سبعين حلة، فقال: (٣)

أقدامها من فضةٍ قد رُكِّبت من فوقها ساقان ملتفان

فأتى بالإيغال في كلمة " ملتفان "، مع أن المعنى مكتملٌ من دونها، ولأن القدمين لا محالة ملتفان ومستديران، فأراد المبالغة في وصف أقدامها فلم يكتفِ بذكر الأقدام دون وصفها مع أن الأقدام مألوفة لدى الناس بصفاتنا وشكلها.

ونظير ذلك أيضاً في وصفه ليديها ونعومتها، فقال: (٤)

والمعصمان فإن تشأ شَبَّههما بسبيكتين عليهما كفان

فأتى بالإيغال في كلمة " عليهما كفان " مع أن المعنى قد اكتمل، ولكنه أعطى معنىً جديداً زائداً لمناسبة القافية والتشويق لهاتين الكفتين، لأنهن أشد ليناً ونعومة ملمسٍ من الزبدة، ونفي التهمة عما يشوبهن من نقص وأذى.

(١) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج ٢ / ٤٧٧

(٢) خلاصة المعاني للحسن المفتي، ص ٢٩٨ .

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٢.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨١.

وفي وصفه لتغورهن وخدودهن وأعينهن، فيقول: (١)

حمر الخدود تغورهن لآلىء سود العيون فواتر الأجفان

فجاء بالإيغال في قوله " فواتر الأجفان " مع أن المعنى قد اكتمل في قوله سود العيون، فالأجفان من العيون، وهي جزء لا يتجزأ منها ولكنه ذكرها زيادة في التوضيح والتشويق لهذا الجمال الرائع الخلاب، وقد وردت مواضع كثيرة في الإيغال ولكننا اكتفينا بذكر هذه المشاهد، وليس ذلك على سبيل الحصر.

٨- الاحتراس:

قال ابن الناظم: " ويكون حينما يأتي المتكلم بمعنى يمكن أن يدخل عليه فيه لوم، فيظن لذلك ويأتي بما يخلصه منه، فيردفه بكلام آخر ليصونه عن احتمال الخطأ" (٢)، كقوله تعالى: ﴿فَبَيْنَ قَاصِرَاتِ الطُّرْفِ لَمْ يَلْمِئُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ [الرحمن: ٥٦]، فجاء بالاحتراس عندما ذكر الإنس، فنشأ توهم أن يمسه جن فدفع ذلك التوهم بهذا الاحتراس.

ونظير هذا ما ورد في القصيدة الكافية الشافية، في وصفه للأوانس في الجنان، فقال: (٣)

بكر فلم يأخذ بكارتها سوى الـ محبوب من إنسٍ ولا من جان

فأورد الاحتراس في هذا المشهد وهو يصف تلك النساء الجميلات اللاتي لم يمسهن من قبل ذلك أحد، لا من إنسٍ ولا من جان، فهذه الحوراء الفاتنة لمحبوبتها وعاشقها من الإنس، فهو الذي يفض بكارتها وينشغل بها لا غيره، فجاء بالاحتراس في ذكره للإنس، فتوهم من ذلك أن الجن يفض أبقارهن ويمسهن، فدفع هذا التوهم بهذا الاحتراس.

٩- التذييل: " وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها توكيداً" (٤).

وهو عند ابن الناظم: "أن تأتي بعد تمام الكلام بمشتمل على معناه من جملة مستقلة بنفسها لإفادة التوكيد والتحقيق ودلالة منطوق الكلام، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَائُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]، لأن في المعطوف إعادة للمعنى إلهاماً للغبي، وتقريباً عند الذكي لاستحقاق

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

(٢) المصباح في المعاني لابن الناظم، ص ٢١٥، وانظر: علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص ٢١٩.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٢.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة للقرظيني، ص ٢٠٠.

العذاب بالكفر".^(١)، وقد جاء بالتذييل توكيداً لما قبله لاشتماله على معناه، وكقوله تعالى أيضاً: ﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [يوسف: ٥٣]، فجملة: "إن النفس لأماراة بالسوء" مستقلة قد اشتملت على معنى الجملة السابقة، فجاء التعقيب بالتذييل لتأكيد المعنى.

ونظير هذا من قصيدة ابن القيم قوله وهو يصف الزمرة الأولى التي تدخل الجنة، فيقول:^(٢)

هَذَا وَأُولَ زَمْرَةٍ فُوجٍ وَوَهُمْ كَالْبَدْرِ لَيْلِ السَّيْتِ بَعْدَ ثَمَانِ

السَّابِقُونَ هُمْ وَقَدْ كَانُوا هُنَا أَيْضاً أَوْلَى سَبْقٍ إِلَى الْإِحْسَانِ

فَعَقَّبَ عَلَى الْجُمْلَةِ الْأُولَى بِجُمْلَةٍ أُخْرَى تَشْتَمِلُ عَلَى نَفْسِ الْمَعْنَى، فَأُولَ زَمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ

هم السابقون لدخول الجنة، فجاء التعقيب بالتذييل لزيادة معنى التوكيد بين الجملتين، مع أن الجملة الثانية مستقلة في معناها عن الجملة الأولى.

ويأتي بالتذييل في مشهدٍ آخر، وهو يصف مفتاح باب الجنة، فيقول:^(٣)

هَذَا وَفَتْحَ الْبَابِ لَيْسَ بِمَمْكِنٍ إِلَّا بِمِفْتَاحٍ عَلَى أَسْنَانِ

مِفْتَاحِهِ بِشَهَادَةِ الْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ وَحَيْدِ تِلْكَ شَهَادَةِ الْإِيمَانِ

فذكر باب الجنة ومفتاحها الذي هو شهادة الإخلاص والتوحيد والمحبة لجلال الله، وقد جاء بالتذييل معقباً بالجملة الثانية على الأولى مع أنهما اشتملا على نفس المعنى.

ثالثاً: المساواة:

لغةً: "سَوِيَّتٌ وَسَاوَيْتُ الشَّيْءَ وَسَاوَيْتُ بِهِ وَأَسْوَيْتُهُ بِهِ وَتَسَاوَيْتُ الْأُمُورَ وَاسْتَوَيْتُ، وَسَاوَيْتُ بَيْنَهُمَا أَيْ سَوَيْتُ، وَاسْتَوَى الشَّيْئَانِ وَتَسَاوَايَا تَمَاثِلًا"^(٤).

وفي اصطلاح البلاغيين: "أن تكون الألفاظ على قدر المعاني، والمعاني على قدر الألفاظ لا يزيد بعضها على بعض، وهي الطريق الوسط بين الإيجاز والإطناب"^(٥)، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجِيءُ

(١) المصباح في المعاني والبيان والبدیع، لابن الناظم، ص ٢١٨ .

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٣ .

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦١ .

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ج ٤١٠/١٤ .

(٥) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص ٢٢٠ .

المَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴿﴾ [فاطر: ٤٣]، فقد جاءت الألفاظ بقدر المعاني، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠].

والمساواة عند ابن الأثير: "هو ما ساوى لفظه معناه" (١).

ويقول ابن الناظم: "والكلام لا يخلو عن أحد الأمور الثلاثة، المساواة والتضييق والتوسيع، فالمساواة، أن يكون لفظ الكلام بمقدار معناه لا ناقصاً عنه ولا زائداً عليه كالاقتراض والتنميم والتكرار، فتكون الألفاظ قوالب المعاني" (٢).

ونظير ذلك في القصيدة الكافية الشافية في خطاب الله عز وجل للجنة بعدما زينها لعباده المؤمنين، وأمرها أن تتكلم، فقال: (٣)

لما قضى ربُّ العباد العرشَ قَا لَ تَكَلَّمِي فَتَكَلَّمْتِ بَبِيَان

فقد جاء بالألفاظ مساويةً للمعاني في قوله: "تكلمي، فتكلمت ببيان"، فقد جاءت الكلمة جامعةً لكل معاني الكلام الطيب الذي تشاق له النفوس وتنمناه وتتطلع إليه.

ووصفه لغرفات الجنة وأهلها، وأنهم أهل الصيام والقيام وطيب الكلمات والإحسان، فقال: (٤)

سكانها أهل القيام مع الصيا م وطيّب الكلمات والإحسان

فجاءت المعاني في هذا المشهد على قدر الألفاظ بالتمام والكمال دون زيادة أو نقصان، وقد تضمن هذا البيت معنى حديث رسول الله ﷺ الذي رواه عليّ رضي الله عنه، قال: "إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام" (٥).

قال الهراس: "فقد قاموا بحق الله وحق عباده، فحصلتان من هذه الخصال هما خالص حقه سبحانه، وهما أداء الصيام، والصلاة بالليل والناس نيام، وثنتان من حقوق العباد، وهما لين الكلام وإطعام الطعام" (٦).

(١) المثل السائر، ابن الأثير، ج ٢/٧٤ .

(٢) المصباح في المعاني لابن الناظم، ص ٧٣ .

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٨ .

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧٠ .

(٥) رواه الترمذي، باب ما جاء في قول المعروف، ٤٢٢/٣، رقم الحديث: ١٩٨٤ .

(٦) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢/٣٦٤ .

وقوله في سماع غناء الحور العين في الجنان والشوق إليهن: (١)

أَوْ مَا سَمِعْتَ سَمَاعَهُمْ فِيهَا غَنَاءُ عِ الْحُورِ بِالْأَصْوَاتِ وَالْأَلْحَانِ

فجاء بالألفاظ مساويةً للمعاني دون الإخلال، سواءً بالزيادة أو النقصان، فمادة الصوت من خلال السماع لا من غيره، ومادة الغناء والطرب لا تكون إلا بالألحان.
وقوله أيضاً:

نَحْنُ النَّوَاعِمُ وَالْحَوَالِدُ خَيْرًا تَمَامَاتُ الْحَسَنِ وَالْإِحْسَانِ

فالحور العين يجتمعن في الجنة فيرفعن أصواتهن فيغنين أزواجهن بأطيب الأصوات التي لم تسمعها الخلائق من قبل، فيقلن: نحن الخالدات فلا نبديد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكتنا له، وقد جاءت الألفاظ في هذا المشهد على قدر المعاني، فقد طهرهن الله تعالى من الظاهر، فأكمل حسنهن وجمالهن ونعومتهن، ومن الباطن بإزالة الدنس الأخلاقي والغيرة والحقد الكراهية، ولسان حالهن نحن الكريمات للكرام.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٣.

المبحث الخامس الوصل والفصل

الوصل لغةً:

وهو خلاف الفصل، من وصل الشيء بالشيء يصله وصلاً وصِلةً وصَلَّةً واتصل الشيء بالشيء لم ينقطع، والفصل الحاجز بين الشئيين، فصل بينهما فصلاً فانفصل، وفصلت الشيء فانفصل أي قطعته فانقطع" (١).

أما في اصطلاح أهل البلاغة:

فالوصل: "هو عطف بعض الجمل على بعض بالواو فقط دون سائر حروف العطف الأخرى، لأن الواو هي الأداة التي تخفى الحاجة إليها ويتطلب فهم العطف بها دقةً في الإدراك، والفصل ترك هذا الوصل" (٢).

ويقول إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني:

" اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورةً تُستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعرابُ الخُلص والأقوام الذين طُبعوا على البلاغة وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: معرفةُ الفصل من الوصل ذاك لغموضه ودقة مسلكه وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة" (٣).

وهما عند السكاكي: " محك البلاغة ومنتقد البصيرة ومضمار النظائر ومتفاضل الأنظار ومعيار قدر الفهم ومسبار غور خاطر ومنجم صوابه وخطئه ومعجم جلانه وصدائه وهي التي إذا طبقت فيها المفصل شهدوا لك من البلاغة بالقدح المعلى وإن لك في إبداع وشيها اليد الطولى" (٤).

وعند الفزويني: " الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة فنّ منها عظيم الخطر صعب المسلك دقيق المأخذ لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علماً بكنهه إلا من أوتي في فهم كلام العرب طبعاً سليماً ورُزق في إدراك أسراره ذوقاً صحيحاً ولهذا قصر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل من

(١) لسان العرب لابن منظور، ج ١١ / ٥٢١ - ٧٢٦، مادة وصل وفصل.

(٢) من بلاغة القرآن، ص ١٢٥، وانظر: علم المعاني، ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٣) دلائل الإعجاز، ص ٢٢٢.

(٤) مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٢٤٩.

الوصل، ولا يكمل فيه أحد، إلا كمل في سائر فنونها فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه في البيان^(١).

"واعلم أن بلاغة الوصل لا تتحقق إلا بالواو العاطفة فقط، لأنها الأداة التي لا تفيد إلا الربط وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم، وهذا ما لا تؤديه بقية حروف العطف إذ إنها تفيد مع التشريك معانٍ أخرى كالترتيب مع التراخي في " ثم " بمهلة، والترتيب مع التعقيب في الفاء بغير مهلة، فالعطف بالواو يشترط فيه أن يكون بين الجملتين جامع"^(٢).

مواضع الوصل:

الأول: أن تكون الجملتان متفقتين خبراً وإنشاءً، لفظاً ومعنى، وكان بينهما جهة جامعة، يعني مناسبة تامة، فعطف جملةً خبرية على جملةً خبرية أخرى، أو جملةً إنشائية على جملة إنشائية أخرى في اللفظ والمعنى.

وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤]، فالأولى خبرية في اللفظ والمعنى، والثانية خبرية في اللفظ والمعنى، وكقوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادُعْ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الشورى: ١٥]، فعطف فعل الأمر " ادع " على نظيره " استقم "، وعطف النهي على الأمر في قوله: " ولا تتبع " وهو من باب عطف الجملة الإنشائية على إنشائية مثلها.

١ - عطف الجملة الخبرية على جملة خبرية مثلها:

ومنه ما أورده ابن القيم في قصيدته عندما وصف الجنة التي أعدها الله ذو الفضل والمنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة، فقال:^(٣)

هي جنة طابت وطاب نعيمها فنعيمها باقٍ وليس بفان
فقد عطف جملة " طاب نعيمها " على جملة " طابت " وهذا من باب عطف الجملة الفعلية على مثلها، وقد اتفقت الجملتان في الخبرية واللفظ والمعنى.

وفي وصفه للزمر التي تدخل الجنة ووجوههم كالبرد من شدة الجمال، فقال:^(٤)

أمشاطهم ذهب ورشحهم فمس كخالص ياذلة الحرمان

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص ١٥١.

(٢) من بلاغة القرآن، ص ١٢٥ - ١٢٦، وانظر: علم المعاني، ص ١٧٥.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٦٣.

فقد عطف في هذا المشهد جملةً خبريةً على أخرى مثلها، وكلتا الجملتين اسميتان، فجملة رشحهم مسكٌ معطوفةٌ على جملة أمشاطهم ذهبٌ، وقد اتفقتا لفظاً ومعنىً.

وفي وصفه لبناء الجنة، وأن بناءها من لبنات الذهب والفضة، فيقول رحمه الله: (١)

وقصورها من لؤلؤٍ وزبرجدٍ أو فضّة أو خالص العقيان

فقد عطف الزبرجد على اللؤلؤ، وهو من باب عطف الجار والمجرور على نظيره، وقد اتفقتا في الخبرية واللفظ والمعنى، وفي وصفه لطعام أهل الجنة وشرابهم وصحافهم وهضمهم وتصريفه، وأن الجنة منزهة عن كل دنسٍ وآفة، فقال: (٢)

وطعامهم ما تشتهيه نفوسهم ولحوم طير ناعم وسمان
وفواكه شتى بحسب مناهم يا شبعةً كملت لذي الإيمان
لحم وخمر والنساء وفواكه والطيب مع روح ومع ريحان
وصحافهم ذهبٌ يطوف عليهم بأكف خدامٍ من الوردان
لا غائطٌ فيها ولا بولٌ ولا مخطٌ ولا بصقٌ من الإنسان

فجاء بالعطف متعدداً في هذا المقطع الرائع، مشتقلاً على الخبرية في جميعها، مع الاتفاق في اللفظ والمعنى، فعطف الطيور السمينية على الناعمة اللذيذة وهذا لكمال اللذة، وعطف الفواكه الكثيرة التي لا تتقطع ولا تقنى على لحوم الطير، وعطف طيب الروح والريحان على لذة اللحم والخمر والنساء في الجنان، وقد ورد الوصل بالعطف متناثراً في أرجاء القصيدة، ولكننا ذكرنا بعضه على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر.

وفي وصف الحور العين ونعومتهم وحلاوتهم، فيقول: (٣)

والريح مسكٌ والجسوم نواعمٌ واللون كالياقوت والمرجان

فوصل بالعطف جملة "والجسوم نواعم" على جملة "والريح مسك"، وهو من باب عطف الجملة الخبرية على الخبرية، مع الاتفاق في اللفظ والمعنى.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٢.

٢- عطف الجملة الإنشائية على جملة إنشائية مثلها:

ومنه في الحث على مواصلة الطاعات والقربات لله تعالى، وبذل الغالي والنفيس للوصول إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، فقال: (١)

أسرع وحث السير جهدك إنما مسراك هذا ساعة لزمان
فأعشق وحدث بالوصال النفس وابـ نذل مهراً ما دمت ذا إمكان
واجعل صيامك قبل لقيها ويو الوصل يوم الفطر من رمضان
واجعل نعوت جمالها الحادي وسر تلقى المخاوف وهي ذات أمان

فقد جاء الوصل بالعطف في هذه المقطوعة، فعطف جملة " حث السير " على جملة " أسرع "، وجملة " حدث بالوصال " على جملة " اعشق "، وجملة " سر " على جملة " اجعل "، وكل هذه الجمل من باب عطف الجملة الإنشائية على نظيرتها الإنشائية المتفقة في اللفظ والمعنى، وقد ورد الإنشاء بأفعال الأمر المنكرة والتي تفيد الوجوب. ومثل ذلك في قوله أيضاً:

واحفظ حدود الرب لا تتعددها وكذلك لا تجنح إلى النقصان

فعطف جملة فعلية على أخرى مثلها، وكلتا الجملتين إنشائيتان، فالأولى أمر وهي " احفظ " والثانية نهي وهي " لا تتعددها ".

ويقدم نصيحة لمن أراد أن يتعفف ويصون نفسه في الدنيا، مبيناً أن الحياة الدنيا متاع الغرور وما عند الله خير وأبقى لمن اتقى، والله تعالى وعد المؤمنين بالراحة الأبدية في الجنة، وما الصبر على المكروه إلا صبر ساعة، فيقول: (٢)

فاجمع قواك لما هناك وغمض الـ عيين واصبر ساعة لزمان

فعطف جملة إنشائية على جملة إنشائية، وهي عطف الأمر على الأمر، وذلك في قوله:

" فاجمع، وغمض، واصبر ".

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٣.

الثاني: " أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً، ولكن لو ترك العطف لأوهم خلاف المعنى المراد، وتتمثل شواهد هذا النوع من الوصل في الإجابة بالنفي على سؤالٍ أداته "هل أو همزة التصديق" مع التعقيب على جملة الجواب المنفي بجملةٍ دعائية.

ونظير ذلك في وصفه لأهل الجنة وهم في شغلهم فاكهون مع الأوانس الأبيكار من الحور العين، فقال: (١)

أتلومه أن صار ذا شغل به لا والذي أعطى بلا حسابان

فجاء العطف بالواو في جواب لمن سأل: أيلام أهل الجنة على شغلهم في فض الأبيكار؟ وذلك أيضاً، كقولك لمن عرض عليك شيئاً: لا وشكراً لك وقولك: لا وحفظك الله وذلك لئلا يشتبه الدعاء له بالدعاء عليه" (٢).

الثالث: " أن يكون للجملة الأولى محل من الإعراب، ويقصد التشريك بينهما في الحكم الإعرابي، وهو كعطف المفرد على المفرد، لأن الجملة لا يكون لها موقعٌ من الإعراب حتى تكون واقعةً موقع المفرد" (٣).

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَلَّغُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢].

والأصل أن يكون مناسبةً بين الجملتين المعطوفتين، وأن تتفقان في الاسمية والفعلية، يعني عطف الجملة الاسمية على جملة اسمية مثلها، وعطف الجملة الفعلية على جملة فعلية مثلها سواءً أكانت في الماضي أم المضارع أم الأمر، فتحدث المناسبة بين الجملتين، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَبْضُ وَيَسْطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، فجاء بعطف الجملة الفعلية المضارعة في قوله: " يبسط "، على الجملة الفعلية المماثلة لها في قوله: " يقبض "، ونظير هذا ما أورده ابن القيم في قوله: (٤)

فيها الذي والله لا عين رأت كلا ولا سمعت به أذنان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٢.

(٢) علوم البلاغة للمراغي، ص ١٦٤، وانظر: علم المعاني، ص ١٨٥.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة للفرزويني، ص ١٥١ - ١٥٢، وانظر: علوم البلاغة للمراغي، ص ١٦٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩٢.

فجاءت الجملتان متفتحتين في الفعلية، فعطف الجملة الفعلية الماضية على نظيرتها الماضية.

وقوله أيضاً: (١)

ولِذَاكَ تَثْقَلُ تَارَةً وَتَخْفُفُ أَخْرَى — رَى ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ ذُو تَبْيَانٍ

فأورد الجملة الفعلية المضارعة معطوفةً على جملة فعلية مشابهة لها وهي: تثقل تارةً وتخفف أخرى.

وفي وصفه للجنة بأنها قيعان وأنّ غراسها الكّلم الطّيب والعمل الصالح، فهنيئاً لمن غرس في ذلك البستان، فقال رحمه الله تعالى: (٢)

وغراسها التسبيح والتكبير — والتحميد والتوحيد للرحمن

فجاءت جميعها معطوفة على بعضها، وهي من باب عطف الجملة الاسمية على مثلها.

ووصفه للحوراء في الجنة وهي تتبختر وتتمايل كتمايل الأغصان الذي يحمل الورد والتفاح والرمان، فتسير في الجنة متباهية في الجنة والوصائف والخدم عن أيمانها وشمائلها، إلى أن تصل زوجها فيضمها وتضمه، ثم يستلقيا على فرشيهما خلوان، فيقول رحمه الله: (٣)

وإذا بدت في حلة من لبسها — وتمايلت كتمايل النشوان

فجاء الوصل بعطف جملة فعلية على أخرى مثلها، وكلتا الجملتين في الزمن الماضي، وذلك في قوله: " بدت ، وتمايلت".

مواضع الفصل:

الأول: أن يكون بين الجملتين اتحاد تام، وهو ما يسمى " كمال الاتصال " .

وذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيداً للأولى، أو بياناً أو بدلاً منها.

وذلك كقوله تعالى: ﴿فَمَهَلِ الْكَافِرِينَ أَنِمْهُمْ رُؤُودًا﴾ [الطارق: ١٧]، " فالجملة الثانية في الآية الكريمة توكيد لفظي للجملة الأولى " (٤).

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٣.

(٤) من بلاغة القرآن، ص ١٣٠.

ومما ورد من مواضع الفصل الذي تكون فيه الجملة الثانية توكيداً للأولى قول ابن القيم في القصيدة النونية: (١)

فيقول سبحان الذي ذا صنعه سبحان متقن صنعة الإنسان

فقد اشتمل البيت على جملتين، فإذا تأملناهما وجدنا بينهما اتحاداً تاماً في المعنى، فالجملة الثانية جاءت توكيداً للأولى، لأن معناهما واحد، وهو تعظيم الله تعالى في إبداعه لخلق الحور العين في الجنة، فهذا صنع الله الذي أنقن كل شيء.

وظهر ذلك جلياً أيضاً في قوله: (٢)

فيها الذي والله لا عين رأت كلا ولا سمعت به أذن

كلا ولم يخطر على قلب امرئ فيكون عنه معبراً بلسان

فإذا تدبرنا الجمل في هذه المقطوعة نجد أنها متشابهة في التوكيد ومتحدة اتحاداً تاماً في المعنى فجملة " كلا ولم يخطر على قلب امرئ " لم تأت إلا توكيداً للجملة الأولى ومتصلة اتصالاً تاماً بها، وهى: " كلا ولا سمعت به أذن "، فأراد أن يؤكد أمراً مهماً وهو أن الله تعالى أعد لعباده الصالحين في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأن الإنسان مهما يتصور ويتخيل النعيم الذي أعده الله لعباده في الجنة فلن يستطيع أن يصف وصفاً حقيقياً للنعيم هناك، وسيبقى عاجزاً أمام قدرة الله تعالى في إبداعه وخلقته.

ومما ورد في الفصل على أن الجملة الثانية بيانٌ للأولى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٤-٣]، فجاءت الجملة الثانية في الآية الكريمة بياناً لما ورد في الجملة الأولى.

ومثل ذلك ما ورد في القصيدة النونية، قوله رحمه الله: (٣)

فالشوق لذة روحه في هذه الدنيا ويوم القيامة الأبدان

تلتذ بالنظر الذي فازت به دون الجوارح هذه العينان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٩٠.

فإذا تدبرنا الجملتين وجدنا بينهما اتحاداً تاماً في المعنى، فالجملة الثانية وهي: " تلتذ بالنظر الذي فازت به "، لم تجئ في الواقع إلا لإيضاح إبهام الجملة الأولى وهي: " فالشوق لذة روحه"، فالثانية بيان للأولى.

فلا شيء أعظم من اشتياق العبد للرحمن ولذة النظر إلى وجهه الكريم، فإن النظر لوجه الله الكريم في الجنات من أكمل اللذات للإنسان وأعلى النعيم له، وهو من تمام الرضوان من الله تعالى على عباده المؤمنين، فيتلذذون شوقاً للوصول إليه، ثم يتلذذون شوقاً لرؤيته.

قال ابن عيسى: " إن أعلى نعيم أهل الجنة هو نعيم رؤية وجه ربهم، فبينما هم في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا بر بهم جل في علاه قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال السلام عليكم يا أهل الجنة، فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه تبارك وتعالى" (١).

ونظير ذلك في قوله: (٢)

فتثير أصواتاً تلتذ لمسمع الـ إنسان كالنغمات بالأوزان

فإذا دققنا في الجملتين الفعليتين نجد أنهما قد اتفقتا اتفاقاً تاماً في المعنى، وهما: " تثير أصواتاً، تلتذ لمسمع الإنسان "، فقد جاءت الجملة الفعلية الثانية موضحةً للأولى من حيث إثارة الصوت الذي تحدثه نواذب الأغصان في الجنان، فيتربت على هذه الإثارة لذة السماع لهم وهم في روضة يحبرون، فيأتين الحور الحسان فيغنين بأجمل الأصوات والألحان، نحن النواغم الخوالد خيرات الحسن والإحسان.

ومما ورد في الفصل على أن الجملة الثانية بدلاً من الأولى قوله تعالى: ﴿أَمْدُكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمْدُكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ * وَجَنَاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: ١٣٢ - ١٣٤].

ونظير ذلك ما أتى به ابن القيم في قصيدته، فقال: (٣)

فيهنَّ حور قاصرات الطرف خيـ رات حسان هن خير حسان
خيرات أخلاق حسان أوجهاً فالحسن والإحسان متفقان

(١) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج ٢/٥٧٩.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٠.

فوصفهن بأنهن خيرات حسان، ثم وصف هذا الحسن وجماله في وجوههن، في قوله حسان أوجهاً، فجاءت الجملة الثانية بدلاً من الأولى، وهو من باب: بدل بعض من كل. ومنه قوله في وصف المحبوبات مع أزواجهن وهم في الخلوات واللذات، فقال: (١)

يتساقطان لآئناً منثوراً من بين منظومٍ كنظم جمان

فأورد بدل البعض من الكل في قوله: نظم جمان، لأنها بعض من المنظوم. وقوله أيضاً: (٢)

مَن صيرَ النوعين نوعاً واحداً فمخالفٌ للعقل والقِرآن

فجاء بدل البعض من الكل في قوله: صيرَ النوعين نوعاً واحداً، فجاءت الجملة الثانية بدلاً من الأولى.

وفي وصفه لأجساد الحور العين، ورؤية مخ ساقبها من فوق سبعين حلة، فهذه السيقان ملتفة كالعاج والذهب والياقوت والمرجان، فقال: (٣)

أقدامها من فضة قد رُجبت من فوقها ساقان ملتفان
السَّاق مثل العاج ملموم يرى مخ العظام وراءه بعيان

فجاءت الجملة الثانية " الساق مثل العاج " بدلاً من الجملة الأولى " من فوقها ساقان ملتفان " وهو بدل بعض من كل.

أما في وصفه للهور المقصورات في الخيام، فقال رحمه الله تعالى: (٤)

هذا وليس القاصرات كمن غدت مقصورةً فهما إذا صنفان

فأورد الجملة الثانية وهي " غدت مقصورة "، وهي بدل من الجملة الأولى " وليس القاصرات " فالمقصورة بدل بعض من القاصرات.

ومنه قوله في وصف جنات الخلد، وأنها دار سلامة لهم، فقال: (٥)

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩١.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٢.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧٨.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٦٠.

فَالدَّارُ دَارُ السَّلَامَةِ وَخَطَابِهِمْ فِيهَا سَلَامٌ وَاسْمُ ذِي الْغَفْرَانِ

فذكر الجملة الثانية وهي بدل من الجملة الأولى في قوله: فالدار، دار سلامة، وهي بدل بعض من كل، وقد ورد شواهد عديدة في جملة البدل، واكتفيت بذكر هذه الشواهد لضيق المقام، والله الموفق.

الثاني: أن يكون بين الجملتين تباين تام، وذلك بأن تختلفا خبراً وإنشاءً، وهو ما يسمى: " كمال الانقطاع" (١).

وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]، فالجملة الأولى في الآية الكريمة خبرية لفظاً ومعنى، والجملة الثانية إنشائية لفظاً ومعنى، فكان التباين بين الجملتين، لذلك وجب الفصل بينهما في هذا المشهد.

وقد ورد في مواضع كثيرة من القصيدة، ولكننا نذكر بعضها على سبيل التمثيل والاستشهاد. يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (٢)

وَالْفَرَشُ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ قَدْ بَطَّنَتْ مَا ظَنَنْكُمْ بظَهْرِهِ لِبَطْنَانِ

فجاء بالفصل بين الجملتين لاختلافهما خبراً وإنشاءً، فهناك تباين تام بينهما، فالأولى خبرية، والثانية إنشائية، لذلك جاء التباين بالانقطاع. ونظير ذلك أيضاً: (٣)

فَالوَرْدُ وَالتَّفَاحُ وَالرَّمَانُ فِي غَصْنِ تَعَالَى غَارِسِ البِسْتَانِ

فقد فصل بين الجملتين بسبب الاختلاف في الخبرية والإنشاء، فالجملة الأولى خبرية في لفظها ومعناها، والثانية دعائية إنشائية، فجاء التباين بالانقطاع. وفي قوله أيضاً: (٤)

يَا غَافِلًا عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبِهْ جِدْ الرَّحِيلُ فَلَسْتَ بِالْيَقْظَانِ

(١) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨٥.

فجاء بالفصل بين الجملتين لعدم وجود مناسبة بينهما من حيث الخبر والإنشاء، فالأولى إنشائية وهي " انتبه "، والثانية خبرية وهي " جد الرحيل ".
وقوله أيضاً: (١)

فيقول جل جلاله هل أنتم راضون قالوا نحن ذو رضوان

فأورد جملتين مختلفتين خبراً وإنشاءً، فالأولى إنشائية وهي: " هل أنتم راضون " والثانية خبرية وهي " قالوا نحن ذو رضوان "، لذلك جاء بالفصل بينها، وهو ما يسمى بتمام الانقطاع، وذلك عندما يسأل ربنا عز وجل عباده عن الرضا في الجنة فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين، فيقول لهم: اليوم أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً.

الثالث: أن تكون الجملة الثانية قوية الارتباط بالجملة الأولى لوقوعها جواباً عن سؤال يفهم من الجملة الأولى، وهو ما يسمى: " شبه كمال الاتصال".

ونظير ذلك في تكليم رب العالمين لعباده وتذكيره لهم بذنوبهم ومعاصيهم، وإقرارهم بها، ثم مغفرته لهم وتطهيرهم منها، فقال: (٢)

فيقول رب أما مننت بغفرةٍ قِدماً فإنك واسعُ الغفران

فذكر جملتين مختلفتين ولكن بينهما شبه كمال الاتصال، فالجملة الثانية " فإنك واسع الغفران"، جواب لسؤال فهم من الجملة الأولى، فكانت الجملة الثانية عن الجملة الأولى، ولا سبب لهذا الفصل إلا قوة الرابطة بين الجملتين، فالجواب شديد الارتباط بالسؤال، لذلك كان شبيه الكمال بالاتصال، فالله تعالى يهمس في أذن عبده يوم القيامة، ويقول له: عبدي أتذكر ذنب كذا وكذا؟ فيقول العبد نعم، فيقول مولانا تبارك وتعالى: فإنني قد غفرت لك لأنني واسع المغفرة، ورحمتي وسعت كل شيء.

ومنه قوله رحمه الله تعالى: (٣)

هذا وتصريفُ المآكل منهم عرقٌ يفيض لهم من الأبدان

فجاءت الجملة الثانية " عرق يفيض لهم من الأبدان " جواب لسؤال فهم من الجملة الأولى، كأنه أراد أن يقول: " ما تصريف المآكل منهم يوم القيامة"، فجاءت الإجابة في الشطر الثاني:

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٥.

"عرق يفيض لهم من الأبدان"، والتي تكون رائحته أطيب من رائحة المسك، وقد جاء بالفصل بين الجملتين مع وجود رابطة معنوية قوية بينها.
ونظير ذلك أيضاً: (١)

وإذا انحدرت رأيت أمراً هائلاً ما للصفات عليه من سلطان

فأورد الجملة الثانية " رأيت " وكانت جواباً لسؤال قد فهم من الجملة الأولى وهي " انحدرت"، ومعنى الكلام: إذا انحدرت، ماذا رأيت؟ وذلك لحظة مباشرة أهل الجنة لزوجاتهم والتلذذ بأجسادهن الناعمة، فجماعهن لا يغشاه حيض ولا بول ولا شيء من الآفات الموجودة في نساء الدنيا، وكلما جامعها عادت بكرةً بغير دم ونقص ولا آفة، فيشتهي وصالها على مدى الأزمان.
وقال في وصف قلب المؤمن يوم القيامة لحظة سماعه ورؤيته لله رب العالمين في الجنة:

يهتزُّ قلبُ العبد عند سماعه طرباً بقدر حلاوة الإيمان

فقد أثارت الجملة الأولى في هذا المشهد سؤالاً فهم جوابه من الجملة الثانية، فقال: " يهتز قلب العبد " فقيل: كيف يهتز قلب العبد؟ فكان الجواب " يهتزُّ طرباً "، وقد جاء بالفصل بين الجملتين، إلا أن العلاقة قوية جداً بينهما.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨١.

المبحث السادس القصر

لغة: " الحبس والاختصاص"^(١)، وقوله في وصف نساء الجنة: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] والقصرُ كَفَكَ نَفْسِكَ عَنْ أَمْرٍ وَكَفَّهَا عَنْ أَنْ تَطْمَحَ بِهَا غَرْبَ الطَّمَعِ، ويقال: قصرتُ نفسي عن هذا أقصرها قصرًا"^(٢).

قال محمد الطاهر بن عاشور: " أي قصرن وحبسن على أزواجهن، فلا يملن ولا ينظرن لغيرهم، والمقصورات من صفات الترف للنساء، فهن اللاتي لا يحتجن لمغادرة بيوتهن لخدمة أو وردٍ أو اقتطاف ثمار، فهن مخدومات مكرمات"^(٣)، وكقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصفافات: ٤٨].

أما في اصطلاح البلاغيين:

فالقصر: " هو تخصيص شيءٍ بشيءٍ بطريقٍ مخصوص، كتخصيص المبتدأ بالخبر بطريق النفي في قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، وتخصيص الخبر بالمبتدأ"^(٤)، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

فالمقصور هو النبي ﷺ، والمقصور عليه هو الرسالة، والطريق المخصوص هو النفي والاستثناء [ما - إلا]. " فالشيء الأول هو المقصور، والثاني هو المقصور عليه وهما ركنا أو طرفا القصر، والطريق المخصوص هو أدوات القصر"^(٥).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، فأورد [إنما] والتي أفادت معنى القصر والاختصاص.

(١) معجم المصطلحات البلاغية، ج ٣ / ١٣٦، وانظر: جواهر البلاغة للهاشمي، ص ١٦٥.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ج ٥ / ٩٧.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج ٢٧ / ٢٧٤.

(٤) معجم المصطلحات البلاغية، ج ٣ / ١٣٧، وانظر: البلاغة العربية للميداني، ج ١ / ٥٢٣.

(٥) من بلاغة القرآن، ص ١١٣.

وستناول الحديث عن القصر من خلال مباحث عدة:

طرق القصر:

١ - القصر بالنفي والاستثناء: ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾

[آل عمران: ١٢٦]، فاقتصر النصر على الله وحده، فلا يأتي من الملائكة العظام الشداد، ولا من الجنود الأقوياء، ولا من القتال وأدواته، وعليه فيكون قد اقتصر النصر على الله دون غيره.

وقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، أي: لا إله موجود بحقٍ إلا الله.

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في وصفه لمفتاح باب الجنة، فقال: (١)

هذا وفتح الباب ليس بممكنٍ إلا بمفتاحٍ على أسنان

فجاء بالنفي والاستثناء بـ [ليس التي تفيد النفي وهي بمعنى لا، والاستثناء بـ إلا].
فاقتصر فتح باب الجنة على هذا المفتاح المخصوص دون غيره من المفاتيح، فلا يمكن بأي حالٍ من الأحوال فتح هذا الباب إلا بشهادة التوحيد والإيمان، وبذلك يكون المقصور عليه في هذه الحالة بعد أداة الاستثناء وليس قبلها.

وفي ذمه لنساء الدنيا العاصيات لله رب العالمين ولأزواجهن، فقال: (٢)

أو رام تقويماً لها استعصت ولم تقبل سوى التعويج والنقصان

فأورد " لم " التي تفيد النفي والاستثناء مع سوى التي جاءت بمعنى إلا، فهؤلاء النسوة لم يقبلن إلا الاعوجاج والنقصان في حياتهن مع أزواجهن.

قال الهراس: " إن هذه الأبواب لا تفتح إلا لمن يملك مفتاحها، ولا بد لهذا المفتاح من أسنان حتى يصلح للفتح، فمفتاح هذه الأبواب هي كلمة التوحيد وشهادة الإخلاص التي هي لا إله إلا الله، وأما أسنان هذا المفتاح فهي شرائع الإسلام كلها، من الصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة والجهاد وبر الوالدين وأداء الأمانة والإحسان إلى الجار " (٣).

وفي حديثه عن منشور أهل الجنة الذي يُوقَّع به لصاحبها، فقال: (٤)

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦١.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٩.

(٣) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢ / ٣٤٠.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦١.

هذا ومن يدخل فليس بداخلٍ إلا بتوقيعٍ من الرحمن
فقصر الدخول للجنان لمن أعطاه الله تعالى ذلك التوقيع، فيدخل مطمئناً لا خائفاً ولا
محزوناً، وقد جاء بالنفي والاستثناء بـ [ليس التي أفادت معنى لا، والاستثناء بإلا]، فلا يدخل أحد
إلا بعلمه وإذنه وتوقيعٍ منه تبارك وتعالى.

وجاء القصر أيضاً بـ [ما و إلا] في وصفه لأشجار الجنة وظلالها وثمارها، فقال: (١)

قال ابن عباس وما بالجنة الـ عليا سوى أسماء ما تريان
فلا يوجد من ثمار الجنة ونعيمها في الدنيا إلا الأسماء.
ونظير ذلك أيضاً في قوله: (٢)

سبب التناول وهو يوجب لذة أخرى سوى ما نالت العينان
وقد ورد الاستثناء بـ [ما و إلا] في قوله: (٣)

ما ذاك إلا موضع الكعبين والزر ندين لا الساقان والعضدان
فلو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع على أهل الأرض فبدا سواره لطمس ضوء الشمس.
قال ابن عيسى: " إن أهل الجنة مسورون بالذهب والفضة مكللون بالدرّ عليهم أكاليق من
درٍ وياقوت وتبلغ الحلية منهم حيث يبلغ الوضوء، عليهم تاجٌ كتاج الملوك شبابٌ جردٌ مكلون" (٤).
فالحلية في هذا المشهد لا تكون إلا في موضع الكعبين والزندان، وهذا من تمام النعمة والجمال
على أهل الجنة.

أما في وصفه لعرائس الجنات وحسنهن وجمالهن ولذة وصالهن، وهنّ في انتظار أزواجهن
في الخيام المجوفة من اللؤلؤ والياقوت، فقال: (٥)

فتيمّموا تلك الخيام فأنسووا فيهنّ أقماراً بلا نقصان
من قاصرات الطرف لا تبغي سوى محبوبها من سائر الشبان

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢/٣٦٧.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٧.

(٤) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج ٢/٥٤١.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٨.

فإن نساء الجنة لا ينظرن لأحد في الجنة إلا لأزواجهن، فيقتصر طرفهن عليهم دون سائر الشبان، فجاء الاستثناء بـ [لا و إلا]، والذي أفاد معنى القصر والتخصيص.

٢- القصر مع [إنما]:

فيكون المقصور تبعاً للأداة مباشرة، والمقصور عليه متأخراً، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

أما القول في إنما: فقد قال عبد القاهر الجرجاني: " اعلم أنها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيءٍ ونفيهِ عن غيره" (١).

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في قصيدته وهو يحث المؤمن للمسارعة في عمل الخير والسعي الجاد للوصول إلى الجنة، فقال: (٢)

أسرع وحث السـير جهـدك إنما مسراك هذا ساعة لزمان

فقصر المسرى والسعي للوصول إلى الجنان ساعة من الزمن لا أكثر، لأن الدنيا كلها دقائق وثواني، وجاء القصر بـ [إنما]، والمقصور تبعاً لها، وهو المسرى والسعي والسبق إلى الله تعالى، وقد جاء المقصور عليه متأخراً وهو الساعة من الزمن.

ويقول السكاكي: والدليل على أن [إنما] تفيد القصر أمور عدة منها: (٣)

- كونها متضمنة معنى [ما و إلا] كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، والمعنى: ما حرم ربي إلا الفواحش.

وظهر ذلك من خلال وصفه لغناء الحور العين في الجنة لأزواجهن، وأن من سمع الغناء في الدنيا سيحرم سماع ذلك الغناء في الجنان، فقال: (٤)

قوت النفوس وإنما القرآن قو ت القلب أتى يستوي القوتان

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ٣٣٥.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٨.

(٣) مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٢٩١، وانظر: المصباح في المعاني لابن الناظم، ص ٩٦.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٤.

فجاء بأداة القصر [إنما] وجاء المقصور تبعاً لها وهو القرآن، والمقصور عليه المتأخر وهو قوت القلوب، وتضمنت إنما معنى النفي والاستثناء، وعلى هذا يكون المعنى لا قوت للقلب إلا قوت القرآن.

- تأتي إنما لإثبات ما يذكر بعدها ونفياً لما سواه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، فقد أثبت هذه الصدقات للأصناف المذكورة ونفاها عن غيرهم.

ومثل ذلك في وصفه لحلي أهل الجنة: (١)

ما ذاك يختص الإناث وإنما هو للإناث كذلك للذكور

فقد جاء القصر بإنما، فأثبت ما بعدها وهو لباس الذهب والحريير للرجال والنساء على حد سواء، وليس ذلك مختص بالنساء فقط، فإن حلي أهل الجنة من أصفى الجواهر الكريمة وأثمنها، وهي من اللؤلؤ والزبرجد وأساور العقيان المرصع باللؤلؤ والفضة.

وأقول: إن هذه الحلي لا تختص بالإناث في الجنة، بل هي للذكور والإناث جميعاً، وأن الحلي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء، لأنهم تركوا لباس الحريير والذهب في الدنيا ليظفروا بلباسها في الجنة.

٣- القصر بالعطف: ويكون العطف بـ [لا] و [بل] و [لكن]: (٢)

فالعطف بـ [لا]:

وذلك كقولك: " الفخر بالعلم لا بالمال " (٣).

وقولك أيضاً: " صداقة الجاهل تعبٌ لا راحة، فإن أداة العطف " لا " وسيلة للتخصيص " (٤).

أما مع [بل]:

والشمس لا تأتي بطرد الليل بل يتصاحبان كلاهما أخوان (٥)

فجاء العطف بـ " بل " بعد النفي، وكان المقصور عليه بعدها وهو المصاحبة.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٧.

(٢) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ١٦٨.

(٣) من بلاغة القرآن، ص ١١٩.

(٤) علم المعاني، ص ١٦٠-١٦١.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

فالشمس تجري في محاسن وجهها، والليل تحت ذوائب شعرها الفاحم الجميل، فعجباً لشمسٍ وليلٍ كيف يجتمعان، وبيقين فيها لا يستطيع كل منهما أن ينسخ الآخر، فلا الليل بمدرك شمسها فتغيب عند إقباله، ولا شمسها تأتي بطرد الليل وإدباره، بل هما فيها متلازمان كأنهما أخوان.

وفي وصفه لسلعة الله الغالية، والتي لا ترخص إلا على صاحب الأهواء والشهوات الذي يكسل عن طاعة الله تعالى، فيقول رحمه الله تعالى: (١)

يا سلعة الرَّحْمَن لستِ رخيصةً بل أنت غاليةٌ على الكسلان

فقد جاء العطف بـ " بل " المسبوق بالنفي، والمقصود عليه بعدها وهي الجنة، فجنة الله عروس، ومهرها قهر النفوس، ولا ينالها إلا صاحب التقوى والإيمان فهما ثمنها الذي لا تُنال إلا به من دون سائر الأثمان، ولكنها سلعة بائرة عند أهل الكفر والفجور والعصيان. وفي حديثه عن تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى، فيصف ويقول: (٢)

ما ذاك مختصاً برسول الله بل لهم وللصديق ذي الإيمان

فجاء العطف بـ " بل " وقد سبقت بنفي، وكان المقصود عليه بعدها.

فإن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري من الأفق لتفاضل ما بينهم، فأعلى المنازل في الجنة للأنبياء، فهذه المنازل ليست لهم وحدهم، بل أيضاً لأناس آمنوا بربهم وصدقوا المرسلين.

أما القصر مع [لكن]:

قال الميداني: " وتأتي للاستدراك بعد النفي، والعطف بها يفيد القصر " (٣).

ونظيره من القصيدة النونية، في قوله رحمه الله: (٤)

والله لم تخرج إلى الدنيا للذة عيشها أو للحطام الفاني

لكن خرجت لكي تعد الزاد للـ أخرى فجئت بأقبح الخسران

فأنت أيها العبد لم تخرج لهذه الدنيا من أجل الشهوات والملذات، بل لتتزوج ليوم الرحيل واللقاء، ويكون المقصود عليه بعد لكن وليس قبلها.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٣.

(٣) البلاغة العربية للميداني، ج ١/٥٣٥.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٩.

ونظير ذلك أيضاً: (١)

وَاللّٰهُ لَا يَرْضَىٰ بِكَثْرَةِ فَعْلِنَا لَكِن بِأَحْسَنِهِ مَعَ الْإِيمَانِ

فجاء العطف مع لكن المسبوقة بالنفي، والتي أفادت القصر، وكان المقصور عليه بعدها وهو أحسن الأعمال وأصفاها وأنقاها، فإله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم.

٤- تقديم ما حقه التأخير:

وكذلك قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكُؤُوسٍ مِنْ مَّعِينٍ * بُيُضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا

يُنزَفُونَ﴾ [الصفافات: ٤٥-٤٧]، " فإله تعالى يصف خمر الآخرة بأنها لذة للشاربين، ونفى عنها الفساد والإهلاك شأن خمر الدنيا، أي: ليس في خمر الآخرة ما يغتال عقل الإنسان ويفسده، فتقدم الخبر وهو الجار والمجرور، فأفاد الاختصاص، أي أنه نفى الغول عن خمر الآخرة دون أن يتعداها إلى خمر الدنيا، فإن فيها غولاً، فالقصر هنا مفهوم من التقديم " (٢).

وأقول: لقد نفى الغول عن خمر الآخرة وأثبتته في خمر الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنُ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]، فإله وحده الذي يبسط الرزق

ويقدره لعباده لا غيره، فتقديم الفاعل على الفعل أفاد القصر، ولو قدّم الفعل على الفاعل لأفاد معنى آخر، وهو أن الله ليس مختصاً وحده ببسط الرزق، وإنما يشاركه فيه غيره، فإفادة القصر جاءت من التقديم.

ونظير ذلك ما ورد في القصيدة الكافية الشافية في قول ابن القيم: (٣)

فِيهِنَّ حَوْرٌ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ خِيَرَاتٌ حَسَانٌ هُنَّ خَيْرُ حَسَانِ

فتقديم الجار والمجرور في هذا المشهد أفاد الاختصاص لهؤلاء الحور لا يتعدى لغيرهن من النساء، فهن الخيرات الحسان ذوات الحسن والبهاء، فطوبى لمن كنّ له وكان لهنّ.

ونظير ذلك أيضاً ما جاء في وصف جمال الحور العين والنور الذي يسطع من ثغرها

لحظة تبسمها في وجه زوجها، فيقول: (٤)

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ١/٩٩.

(٢) فن البلاغة، عبد القادر حسين، ص ١٧٥.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨٠.

والبرقُ يبدو حين يبسم ثغرها فيضئُ سقفَ القصرِ بالجدران
فالبرق وحده الذي يبدو لا غيره، وأن هذا البرق مختص بثغرها وابتسامتها لزوجها لا شئ
دون ذلك، فتقديم الفاعل على الفعل أفاد القصر والاختصاص.

أقسام القصر:

الأول: القصر باعتبار الحقيقة والإضافة، وهو نوعان:

١- قصرٌ حقيقي: "وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع لا يتعداه إلى غيره" (١).

ويقول الميداني: " وحينما نقول: "لا إله إلا الله"، فإننا نقصر وصف الإلهية الحق على موصوف هو الله وحده، فهو قصر حقيقي من باب قصر الصفة على الموصوف" (٢)، فلا يوجد في الوجود كله معبود بحق سوى الله عز وجل، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩]، فهذا قصرٌ حقيقي مضمونه صادقٌ مطابقٌ للواقع، فالتذكر صفة مقصورة على أولي الألباب لا تتجاوزهم إلى غيرهم من الناس في الحقيقة والواقع، وهذا القصر لا يكون إلا في قصر الصفة على الموصوف.

ونظير ذلك ما ذكره ابن القيم، فقال:

قوت النفوس وإنما القرآن قو ت القلب أئى يستوي القوتان

فهذا قصر حقيقي، فالقرآن هو قوت القلب، فلا تجد قوتاً شافياً كافياً له غير ذلك، فاقصر قوت القلب على الإيمان والتوحيد، وهذا القصر من باب قصر الصفة على الموصوف.

٢- قصر إضافي: " وهو ما ذكر على سبيل المبالغة والادعاء المجازي" (٣).

ويقول السيوطي: " وهو ما كان التخصيص فيه بحسب الإضافة إلى شئ آخر، وهذا القصر يكون في قصر الموصوف على الصفة، والصفة على الموصوف، والمراد بالصفة هنا المعنوية" (٤).

(١) من بلاغة القرآن، ص ١٢٠.

(٢) البلاغة العربية للميداني، ج ١/٥٢٥.

(٣) المصدر السابق، ج ١ / ٥٢٤ .

(٤) شرح عقود الجمان للسيوطي، ص ٩٠ .

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فالنبي محمد عليه الصلاة والسلام مقصور على الرسالة بالإضافة إلى شيءٍ آخر، فهو العابد الداعي القائد، وهذا لا يعني أن الرسالة مختصة به وحده.

الثاني: القصر باعتبار الطرفين، وهو قسمان:

١- قصر الصفة على الموصوف: كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَضَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٩]، فقد أثبت صفة الضلال للمجرمين دون غيرهم وقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، فصفة الفلاح مقصورة عليهم لا تتجاوز من سواهم من الناس، وهذا من باب قصر الصفة على الموصوف. ونظير ذلك قوله: (١)

السابقون هم وقد كانوا هنا أيضاً أولي سبق إلى الإحسان

فقد أثبت صفة سبق للزمرة الأولى التي تدخل الجنة دون غيرهم ممن سيدخلها بعدهم، فاقترص سبق عليهم فلا يتجاوزهم لغيرهم، وهو من باب قصر الصفة على الموصوف. ومنه قوله رحمه الله: (٢)

هذا وأولهم دخولاً خيراً خلو — قى الله من قد خص بالقرآن

فصفة الدخول للجنة مقتصرة على خير خلق الله تعالى وهو رسولنا الكريم، ثم باقي الخلق، فقد أثبت دخول الجنة لرسول الله قبل الخلائق جميعاً، وهذا من باب قصر الصفة على الموصوف، فالحقيقة في ذلك أن رسول الله ﷺ هو أول من يطأ الجنة ثم الأنبياء، ثم أمته الكريمة.

٢- قصر الموصوف على الصفة:

ويورد ابن القيم في قصر الموصوف على الصفة قولاً رائعاً في مدحه للأنبياء من أولي العزم، فقال: (٣)

وأخص أهل الذكر بالرحمن أعم — لهم بها هم صفوة الرحمن

وهم أولو العزم الذين بسورة الأ — حزاب والشورى أتوا ببيان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٦.

(٣) شرح القصيدة التونوية للهراس، ج ٢/١٩٨.

فقد خص هؤلاء الأنبياء الكرام بصفة الذكر والطاعة لله تعالى، فاقتصر الأنبياء الذين هم صفوة الرحمن على هذه الصفة لأنهم أعلم الخلق بالله تعالى وأتقاهم له.

ثم يورد قصراً آخر وهو: اقتصار ذكرهم في سورة الأحزاب والشورى دون غيرهم لكرامتهم عند الله تعالى وختلتهم له.

قال **الهراس**: " فالأنبياء أكثر الذاكرين اختصاصاً بالرحمن وأقربهم إليه منزلةً وأعلمهم بصفاته، فهم خيرة الله وصفوته من عباده، ولهذا كانوا أفضل البشر على الإطلاق لأنهم أوتوا من العلم بصفات الله تعالى ما لم يؤتته أحد غيرهم، وهم كذلك متفاوتون فيما بينهم فأكملهم، الخليان محمد وإبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم نوح، فهم في الفضل على هذا الترتيب، وهم أولو العزم الذين ذكرهم الله عز وجل في سورتي الأحزاب والشورى كما سبق بيانه" (١).

وفيما أورده في رؤية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى، ونظرهم إلى وجهه الكريم، وإنكار أهل الضلالات والأهواء لتلك الرؤية وردّه عليهم وإبطال حجتهم، فيقول رحمه الله: (٢)

ويرويه سبحانه من فوقهم نظر العيان كما يرى القمران
هذا تواتر عن رسول الله لم ينكره إلا فاسد الإيمان

فاقتصر إنكار الرؤية لله تبارك وتعالى في الجنة على فاسد الإيمان لا تتعداه لغيره، فالله تبارك وتعالى يتجلى لعباده فينظرون لوجهه الكريم كما ينظرون للقمر ليلة تمامه دون ضيم وتضجر.

الثالث: القصر باعتبار حال المخاطب:

١- قصر الأفراد:

يقول **ابن الناظم**: " وقصر الأفراد يفيد تخصيص الأمر ببعض ما يعتقد السامع ثبوته له" (٣).

" وذلك إذا اعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين المقصور وغيره، كقولك: " ما زيد إلا شاعر"، وذلك لمن اعتقد أنه كاتب بالإضافة إلى الشعر، فيتم أفراد هذه الصفة له دون غيره" (٤).

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢ / ١٩٩ .

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٧.

(٣) المصباح في المعاني والبيان والبديع، لابن الناظم، ص ٩٤.

(٤) من بلاغة القرآن، ص ١٢٣.

وفي وصفه لنساء الدنيا اللواتي أشغلن أنفسهن في دمالج الدنيا وزينتها ومتاعها الفاني، وسوء الأخلاق في المعاشرة، والهم والغم الذي لا ينتهي إلا بالطلاق أو الموت، ونقص دينها وعقلها، ونفارها ونقارها، فيصف ويقول: (١)

ما هاهنا إلا النقارُ وسيءُ الـ أخلاقٍ مع عيبٍ ومع نقصانٍ

فأفرد صفة النقار وسوء الأخلاق لنساء الدنيا الفانيات، لمن اعتقد أنهن كاملات العقل والدين، وتقدير الكلام: ما هاهنا إلا النقار فقط، وقد ورد القصر في مواضع قليلة، لذلك لم أتطرق لذكرها والاستشهاد بها في هذه المواضع.

ويقول القزويني: "ويأتي قصر الأفراد لقطعه الشركة بين الصفتين في الثبوت للموصوف، أو بين الموصوف وغيره في الاتصاف بالصفة" (٢).

٢- قصر القلب:

ويكون في حالة اعتقاد المخاطب عكس الحكم الذي يثبتته القصر، وسمي بقصر القلب لقلبه حكم السامع، كقولك: "ما زيد إلا شاعر" لمن اعتقد أنه ليس بشاعر، أو العكس.

٣- قصر التعيين:

ويأتي في حال أن المخاطب متردد في الحكم بين المقصور عليه وغيره، كقولك: "ما زيد إلا شاعر" لمن تردد في إثبات الحكم لزيد هل هو كاتب أم شاعر، فيتم التعيين بأسلوب القصر. ويورد ابن القيم في وصفه وذكره لسن أهل الجنة، فيقول: (٣)

وصغيرهم وكبيرهم في ذا على حدّ سواءٍ ما سوى الولدان

ويشير في هذا المشهد إلى أهل الجنة وأنهم جميعاً على سنٍ واحد، سواءً أكانوا صغاراً أم كباراً، فلا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشياً، وأما الولدان المخلدون القائمون على خدمة أهل الجنة فأحوالهم مختلفة وخاصة سنّهم، وقد جاء بقصر التعيين في الولدان المخلدين لمن كان يظنّ أن قاماتهم وطولهم وعرضهم وسنّهم كسنّ أهل الجنة من الرجال والنساء.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٣.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص ١٢٣ .

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٤.

وفي وصفه لتلك الحوراء الشابة الجميلة لأحسن الشبان والتي تنتظر زوجها باشتياق ولوعةٍ وتلطف، فيفضي إليها بلا خوران، فيأخذ بكارتها الطاهرة التي لم يطمئنها قبله إنس ولا جان، فيصف ويقول: (١)

بكرٌ فلم يأخذ بكارتها سوى الـ — محبوب من إنسٍ ولا جانٍ

وقد جاء بقصر التعيين في هذا المشهد وخاصة أن المخاطب كان متردداً في الحكم بين المقصور عليه وغيره، فأراد أن يثبت الحكم بأن الذي سيأخذ بكارتها هو المحبوب لا غيره من إنسٍ ولا من جان.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٢.

الفصل الثاني

الإشارات البيانية في وصف الجنة

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: مصادر التصوير البياني من القرآن الكريم والسنة

النبوية في القصيدة النونية

المبحث الثاني: التشبيه

المبحث الثالث: الاستعارة

المبحث الرابع: الكناية

المبحث الخامس: المجاز

المبحث الأول

مصادر التصوير البياني من القرآن الكريم والسنة النبوية في النونية

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في باب ما أعد الله تعالى في الجنة لعباده وأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة المطهرة: (١)

يا خائبَ الحورِ الحسانِ وطالِباً لوصالهنَّ بجنةِ الحيوانِ

فإن جنة الحيوان هي جنة الحياة، وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] ويبين أن مسكن الحور العين هو الجنة وهذا أفضل مكان وأعلى مكان وفوقها عرش الرحمن.

ويقول رحمه الله في حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: " والصواب أن كلمة الحيوان تقع على ضربين: أحدهما مصدر، والثاني وصف، ويحتمل قول الله تعالى في الآية الكريمة معنيين هما: الأول: أن حياة الآخرة هي الحياة، لأنه لا تنغيص فيها ولا نفاذ، فلا يشوبها ما يشوب الحياة في هذه الدار، فيكون الحيوان في هذا الموضع مصدراً.

الثاني: أن يكون المعنى: أنها الدار التي لا تقنى ولا تنقطع، ولا تبيد كما يفنى الأحياء في هذه الدنيا، فهي أحق بهذا الاسم من الحيوان الذي يفنى ويموت" (٢).

ويحث ابن القيم السامع للعمل والسعي من أجل الوصول إلى الدرجات العلا، ولو عرف الإنسان قيمة هذا المسكن لكان سعيه على الأجفان لها إن لم تسعفه الأقدام، فجنة الحيوان هي الحياة الحقّة ومنزل الكرامة والرضوان.

وينتظر ابن القيم إلى وصف الدنيا الخسيسة الفانية وأهلها الذين آثروها على الآخرة، فهم أهل السفاهة والجهالة والحماسة أنجس السكان، فإنهم يتمتعون في نعيم الدنيا الزائل ويجمعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ويظنون أن السعادة في ذلك، وفي المقابل فإن المؤمن يرتقب ما عند الله تعالى من الخير والنعيم ويعلم أن هذه الدنيا سجن زائل لا محالة، فيقول:

سجنٌ يضيقُ بصاحبِ الإيمانِ — كمن جنهُ المأوى لذي الكفرانِ

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٨.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، تح: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٨هـ، ص ١٩٩.

ويشير في ذلك إلى ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الذنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" ^(١). فإن الدنيا حبسٌ للمؤمن وسجنٌ له لأنه يلقي فيها المكاره، ويصوم نفسه عن مراتع الشهوات ويثقلها بقيود الطاعات، ولكنها مرتعٌ للكافر يلهث خلف شهواته الدنيئة.

ثم يصف ابن القيم حال أهل الدنيا الذين اشتعلت قلوبهم بالشهوات والشبهات والحسرات والآلام وتركهم للمقصد الذي خُلقوا من أجله فقال: ^(٢)

هربوا من الرق الذي خُلقوا له فبَلُوا بَرَقَ النَفْسِ وَالشَّيْطَانِ

وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ويقول ابن عيسى: " لقد استخدمتهم الشياطينُ واسترقتهم في تحصيل الشهوات الفانية، وجمع عرض الدنيا الخسيس، وحطامها الفاني" ^(٣).

ويتطرق ابن القيم في وصفه لهذه الدنيا فيقول:

لو ساوت الدنيا جناحَ بعوضةٍ لم يسق منها الربُّ ذا الكفران

ويشير في ذلك للحديث الذي رواه سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضةٍ ما سقى كافراً منها شربة ماء" ^(٤).

ثم ينتقل إلى وصف الجنة التي أعدّها الله للطيبين الطاهرين ويشوقنا لسماع صفاتها وأوصافها، فيقول: ^(٥)

هي جنةٌ طابت وطاب نعيمُها فنعيمُها باقٍ وليس بفانٍ

دارُ السلامِ وجنةُ المأوى ومنـ زلُّ عسكرِ الإيمانِ والقرآنِ

فإلادارُ دارُ سلامةٍ وخطابُهم فيها سلامٌ واسمُ ذي الغفرانِ

فقد سماها الله تعالى بدار السلام في قوله: ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[الأنعام: ١٢٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ [يونس: ٢٥].

(١) رواه مسلم ج ٤/٢٢٧٢، كتاب الزهد .

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٩.

(٣) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج ٢/٤٦٦ .

(٤) رواه الترمذي ج ٤/١٣٨، باب ما جاء في هوان الدنيا.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٠.

وأما جنة المأوى فهذا ما تضمنه قوله تعالى: ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٩]. ويشير ابن القيم في حادي الأرواح إلى أن الجنة دار السلام من ثلاثة وجوه: (١) " أنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه، وأن الله تعالى اسمه السلام الذي سلمها وسلم أهلها، فهي دار الله السلام، وأن الله سبحانه يسلم عليهم كما في قوله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، والملائكة يسلمون عليهم كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، وكلامهم كله فيها سلام كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مريم: ٦٢].

ويقول سيد قطب في ظلال القرآن: " ففي الجنات يأتلف شملهم مع الصالحين من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، وفي هذا التجمع يشترك الملائكة في التأهيل والتكريم في حركة رائحة غادية، فهو مهرجان حافل باللقاء والسلام والحركة الدائبة والإكرام" (٢).
أما في عدد درجات الجنة وما بين الدرجتين، فيقول الإمام ابن القيم: (٣)

درجاتها مائة وما بين اثنتي	من فذاك في التحقيق للحسبان
مثل الذي بين السماء وبين هـ	نذي الأرض قول الصادق
لكن عاليها هو الفردوس مسـ	وقوف بعرش الخالق الرحمن
وسط الجنان وعلوها فذاك كا	نت قبة من أحسن البنيان
منه تفجر سائر الأنهار فالـ	منبوع منه نازلًا بجنان

ويشير إلى ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه فقال: قال رسول الله ﷺ: " إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة" (٤)، ودرجات الجنة كثيرة ومتفاوتة بحيث لا يعلم عظمها وتباهاها إلا الله، فهم درجات عند الله جزاء بما كانوا يعملون.

(١) حادي الأرواح، ص ١٩٤.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط ٣٩، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، ج ٤/٤٠٥٨.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٠.

(٤) رواه البخاري ج ٣/١٠٢٨، كتاب الجهاد والسير.

أما في وصفه لأبواب الجنة، فيقول: (١)

أبوابها حقُّ ثمانية أتت
بابُ الجهادِ وذاك أعلاها وبها
ولكلِّ سعيٍّ صالحٍ بابٌ وربُّ
ولسوف يُدعى المرءُ من أبوابها
منهم أبو بكرٍ هو الصديقُ ذا
في النصِّ وهي لصاحب الإحسان
بُ الصوم يُدعى البابُ
السعي منه داخلٌ بجنان
جمعاً إذا وقى حلى الإيمان
ك خليفة المبعوث بالقرآن

ولقد ورد ذلك في القرآن الكريم بأن للجنة أبواباً، فقال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١]، وجاء في السنة المطهرة أن عدد أبواب الجنة ثمانية وذلك ما رواه سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " في الجنة ثمانية أبواب، بابٌ منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون" (٢)، وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيبلغ أو يسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء" (٣).

ويقول صاحب الظلال: " لهم جناتٍ عدنٍ مفتحة لهم، ولهم فيها راحة الاتكاء ومتعة الطعام والشراب، ومتعة الحوريات الشواب، وهن مع شبابهن قاصرات الطرف لا يتطلعن ولا يمددن بأبصارهن، ولهم متاع دائم ما له من نفاذ" (٤).

وينتقل ابن القيم للحديث عن تلك الأبواب وتفصيلها كما وردت في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فتضمن كلامه معنى الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه الذي قال فيه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أنفق زوجين في شيء من الأشياء في سبيل الله دُعي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الصيام"، فقال

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٠.

(٢) رواه البخاري ج ٣/١١٨٨، كتاب بدء الخلق باب صفة أبواب الجنة، ورواه مسلم ج ٢/٨٠٨، باب حفظ اللسان للصائم.

(٣) رواه مسلم ج ١/٢٠٩، باب الذكر المستحب عقب الوضوء .

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٥/٣٠٢٣.

أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعي أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال: " نعم وأرجو أن تكون منهم " (١).

ويشير رحمه الله إلى وصف أبواب الجنة ومقدار ما بين مصراعي الباب الواحد فيقول: (٢)

لكنّ بينهما مسيرة أربعين ————— من رواه حبر الأمة الشيباني

وهذا إشارة إلى الحديث المرفوع الذي رواه الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية عن أبيه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " أنتم توفون سبعين أمة، أنتم آخرها وأكرمها على الله عز وجل، وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتينّ عليه يومٌ وإنه لكَظِيظٌ " (٣).

وجاء في حديث الشفاعة الطويل أن النبي ﷺ قال: " والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى " (٤).

أما ما أورده في وصف مفتاح باب الجنة فقال: (٥)

هذا وفتح الباب ليس بممكنٍ إلا بمفتاحٍ على أسنان
مفتاحه بشهادة الإخلاص حيد تلك شهادة الإيمان
أسنانه الأعمال وهي شرائع الـ إسلام والمفتاح بالأسنان

ومصدق ذلك ما رواه وهب بن منبه ﷺ عندما قيل له: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتِح لك وإلا لم يفتح لك (٦).

ويذكر ابن القيم كلاماً في تمام الروعة والبيان فيقول: " وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوبٍ مفتاحاً يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة الطهور، ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البرّ الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد ومفتاح كل خير: الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر: حبّ الدنيا وطول الأمل، ثم قال: وهذا بابٌ عظيم من أنفع أبواب العلم، وهو معرفة مفاتيح الخير والشر، ثم ذكر

(١) رواه البخاري ج ٢/٦٧١، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، ورواه مسلم ج ٢/٧١١، باب من جمع الصدقة وأعمال البر.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦١.

(٣) رواه أحمد في مسنده، ج ٣٣/٢٢٨ رقم الحديث ٢٠٠٢٥.

(٤) رواه البخاري ج ٤/١٧٤٥، كتاب تفسير سورة الإسراء.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦١.

(٦) رواه البخاري ج ١/٤١٥، باب الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله.

مفاتيح عدّة وقال: ينبغي للعبد أن يعتني كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جعلت المفاتيح له، والله من وراء توفيقه وعدله، له الملك وله الحمد وله النعمة والفضل لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون^(١).

ويقول الهراس: " ويجب ألا يُفهم منها أن لا إله إلا الله بمجرد ما كافية في دخول الجنة والنجاة من النار، بل لابد معها من حقوقها التي هي أسنان المفتاح^(٢)."

ثم يورد لنا الإمام ابن القيم قولاً رائعاً في توقيع الجنة ومنشورها الذي يوقّع به لأصحابها بعد الموت وعند دخولها، فيقول: (٣)

هذا ومن يدخل فليس بداخل
ولذلك يكتب للفتى لدخوله
إحداهما بعد الممات وعرض أر
فيقول رب العرش جل جلاله
ديوان عليين أصحاب القرأ
إلا بتوقيع من الرحمن
من قبل توقيعان مشهودان
واح العباد به على الديان
للكتابين وهم أولو الديوان
ن وسنة المبعوث بالقرآن

ويشير في ذلك إلى حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة... وساق الحديث بطوله، وفيه: " اكتبوا كتاب عبي في عليين... " (٤).

ويقول ابن القيم: إن الله تعالى يقول: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيْنِ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا عَلَيْنِ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٨ - ٢١].

فإن الله تعالى أخبر أن كتابهم كتاب مرقوم تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقية، وخص تعالى كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبیین وسادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار تنويهاً بكتاب الأبرار وما وقع لهم به، وإشهاراً له وإظهاراً بين خواص خلقه كما يكتب الملوك توقيع من تعظمه بين الأمراء وخواص أهل المملكة تنويهاً باسم المكتوب له وإشادةً لذكوره، وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده^(٥).

(١) حادي الأرواح، ص ١٣٩-١٤٠.

(٢) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢ / ٣٤٠.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦١ - ٢٦٢.

(٤) رواه أحمد في مسنده، ج ٣٠/٤٩٩، رقم الحديث ١٨٥٣٤.

(٥) حادي الأرواح، ص ١٤١.

ويقول رحمه الله: (١)

هذا وقد كتب اسمه مذ كان في الـ أرحام قبل ولادة الإنسان

ويتضمن هذا البيت معنى حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي قال فيه: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: " أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً وأربعين ليلة، ثم يكون علقاً مثله، ثم يكون مضغاً مثله، ثم يبعث إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد... " (٢).

ثم يثني على الله بما هو أهله، فهو صاحب الفضل والمنة وهو المسبح والمجد وعالم السر والعلن في كل لحظة وحين سبحانه عما يقولون علواً كبيراً ويقول:

والأمرُ من قبلٍ ومن بعدِ له سبحانه اللهم ذا السلطان

ويشير في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]، ويتطرق للحديث عن صفوف أهل الجنة فيقول:

هذا وإن صفوفهم عشرون مع مائة وهذي الأمة الثلثان

وتم اقتباسُ هذا البيت من حديث بريدة عن أبيه رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أهل الجنة عشرون ومائة صف، منهم ثمانون من هذه الأمة " (٣).

ويشير أيضاً إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي قال فيه: لما نزلت ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩ - ٤٠] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنتم ربع أهل الجنة، أنتم ثلث أهل الجنة، أنتم نصف أهل الجنة، أنتم ثلثا أهل الجنة " (٤).

ويقول أيضاً: (٥)

ولقد أتانا في الصحيح بأنهم شطرٌ وما اللفظان مختلفان

إذ قال أرجو أن تكونوا شطرهم هذا رجاءٌ منه للرحمن

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦١ - ٢٦٢.

(٢) رواه البخاري، ج ٦/٢٧١٣، كتاب التوحيد، باب " ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ".

(٣) رواه أحمد في مسنده، ج ٣٨/٢٣، رقم الحديث: ٢٢٩٤٠.

(٤) المصدر السابق، ج ١٥/٣٨، رقم الحديث ٩٠٨٠٠.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٣.

ويشير إلى قول النبي ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري ؓ: " وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة " فكبرنا، ثم قال: " ثلث أهل الجنة " فكبرنا، ثم قال: " شطر أهل الجنة " فكبرنا"^(١).
أما في صفة أول زمرةٍ تدخل الجنة فقال:^(٢)

هَذَا وَأَوَّلُ زَمْرَةٍ فُوجُوا وَهُمْ
السابقون هم وقد كانوا هنا
كالبدر ليل الست بعد ثمان
أيضاً أولى سبق إلى الإحسان

فقد أشار إلى ما رواه أبو هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: " أول زمرةٍ تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءةً، قلوبهم على قلب رجلٍ واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئٍ منهم زوجتان، كل واحدةٍ منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن، يسبحون الله بكرةً وعشياً، لا يسقمون، ولا يمتخطون، ولا يبصقون، أنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الألوة - قال أبو اليمان : يعني العود - ورشحهم المسك"^(٣).

وقد قال ابن القيم في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠] " لقد اختلف في تقريرها على ثلاثة أقوال:

فالأول: أنه من باب التوكيد اللفظي ويكون الخبر في ذلك قوله ﷺ: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١١].
والثاني: أن يكون السابقون الأول مبتدأ، والثاني خبر له.

والثالث: أن يكون الأول غير الثاني ويكون المعنى في هذه الحالة: السابقون في الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات، والسابقون إلى الإيمان هم السابقون إلى الجنان وهذا أظهر والله أعلم"^(٤).

ويقول سيد قطب في كتاب **مشاهد القيامة**: " فالسابقون هم المحرومون في الدنيا الذين صبروا على الشظف، وسارعت نفوسهم إلى الإيمان واثقين في فضل الرحمن، وقد جاءت صورة النعيم مادية شاخصة للنعيم المادي المحسوس"^(٥).

(١) رواه البخاري ج ٤ / ١٧٦٧، باب " وترى الناس سكارى " .

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٣ .

(٣) رواه البخاري ج ٣ / ١١٨٦، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة .

(٤) حادي الأرواح، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٥) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م،

ثم ينتقل بنا رحمه الله تعالى للحديث عن تفاضل أهل الجنة في الدرجات العُلا فيقول: (١)

ويرى الذين بذلها من فوقهم مثل الكواكب رؤياً بعيان
ما ذاك مختصاً برسول الله بل لهم وللصديق ذي الإيمان

وهو يقصد من وراء ذلك معنى الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن أهل الجنة ليتزاعون أهل الغرف من فوقهم كما تتزاعون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم " قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: " بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين " (٢).

أما في ذكر أعلى أهل الجنة منزلةً وأدناها فيقول: (٣)

هذا وأعلام فناظر ربه في كل يوم وقته الطرفان

وهو يشير إلى ما رواه ثوير، أنه قال: سمعتُ ابن عمر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن أدنى أهل الجنة منزلةً لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوةً وعشية " ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] (٤)، ثم يقول رحمه الله تعالى: (٥)

فهو الذي تُلْفَى مسافةً ملكه بسنيننا ألفان كاملتان

وهو يقصد حديث ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن أدنى أهل الجنة منزلةً ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه... " (٦).

ويحدثنا عن آخر أهل الجنة دخولاً لها وإكرام الله تعالى لعباده الموحدين، فيقول: (٧)

أو ما سمعت بأن آخر أهلها يُعطيهِ ربّ العرش ذو الغفران

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٣.

(٢) رواه البخاري ج ١١٨٨/٣، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة أهل الجنة وأنها مخلوقة، ورواه مسلم ج ٢١٧٧/٤ كتاب الجنة.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٤.

(٤) رواه الترمذي ٢٦٩/٤، باب ما جاء في صفة الجنة .

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٤.

(٦) رواه أحمد في مسنده، ٢٤٠/٨ رقم الحديث: ٤٦٢٣

(٧) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٤.

أضعافَ دنيانا جميعاً عشرَ أم — ثالٍ لها سبحانُ ذي الإحسان

وهو يشير الى الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً: رجل يخرج من النار حبواً فيقول الله: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيّل إليه أنها ملاءى فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملاءى، فيقول: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيّل إليه أنها ملاءى فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملاءى، فيقول: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا، فيقول: تسخر مني أو تضحك مني وأنت الملك. فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وكان يقول: " ذلك أدنى أهل الجنة منزلة" (١).

ويذكر لنا سنّ أهل الجنة فيقول: (٢)

هذا وسنّهم ثلاثٌ مع ثلاث — ثين التي هي قوّة الشبان

فيحدث عن قوّة الشباب في الجنة وأن الصغير والكبير على حد سواء في الجنة، ويشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مُرداً بيضاً جعاداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع" (٣).
وأما عن طول قامات أهل الجنة وعرضهم فيقول رحمه الله: (٤)

والطولُ طولُ أبيهم ستون ل — كن عرضهم سبعٌ بلا نقصان

ويتضمن هذا القول ما رواه لنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ثم قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة فاستمع ما يحيونك، تحيتك وتحية ذريتك فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله. فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن" (٥).

(١) رواه البخاري ج ٢٤٠٢/٥ كتاب الرقائق، باب صفة الجنة والنار، ورواه مسلم ج ١٧٣/١ كتاب الإيمان باب آخر أهل النار خروجاً.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٤.

(٣) رواه أحمد في مسنده ٢٢٠/١٥ رقم الحديث ٩٣٧٥.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٤.

(٥) رواه البخاري ج ١٢١٠/٣، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة" [البقرة: ٣٠].

ويقول في حادي الأرواح: " ولا يخفى التناسب بين الطول والعرض، فلو زاد أحدهما على الآخر فات الاعتدال وتناسب الخفة يصير طولاً مع دقة أو غلظاً مع قصر، وكلاهما غير مناسب، والله أعلم" (١).

أما في وصفه لحليهم وألوانهم فيقول: (٢)

ألوانهم بيضٌ وليس لهم لحيٌ جعدُ الشعور مكملو الأجفان
هذا كمالُ الحسن في أبقارهم وشعورهم وكذلك العينان

ومعنى ذلك ما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع" (٣).

ويقول الهراس: " إن أهل الجنة يدخلونها بيضاً جرداً ليس لهم لحيٌ، جعد الشعور، في شعورهم تكسر وليست سبطة، مكملو الأجفان، وهذا هو تمام الحسن في هذه الأشياء الثلاثة، فتمام الحسن في اللون أن يكون أبيضاً صافياً، وتمامه في الشعر أن يكون جعداً، وتمامه في العينين أن تكونا مكحلتين" (٤).

أما في حديثه لأسبق أهل الجنة دخولاً إلى الجنة فيصف لنا ويقول: (٥)

هذا بحسب تفاوت الفقراء في اسد تحقاق سبقهم إلى الإحسان
أو ذا بحسب تفاوت في الأغنيا ء كلاهما لا شك موجودان
هذا وأولهم دخولاً خير خلد ق الله من قد خص بالفرقان
والأنبياء على مراتبهم من ال تفضيل تلك مواهب المنان
هذا وأمة أحمد سباق با قي الخلق عند دخولهم لجنان

يبين الإمام ابن القيم في هذه المقطوعة الرائعة أول من يدخل الجنة بإذن الله وذلك استناداً لقول الصادق المصدق عليه السلام في الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال:

(١) حادي الأرواح، ص ٣١٩ .

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٥.

(٣) رواه أحمد في مسنده ٣١٥/١٣ رقم الحديث ٧٩٣٣.

(٤) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢/٣٥٠.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٦.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: " فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً" (١)، ويقول رحمه الله: " وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بأربعين ومنهم من يسبق بخمسائة، كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب أحوالهم وجرائمهم والله أعلم" (٢).

ويشير أيضاً إلى حديث أنس بن مالك ؓ أن رسول الله ﷺ قال: "أتي باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك"، ويقول: "أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة" (٣).

ويدخل الأنبياء الجنة بعد رسولنا الكريم ﷺ بحسب تفاضلهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَأَيُّنَا ذَاوُودَ زُبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

ويشير أيضاً إلى ما رواه أبو هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيتاهم من بعدهم، فاختلّفوا، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه" (٤).

ثم يبين لنا أيضاً أن الشهيد من السبّاق لدخول الجنة والفقير ذو عيال والعبد المملوك فيقول: (٥)

وكذلك الشهيدُ فسبّقه متيقنٌ	وهو الجديرُ بذلك الإحسان
وكذلك المملوكُ حين يقوم بالـ	حقيقين سبّاقاً بغير تواني
وكذا فقيرٌ ذو عيالٍ ليس بالـ	ملحاح بل ذو عفةٍ وصيان

ونظير ذلك للمعاني المتضمنة لتلك الأبيات ما صح عن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "عرض عليّ أول ثلاثة من أمّتي يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد، وعبدٌ مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه، وفقير متعففٌ ذو عيال، وأول ثلاثة يدخلون النار فأمير مسلّط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله من ماله، وفقير فخور" (٦)، وكذلك ما رواه عياض بن حمار المجاشعي ؓ عن رسول الله ﷺ قال: "أهل الجنة

(١) رواه مسلم ج ٤/٢٢٨٥.

(٢) حادي الأرواح، ص ٢٤٠.

(٣) رواه مسلم ج ١/١٨٨، باب قول النبي ﷺ: "أنا أول الناس يشفع في الجنة".

(٤) رواه مسلم ج ٢/٥٨٥، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٧.

(٦) رواه أحمد في مسنده، ج ١٥/٢٩٧ رقم الحديث ٩٤٩٢.

ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قرى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال"^(١).

ويقول الدكتور محمد العريفي في شرح الكافية الشافية " والحقان اللذان قصدهما:

حقّ لله بأداء ما افترضه عليه، واجتتاب ما نهى عنه، وحقّ لسيدته بأن يؤدي حقه عليه وبطيعة في غير معصية الخالق "^(٢).

ويتحدث ابن القيم عن عدد الجنات وأجناسها ويقول:^(٣)

والجنة اسم الجنس وهي كثيرة	جداً ولكن أصلها نوعان
ذهبتان بكل ما حوتاه من	حلي وآنية ومن بنيان
وكذاك أيضاً فضة ثنتان من	حلي وبنيان وكل أوان
لكن دار الخلد والمأوى وعد	ن والسلام إضافة لمعان

ويفصل لنا القول في اسم الجنة وجنسها ويقول: " الجنة هو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرّة الأعين، وهي اسم جامع لكل ما حوته من بساتين ومساكن وقصور "^(٤)، ويقول: " وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية، ومن الجنين: لاستتاره في البطن، والجان: لاستتاره عن العيون، والمجن: لستره ووقايته الوجه، والمجنون: لاستتار عقله وتواريه عنه، وسمي البستان جنة، لأنه يستر ما بداخله من الأشجار ويغطيه، فلا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الشجر مختلف الأنواع " ^(٥).

ويشير في المقطوعة السابقة إلى حديث أنس بن مالك أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة " أنت رسول الله ﷺ فقالت: يا نبي الله لتحدثني عن حارثة؟ وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء. قال: " يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى "^(٦).

(١) رواه مسلم ج ٤/٢١٩٧، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، تح: محمد عبد الرحمن العريفي وآخرون، دار عالم الفوائد، المجلد الأول، ١٤٢٨هـ، ص ٩٤٤.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٧.

(٤) حادي الأرواح، ص ١٩١، وانظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج ٢/٤٩٥.

(٥) المصدر السابق، ١٩١-١٩٢.

(٦) رواه البخاري ج ٣/١٠٣٤، باب من أتاه سهم غرب .

ويشير أيضاً إلى ما رواه أبو بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن" (١).

ثم يضمن معنى شعره في المقطوعة السابقة قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الفرقان: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم: ١٥].

ويقول عن جنة المأوى: "والمأوى مفعل من أوى يأوي إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به" (٢)، أما عن جنات عدن فيقول: " قيل هي اسم لجنة من الجنات والصحيح أنه اسم لجملة الجنات وكلها جنات عدن، فقال الله جلّ في علاه: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [مريم: ٦١]، ويقال: عدن بالمكان إذا أقام به، وعدنت البلد: توطنته، وعدنت الإبل بمكان كذا: لزمته فلم تبرح منه" (٣).

ويقول سيد قطب: "جنة عدن للإقامة، وتلك الجنة لا يرثها إلا من كان تقياً ومن شاء الورثة فالطريق معروف هو التوبة والإيمان والعمل الصالح، وأما وراثة النسب فلا تُجدي" (٤).

ويقول ابن القيم: "وقد سماها الله تعالى بالسلام، ونظير ذلك من القرآن الكريم، فيقول عز وجل: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥] وهي أحق بهذا الاسم فإنها دار السلامة من كل بليّة وآفة ومكروه، وهي دار الله، واسمه سبحانه السلام الذي سلّمها وسلّم أهلها" (٥).

ويبدع ابن القيم في الوصف ويقول: (٦)

لكنما الفردوس أعلاها وأو	سطها مساكن صفوة الرحمن
أعلاه منزلة لأعلى الخلق من	زلة هو المبعوث بالقرآن
وهي الوسيلة وهي أعلى رتبة	خلصت له فضلاً من الرحمن

(١) رواه البخاري ج ٦/٢٧١٠، ومسلم ج ١/١٦٣.

(٢) حادي الأرواح، ص ١٩٧.

(٣) المصدر السابق، ص ١٩٨.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٤/٢٣١٤-٢٣١٥.

(٥) حادي الأرواح، ص ١٩٤.

(٦) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٧.

فيشير لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧- ١٠٨]، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠- ١١]، ويقول رحمه الله: " والفردوس اسمٌ يقال على جميع الجنة ويقال على أفضلها وأعلها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات، وأصل الفردوس البستان والفراديس البساتين " (١).

والحق أن الفردوس هو أعلى الجنة ووسطها، وهي مساكن المختارة من خلق الله من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

ويشير ابن القيم إلى حديث أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: " إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجّر أنهار الجنة " (٢).

ويقول رحمه الله كلاماً عن الوسيلة في غاية الروعة: " سُمّيت درجة النبي ﷺ الوسيلة لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن، وهي أقرب الدرجات إلى الله، وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب وهي فعيلة من وسل إليه تقرب إليه، ومعنى الوسيلة من الوصلة ولهذا كانت أفضل الجنات وأشرفها وأعظمها نوراً " (٣).

ويشير أيضاً إلى حديث عمرو بن العاص ؓ أنه سمع النبي ﷺ يقول: " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلّوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً، ثم سلّوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت عليه شفاعتي " (٤).

ويقول في خطاب رب العالمين للجنة: (٥)

ل تكلمي فتكلمت ببيان

لما قضي ربّ العباد الغرس قا

ماذا ادّخرت له من الإحسان

قد أفلح العبدُ الذي هو مؤمنٌ

(١) حادي الأرواح، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٢) رواه البخاري ج ١٠٢٨/٣ كتاب الجهاد والسير .

(٣) حادي الأرواح، ص ١٦٤ .

(٤) رواه مسلم ج ٢٨٨/١ .

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٨ .

وهذا إشارة لما رواه أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زبرجدة خضراء ملاطها المسك، وحبهاؤها اللؤلؤ، وحشيشها الزعفران ثم قال لها: انطقي، قالت: قد أفلح المؤمنون" ^(١).

ويذكر أن الله تعالى أعد لعباده الصالحين في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيقول: ^(٢)

فِيهَا الَّذِي وَاللَّهِ لَا عَيْنٌ رَأَتْ كَلَّا وَلَا سَمِعَتْ بِهِ الْأَذْنَانُ
كَلَّا وَلَا قَلْبٌ بِهِ خَطَرَ الْمَثَا لَ لَه تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ

فقد أعد الله لعباده في جنة عدن ما لم يخطر مثاله بقلب أحد، ويشير ابن القيم في هذين البيتين إلى ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: " قال الله عز وجل: " أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"، ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] ^(٣).

ويقول سيد قطب في هذا المشهد: " هذا تعبير يشي بحفاوة الله تعالى بالقوم، وتولييه بذاته العلية إعداد المدخور لهم عنده من الحفاوة والكرامة مما تقر به العيون، فلا يكشف لهم عنه إلا عند لقياءه، فهي صورة وضيئة لهذا اللقاء الحبيب الكريم في حضرة الله تبارك وتعالى" ^(٤).

أما في وصفه لبناء الجنة فيصف ويقول: ^(٥)

وَبِنَاوِهَا اللَّبْنَاتُ مِنْ ذَهَبٍ وَأَخْـ رَى فِضَّةً نَوْعَانِ مُخْتَلِفَانِ
وَقَصُورُهَا مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَبْرَجِدٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ خَالِصِ الْعَقِيَانِ
وَالطَّيْنُ مَسْكٌ خَالِصٌ أَوْ زَعْفَرَانٍ نَّ جَابِذَا أَثْرَانِ مَقْبُولَانِ

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، (١٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج ١٥/٣٤٤.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٩.

(٣) رواه البخاري ج ٣/١١٨٥.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٥/٢٨١٣.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٩.

ويشير رحمه الله تعالى إلى ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة وإذا فارقتك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد، قال: " لو تكونون - أو قال: لو أنكم تكونون - على كل حال على الحال التي أنتم عليه عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذبوا لجاء الله بقوم يذنبون حتى يغفر لهم "، قال: قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: " لبننة ذهب ولبنة فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه " (١).

وإشارة أيضاً إلى ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أدخلت الجنة فإذا فيها جناز اللؤلؤ وإذا ترابها المسك " (٢)، وهو من حديث المعراج الطويل.

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن صائد: " ما تربة الجنة؟ قال: درمكة بيضاء مسك يا أبا القاسم، قال: " صدقت " (٣).

ويقول ابن القيم: " إن تربة الجنة وُصفت بالمسك والزعفران والدرمكة، وتربتها متضمنة للنوعين، ويحتمل أن يكون التراب من زعفران، فإذا عجن بالماء صار مسكاً، والطين يسمى تراباً والملاط هو الطين، فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيباً، فانضم أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصار مسكاً، أو يكون زعفراناً باعتبار اللون ومسكاً باعتبار الرائحة، وهذا من أحسن شيء تكون البهجة والإشراق في لون الزعفران، والرائحة في رائحة المسك وتشبيها بالدرمك وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى الصفرة مع لينها ونعومتها " (٤).

أما وصفه لأرض الجنة وحصبائها وتربتها فيقول: (٥)

والأرض مرمرةٌ كخالص فضةٍ (٦)
 مثل المرارة تنالها العينان
 حصباؤها درٌّ وياقوتٌ كذا
 ك لآلى نثرت كثر جمان (٧)
 وترابها من زعفرانٍ أو من المسك الذي ما استلّ من غزلان

(١) رواه أحمد في مسنده، ج ١٣/٤١٠ رقم الحديث: ٨٠٤٣

(٢) رواه البخاري ج ٣/١٢١٧، ورواه مسلم ج ١/٤٨١.

(٣) رواه مسلم ج ٤/٢٢٤٣.

(٤) حادي الأرواح، ص ٢٨٥ - ٢٨٦.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٩.

(٦) مرمرة: نوع من الرخام الصلب، والمرمرة واحدة المرمر، لسان العرب ج ٥/١٧٠.

(٧) الجمان: أشكال اللؤلؤ من الفضة، والواحدة جمانة، لسان العرب ج ١٣/٩٢.

ويبدع قوله في صفة غرفاتها: (١)

غرفاتها في الجو يُنظر بطنها من ظهرها والظهر من بطنان
سكانها أهل القيام مع الصيا م وطيب الكلمات والإحسان
ثنتان خالص حقه سبحانه وعبده أيضاً لهم ثنتان

وفي هذا إشارة لما رواه علي عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: " إن في الجنة غرفاً ترى ظهورها من بطونها، وبطنها من ظهورها" فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: " لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام" (٢).

ويقول الدكتور العريفي: " حق الله: القيام والصيام، وحق العبيد: طيب الكلام والإحسان" (٣).

أما في وصفه لخيام الجنة فيقول: (٤)

للعبد فيها خيمة من لؤلؤ قد جوفت هي صنعة الرحمن
ستون ميلاً طولها في الجوف في كل الزوايا أجمل النسوان

ويشير في هذا المقطع إلى ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: " إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤ واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً" (٥).

وهذا إشارة أيضاً إلى ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: " الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون" (٦).

وقال ابن كثير في تفسيره: " قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن لكل مسلم خيرة، ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك، لا مزحات ولا طمئات ولا بخرات ولا نفرات، حور عين كأنهن بيض مكنون" (٧).

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٠.

(٢) رواه الترمذي ج ٣/٤٢٢، باب ما جاء في قول المعروف.

(٣) الكافية الشافية للعريفي، ص ٩٥٤.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٠.

(٥) رواه البخاري، ج ٤/١٨٤٩، باب حور مقصورات، ورواه مسلم ج ٤/٢١٨٢، باب صفة خيام أهل الجنة.

(٦) رواه مسلم ج ٤/٢١٨٢.

(٧) تفسير ابن كثير، ج ١١/٣٩٢.

ويكمل رحمه الله الوصف ويقول: (١)

يغشى الجميع فلا يشاهد بعضهم
بعضاً وهذا لاتساع مكان
فيها مقاصير بها الأبواب من
ذهبٍ ودرّ زين بالمرجان (٢)
وخيامها منصوبةً برياضها
وشواطئ الأنهار ذي الجريان

والمعنى أن في كل ركنٍ من أركان الخيمة زوجةً من أجمل النسوان بحيث يجامع كل واحدة منهنّ من غير أن يرى بعضهن بعضاً وذلك لاتساع الخيمة.

قال ابن كثير في هذا المعنى: " قال ابن عباس رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]، قال: حورٌ مقصورات في خيام اللؤلؤ، وفي الجنة خيمة واحدة من لؤلؤة واحدة أربع فراسخ، عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب" (٣).

وقال ابن القيم: " وهذه الخيم غير الغرف والقصور، بل هي خيامٌ في البساتين وعلى شواطئ الأنهار" (٤).

أما في وصفه لأرائك الجنة وسررها فيقول: (٥)

فيها الأرائك وهي من سررٍ عليـ — هـنّ الحبال كثيرة الألوان

ويشير في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿سُكِّنَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الكهف: ٣١].

وقال ابن القيم: "الأرائك جمع أريكة، ولا تكون أريكةً حتى يكون السرير في الحجلة، فإذا كان سريراً بغير حجلة فلا يكون أريكة، وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة، ولا تكون أريكة إلا والسرير في الحجلة، فإذا اجتمعا كانت أريكة، وههنا ثلاثة أشياء مجتمعة هي: السرير، والحجلة، والفرش الذي على السرير، ولا يسمّى السرير أريكة حتى يجمع ذلك كله" (٦).

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٠.

(٢) المرجان: اللؤلؤ الصغار ونحوه، وأحدثه مرجانة، لسان العرب ج ٣٦٦/٢ .

(٣) تفسير ابن كثير، ج ١١/٣٩٣ .

(٤) حادي الأرواح، ص ٤٥٤ .

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧١.

(٦) حادي الأرواح، ص ٤٦١ .

ويشير صاحب الظلال لهذا المعنى في قوله: " هم في جلسة مريحة مطمئنة، والجو حولهم رخاء ناعم دافئ في غير حرٍّ، نديٍّ في غير بردٍ، فلا شمسٌ تلهب النسائم ولا زمهريٌّ قارس" (١). وفي وصفه لأشجار الجنة وثمارها فيقول: (٢)

أشجارها نوعان منها ماله كالسدر أصل النبق مخضودٌ كما والطلح وهو الموز منضودٌ كما وكذلك الرمان والأعناب والنخـ يكفي من التعداد قولُ إلهنا في هذه الدنيا مثالُ دان ن الشوك من ثمرٍ ذوي ألوان نُضِدت يدٌ بأصابعٍ وبنان لُ التي منها القطوفُ دوان من كل فاكهةٍ بها زوجان

قال العريفي: " إنَّ أشجار الجنة نوعان: نوعٌ له شبيهه في الدنيا، ونوع ليس له شبيهه في الدنيا، فبدأ بالنوع الذي له شبيهه في الدنيا وهو السدر" (٣).

وقال ابن القيم: " والنبق هو ثمر شجر السدر، ينفع من الإسهال، ويدبغ المعدة، ويسكن الصفراء، ويشهي الطعام، بطئ الهضم، ويصلح الأمزجة الصفراوية، وتدفع مضرته بالهضم" (٤).

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ [الواقعة: ٢٩]: "الطلح: شجر الموز واحدها طلحة" (٥). وذكر ابن عيسى أن الطلح: " هو شجر عظيم من البوادي كثير الشوك، له نورٌ ورائحة طيبة وظل ظليل" (٦)، ويشير الإمام ابن القيم في هذه المقطوعة إلى قول الله تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَغَازٍ * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴾ [النبا: ٣١-٣٢]، وقوله تعالى: ﴿ قُطُوفُهَا دَائِمَةٌ ﴾ [الحاقة: ٢٣].

ويقول: " وخصَّ النخل والرمان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما وشرفهما كما نصَّ على حدائق النخل والأعناب إذ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها وأحلاها" (٧)، ويتطرق للإشارة إلى قوله تعالى: ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانٌ ﴾ [الرحمن: ٥٢]، ويكمل وصفه لثمار الجنة ونعيمها فيقول:

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٦/٣٧٨٢.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧١.

(٣) الكافية الشافية للعريفي، ص ٩٥٨.

(٤) زاد المعاد، ج ٤/٤٠٠.

(٥) تفسير القرطبي ج ١٧/٢٠٨.

(٦) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج ٢/٥١٢.

(٧) حادي الأرواح، ص ٣٦٧.

وأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا فِي اللَّوْنِ مَخْمُومًا — تَلَفُ الطَّعُومِ فَذَٰكَ ذُو الْأَوَانِ
 ويشير في هذا البيت إلى قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: ٢٥].
 وفي قوله أيضاً: (١)

قال ابن عباس وما بالجنة الـ — عليا سوى أسماء ما تريان
 وإذا تناولت الثمار أتت نظيـ — رتتها فحلت دونها بمكان
 وكذلك لم تمنع ولم تحتج إلى — أن ترتقي للقتو في العيدان
 بل نذلت تلك القطوف فكيف ما — شئت انتزعت بأسهل الإمكان

يعني في قول ابن عباس: "أنه لا يشبه شيء مما في الجنة ما الدنيا إلا الأسماء" (٢)،
 ويشير ابن القيم إلى قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢ - ٣٣]،
 وقوله: ﴿قُطُوفًا دَائِبَةً﴾ [الحاقة: ٢٣]، وقال ابن كثير: قال البراء بن عازب عن هذه الآية: "أي أنها
 قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره"، وقال مجاهد: ﴿وَذَلَّلْتُ قُطُوفَهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤]،
 إن قام ارتفعت معه بقدر وإن قعد تذللت معه حتى ينالها، وإن اضطجع تذللت له حتى ينالها" (٣).
 ويقول الشريف الرضي في تلخيص البيان: "والمراد بتذليل القطوف هي عناقيد الأعناب
 وواحدها قطف، وقد جعلت قريبة من أيديهم غير ممتنعة على مجانيهم لا يحتاجون إلى معاناة في
 اجتنائها ولا مشقة في اهتصار أفنانها، فهي كالظهر الذلول الذي يوافق صاحبه ويواتي راكبه" (٤).
 وقوله أيضاً: (٥)

ولقد أتى أثرُ بأن الساقَ من — ذهبٍ رواه الترمذي ببيان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٢.

(٢) تفسير ابن كثير ج ١/٣٨٤.

(٣) المصدر السابق، ج ١٢/٢٨٨.

(٤) تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، (٤٠٤هـ)، تحقيق: علي محمود مقلد، دار مكتبة الحياة،
 بيروت، ص ٣٤٥.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٢.

فيشير إلى ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب" ^(١).

ويصف جذوعَ الشجرِ وسعفها قائلاً:

قال ابن عباسٍ وهاتيكِ الجذو
ومقطعاتهم من الكرب الذي
وتمارها ما فيه من عجمٍ كأمـ
وظلالها ممدودةٌ ليست تقـي
ع زمردٌ من أحسن الألوان ^(٢)
فيها من سعفٍ من العقيان
مثل القلال فجـلٌ ذو الإحسان ^(٣)
حرراً ولا شمساً وأنـى ذان

ويشير في هذا البيت إلى قول الله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمُورًا﴾ [الإنسان: ١٣].

ثم يخبرنا عن ظلال تلك الأشجار وطولها ويقول: ^(٤)

أو ما سمعت بظلٍ أصلٍ واحدٍ
مائة سنينٍ قدّرت لا تنقضي
فيه لسير الراكب العجلان
هذا لعظم الأصل والأفتان

وفي ذلك إشارة إلى ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها" ^(٥).

ويقول رحمه الله:

تفتح الأكمام منها عن لبا
سهم بما شأوا من الألوان ^(٦)

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأُكْمَامِ﴾ [الرحمن: ١١].

ثم ينتقل للحديث عن سماع أهل الجنة وطربهم وغناء الحور العين لأزواجهن في الجنة فيصف ويقول: ^(٧)

(١) رواه الترمذي ج ٤/٢٥٢ كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة شجر الجنة.

(٢) الزمرد: هو الزبرجد، وهو حجر كريم من الجواهر معروف أخضر اللون شديد شفاف، وواحدته زمردة، لسان العرب، ج ٣/٤٩٣.

(٣) والعجم بالتحريك: نوى التمر والندق، والواحدة عجمة، لسان العرب، ج ١٢/٣٩١.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٢.

(٥) رواه البخاري ج ٤/١٨٥١ باب قوله: " وظل ممدود"، ورواه مسلم، ج ٤/٢١٧٥، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها.

(٦) الأكمام: ما غطى جمارها من السعف والليف والجذع، لسان العرب، ج ١٢/٥٢٦.

(٧) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

قال ابن عباسٍ ويرسل ربنا
فتثير أصواتاً تلذ لمسمع الـ
يا لذة الأسماع لا تتعوضي
أو ما سمعت سماعهم فيها غنا
وها لذيك السماع فإنه
ريحاً تهزّ ذوائب الأغصان
إنسان كالنغمات بالأوزان
بلذذة الأوتار والعيّدان
عُ الحور بالأصوات والألحان
مئنت به الأذنان بالإحسان

ويشير إلى ما أورده ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: " في الجنة شجرة على ساقٍ، ظلها قدر ما يسير الراكب في كل نواحيها مائة عام، فيخرج إليها أهل الجنة وأهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها، فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحاً من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا" (١).

يقول الهراس: " فيا لذة الأسماع لا تستعيزي عن هذا السماع العالي الحلو النشيد بما تسمعين في هذه الدنيا من أوتار وعيّدان ولا تستبدلي الذي هو أدنى بالذي هو خير" (٢).

ويشير ابن القيم إلى ما رواه علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن في الجنة لمجتمعاً للهور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها، قال: يقلن نحن الخالدات فلا نبديد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له" (٣).

ثم يشرح ابن القيم في تقديم النصيحة لنا لترك الأغاني والنغمات ولهو الدنيا الذي هو سبب في حرماننا من سماع الأغاني في الجنة يوم القيامة، وإن سماع الأغاني في الدنيا هو للجهال والسفهاء وأصحاب العقول الناقصة، فيقول: (٤)

نزه سماعك إن أردت سماعاً نبيّاً
كأنك الغنا عن هذه الألحان

ويحذرنا من استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، ويخبرنا بأنّ سماع الأغاني في القلب كالمسم في الأبدان.

وينتقل بنا الى وصف أنهار الجنة فيقول: (٥)

(١) تفسير ابن كثير، ج ١١/٤٢٥.

(٢) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢/٣٧١.

(٣) رواه الترمذي في سننه، ج ٤/٢٧٧ باب ما جاء في كلام الحور العين.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٣.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٧٣.

أنهارها من غير أخدودٍ جرت سبحان ممسكها عن الفيضان
من تحتهم تجري كما شاؤوا مَفَجَّـ رةً وما للنهر من نقصان
عسلٌ مصفىٌ ثم ماءً ثم خمـ رٌ ثم أنهارٌ من الألبان

قال ابن عيسى: " تجري الأنهار في غير أخدود من تحت القصور والمنازل والغرف، ومن تحت الأشجار، وهذا يدل على أن الأنهار موجودة حقيقة، وأنها جارية لا واقفة، وأنها تحت الغرف والقصور والبساتين"^(١)، ويشير إلى قوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]، وكذلك إلى ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه وفيه " فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تَفَجَّر أنهار الجنة"^(٢).

ويشير أيضاً إلى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

ويشير إلى ما رواه حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللين وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد"^(٣).

ثم يأخذنا بسحره وشعره إلى أن يصل بنا إلى وصف طعام أهل الجنة فيقول:^(٤)

وطعامهم ما تشتهيهِ نفوسهم ولحومٌ طيرٍ ناعمٍ وسمان
وفواكهٌ شتى بحسب مناهم يا شبعةً كملت لذي الإيمان
لحمٌ وخمرٌ والنساء وفواكه والطيب مع روحٍ ومع ربحان
وصحافهم^(٥) ذهبٌ تطوف عليهم بأكفٍ خدامٍ من الولدان

ويشير ابن القيم في هذه المقطوعة الرائعة إلى قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢٠- ٢١]، وقوله: ﴿وَأَمْدُدْنَاهُمْ بِأَكَفٍ * وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور: ٢٢].

(١) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج ٢ / ٥٢٧.

(٢) رواه البخاري ج ٦ / ٢٧٠٠، وقد سبق تخريجه.

(٣) رواه الترمذي ج ٤ / ٢٨١، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٤.

(٥) والصُّحْفَةُ: هي القصعة والجمع صحاف وهي تشعب الخمسة ونحوهم، لسان العرب ج ٩ / ١٨٧.

وأيضاً إلى ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوّطون ولا يمتخطون ولا يبولون، ولكن طعامهم ذاك جشاء كريح المسك، يلهمون التسبيح والحمد كما تلهمون النفس" (١).

ونظير ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١]، أما في وصفه لشراب أهل الجنة فيقول رحمه الله: (٢)

يُسْقَوْنَ فِيهَا مِنْ رَحِيقٍ خَمْتُهُ بِالمسكِ أَوْلَاهُ كَمَثَلِ الثَّانِي
مِنْ خَمْرٍ لَذَّتْ لَشَارِبِهَا بِلَا غَوْلٍ وَلَا دَاءٍ وَلَا نَقْصَانِ

يشرح ابن القيم في وصف شراب أهل الجنة ولذته دون إحداث غولٍ للعقل كشراب الدنيا، ويشير إلى قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٥، ٢٦] ويشير لقوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٥- ٤٧].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: " كل كأسٍ في القرآن فهو خمرٌ، وقد نزه الله تعالى خمر الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن، وذهابها بالعقل جملة" (٣)، فالشرع يحتمل شارب الخمر تبعات شربه دون عذرٍ يُقبل منه ومسئوليته الكاملة في تلك الفاحشة البغيضة، لأنه تسبب في قتل نفسه وإغوائها وغولها.

أما صاحب الظلال فيقول: " فتلك أجمل أوصاف الشراب التي تحقق لذة الشراب ونفي عقابيله، فلا خمار يصدع الرؤوس ولا منع ولا انقطاع يذهب بلذة المتاع" (٤).

ويقول رحمه الله تعالى:

وشرابُهُمْ مِنْ سَلْسَبِيلٍ مَرْجُوهٍ الـ كَأَفْوَرٍ ذَاكَ شَرَابٌ ذِي الْإِحْسَانِ
هَذَا شَرَابٌ أَوْلَى الْيَمِينِ وَلَكِنْ الـ أَبْرَارُ مَشْرَبُهُمْ شَرَابٌ ثَانٍ
يُدْعَى بِتَسْنِيمٍ سَنَامِ شَرَابِهِمْ شَرِبُ الْمُقْرَبِ خَيْرُهُ الرَّحْمَنِ

(١) رواه مسلم، ج ٤/٢١٨١ .

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٤.

(٣) تفسير ابن كثير، ج ١٠/١٧١ .

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٥/٢٩٨٧ .

ونظيره من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥]، وفي قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧، ١٨].

وقال ابن كثير: " ويسقون الأبرار كأساً كان مزاجها زنجبيلاً، فتارةً يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة، وأما المقربون فإنهم يشربون من كلٍ منها صرفاً" (١)، وفي البيت الثالث يشير لقوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٧].

وقال ابن كثير في هذه الآية: "ومزاج هذا الرحيق الموصوف تسنيم، أي من شراب يقال له تسنيم، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه، لذلك قال: "عيناً بالأرائك يشرب بها المقربون" أي يشربها المقربون صرفاً وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً" (٢).

ويقول الدكتور العريفي: " يعني أن المقرب حينما أخلص في سعيه لله عز وجل وصفاه من كل ما يشوبه من أعمال غير صالحة صوّى الله له شرابه هذا ولم يمزج، والجزاء من جنس العمل، وأن أهل اليمين حينما مزجوا أعمالهم بالمباحات وفعل المكروهات مُزج لهم الشراب فلم يكن صافياً" (٣).

أما في هضم الطعام والشراب وتصريفه فيقول: (٤)

هذا وتصريف المآكل منهم عرق يفيض لهم من الأبدان
كرواح المسك الذي ما فيه خل ط غيره من سائر الألوان

ويشير ابن القيم رحمه الله إلى ما رواه زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الرجل من أهل الجنة يعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والشهوة والجماع " فقال رجل من اليهود: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، فقال له رسول الله ﷺ: " حاجة أحدهم عرق يفيض من جلده فإذا بطنه قد ضمّر" (٥)، وقد وصف لباس أهل الجنة كما ورد في القرآن الكريم فقال:

وهم الملوك على الأسرة فوقها تيك الرؤوس مرصع التيجان

(١) تفسير ابن كثير، ج ١٢/٢٨٩.

(٢) المصدر السابق، ج ١٢/٣٩٧.

(٣) الكافية الشافية للعريفي، ص ٩٧٢.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٥.

(٥) رواه أحمد في مسنده، ج ١٨/٣٢ رقم الحديث: ١٩٢٦٩

ولباسُهم من سندسٍ خضرٍ ومن إستربرقٍ نوعان معروفان
وقد أشار في هذا المشهد إلى حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه أنه قال: كنت جالساً عند
النبي ﷺ ... وفيه:

" فيعطى الملك بيمينه والخذ بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار... " (١).

وفي البيت الثاني يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُونَ ثِيَابًا خَضْرَاءً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا
عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الكهف: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ
سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٣]، فيكون أهل الجنة ملوكاً متكئين على الأسرة والتيجان
المرصعة فوق رؤوسهم.

ويقول ابن القيم: " السندس ما رقّ من الديباج، والإستربرق ما غلظ منه، وهما نوعان من
الحرير وأحسن الألوان الخضر وألين اللباس الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ
العين به وبين نعومته والتذاذ الجسم به" (٢).
ويكمل وصفه ويقول: (٣)

حلّ تشق ثمارها عنها فتب — دو كالرياط بأحسن الألوان
بيضٌ وخضرٌ ثم صفرٌ ثم حم — ر شُبّهت بشقائق النعمان (٤)
لا تقبل الدنس المقرب للبلبي — ما للبلبي أبداً بهنّ يدان

ونظير ذلك ما رواه ابن عمر ﷺ أنه قال: " جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله،
أخبرنا عن ثياب أهل الجنة تُخلق خلقاً أم تنسج نسجاً؟ فضحك بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: "
ممن تضحكون؟ من جاهل يسأل عالماً" ثم أكبّ رسول الله ﷺ ثم قال: " أين السائل؟" قال: هو ذا
أنا يا رسول الله. قال: " لا بل تشقّ عنها ثمر الجنة ثلاث مرات" (٥).

(١) رواه أحمد في مسنده ج ٣٨/٤١ رقم الحديث: ٢٢٩٥٠

(٢) حادي الأرواح، ص ٤١٩.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٦.

(٤) شقائق النعمان: نبات، واحدها شقيقة سميت بذلك لحمرتها على التشبيه بشقيقة البرق، وأضيف إلى النعمان بن
المنذر لأنه نزل بشقائق رمل قد أنبتت الشقر الأحمر فاستحسنها وأمر أن تُحمى، فقيل للشقر شقائق النعمان
بمنبتها لا أنها اسم للشقر، لسان العرب، ج ١٠/١٨٢.

(٥) رواه أحمد في مسنده، ج ١١/٦٦٦.

وفي البيت الثاني يشير ابن القيم إلى ما رواه أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه وهو يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى فتفتح له أكامها فيأخذ من أي ذلك شاء إن شاء أبيض، وإن شاء أحمر، وإن شاء أخضر، وإن شاء أصفر، وإن شاء أسود، مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن " (١).

وفي البيت الثالث إشارة إلى ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه " (٢).

وقال رحمه الله: " لا تبلى ثيابه، الظاهر أن المراد به الثياب المعينة لا يلحقها البلى، ويحتمل أن يراد به الجنس، بل لا تزال عليه الثياب الجدد كما أنها لا ينقطع أكلها في جنسه بل كل مأكول يخلفه آخر " (٣).

ويقول الهراس: " وهذه الحلل في بهائها وحسنها لا يمسهما الدنس والوسخ الذي يسرع بها إلى البلى والتمزق إذ ليس للبلى عليها من سبيل " (٤).
وفي قوله أيضاً: (٥)

ونصيفٌ إحداهنّ وهو خمارها ليست له الدنيا من الأثمان
سبعون من حللٍ عليها لا تعو قُ الطرف عن مخِّ ورا السيقان

وفي هذين البيتين يشير ابن القيم رحمه الله إلى ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قيد سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها "، قال: قلت: يا أبا هريرة ما النصيف؟ قال: " الخمار " (٦).

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي قال فيه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء، لكل رجل منهم زوجتان، على كل زوجة سبعون حلة يبدو مخ ساقها من ورائها " (٧).

(١) تفسير ابن كثير، ج ٦/ ١١١.

(٢) رواه مسلم، ج ٤/ ٢١٨١، باب دوام نعيم أهل الجنة.

(٣) حادي الأرواح، ص ٤٢٨.

(٤) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢/ ٣٨٢.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٦.

(٦) رواه أحمد في مسنده، ج ١٦/ ١٨٩ رقم الحديث: ١٠٢٧٠.

(٧) رواه الترمذي، ج ٤/ ٢٥١.

وفي وصفه لفرش أهل الجنة فيقول: (١)

والفرش من إستبرقٍ قد بُطّنت ما ظنكم بظهارة لبطان

ويشير في هذا البيت إلى قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤].

وقد أوضح ذلك في حادي الأرواح فقال: " فوصفُ الفرش بكونها مبطنّة بالإستبرق يدل على أمرين:

أحدهما: أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها، لأن بطائنها للأرض وظهرها للجمال والزينة والمباشرة.

الثاني: يدل على أنها فرش عالية لها سمكٌ وحشوٌ بين البطانة والظهارة" (٢).

ويصف قائلاً:

مرفوعةٌ فوق الأسرّة يتكّي هو والحييب بخاوةٍ وأمان

هذا وكم زربيةٍ ونمارقٍ ووسائدٍ صفتٍ بلا حسابان

ويشير إلى قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ

مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٥، ١٦]، وقد قال ابن القيم: " والزرابي بمعنى البسط والطنافس، واحدها زربية،

والمبثوثة المبسوطة والمنتشرة، والنمارق هي الوسائد واحدها نمرقة" (٣).

ويقول صاحب الظلال: "فارتفاع السرر يوحي بالنظافة كما يوحي بالطهارة، وأكوابهم

مصفوفة مهياة للشرب لا تحتاج إلى طلب ولا إعداد" (٤).

ووصف حليّ أهل الجنة فقال: (٥)

والحليّ أصفى لؤلؤٍ وزبرجدٍ وكذلك أسورةٌ من العقيان (٦)

ماذاك يختص الإناث وإنما هو للإناث كذلك للذكور

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٢) حادي الأرواح، ص ٤٤١.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٤٦.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٦/٣٨٩٧.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٧.

(٦) الزبرجد: الزمرد، وهو نوع من الجواهر، لسان العرب ج ٣/١٩٤.

وهذا إشارة لقوله تعالى: ﴿يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ لُؤْلُؤًا وَبِأَسْهُمٍ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣]. ويقول العريفي: "والأساور جمع أسورة، وواحد الأسورة: سوار" (١)، وقد أورد صاحب الظلال قولاً رائعاً في هذا المشهد فقال: "إن هذا المشهد يتكشف عن نعيم مادي ملموس، ونعيم نفسي محسوس، فهم يحلون من أساور الذهب واللؤلؤ والحريير، وهذا بعض المتاع ذي المظهر المادي الذي يلبي رغائب النفوس، وبجانبه ذلك الرضا والأمن والاطمئنان" (٢).

ويقول ابن القيم: "واختلفوا في جر لؤلؤ ونصبه، فمن نصبه ففيه وجهان:

أحدهما: أنه عطف على موضع قوله من أساور.

والثاني: أنه منصوب بفعل محذوف دلّ عليه الأول، أي: ويحلون لؤلؤاً، ومن جره فهو عطف على الذهب، ثم يحتمل أمرين:

١- أن يكون لهم أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ.

٢- أن تكون الأساور مركبة من الأمرين معاً، الذهب المرصع باللؤلؤ والله أعلم بما أراد" (٣).

ويقول أيضاً: "قال الحسن: الحلي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء" (٤). وينتقل بنا ببراعة وإبداع لوصف عرائس الجنات وحسنهن وجمالهن ولقائهن ولذة وصالهن والأنس بهن في الخيام والقصور فيصف ويقول: (٥)

فَتَيْمَّمُوا تِلْكَ الْخِيَامَ فَانَسُوا فَيَهِنَّ أَقْمَاراً بِلَا نَقْصَانِ
مِنْ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَا تَبْغِي سِوَى مَحْبُوبِهَا مِنْ سَائِرِ الشَّبَانِ

وقد جاء وصف الحور العين في القرآن الكريم بالقاصرات في ثلاثة مواضع: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَيْنَّ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ [الرحمن: ٥٦]، وقوله: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصفافات: ٤٨، ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ [ص: ٥٢].

وأشار ابن القيم وفصل وقال: "والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يطمحن إلى غيرهم، وقيل: قصرن طرف أزواجهن عليهن، فلا يدعم حسنهن

(١) الكافية الشافية للعريفي، ص ٩٧٩.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٥/٢٩٤٤.

(٣) حادي الأرواح، ص ٤٢٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٢٥.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٨.

وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن، وهذا صحيح من جهة المعنى، وأما من جهة اللفظ فإن قاصرات صفة مضافة إلى الفاعل الحسان الوجوه وأصله قاصر طرفهن أي: ليس بطامح متعدّد^(١).

ويقول صاحب الظلال: " فيهن قاصرات الطرف عفيفات الشعور والنظر، لا تمتد أبصارهن إلى غير أصحابهن، مصونات ناضرات لامعات، لم يمسهن إنسٌ قبلهم ولا جان^(٢)."

ثم شرع ابن القيم في بيان عيوب نساء الدنيا المتخذات أخذان المنقادة لأراذل الناس ذوات العيوب الخلقية المتجردات عن الحسن والإحسان، والواحدة منهن شيطانة في صورة الإنسان لا دين ولا عقل ولا خوف من الله تعالى، المجبولة على الغدر والخيانة لبعثها المنكرة للمعروف والإحسان، فيقول في حقها: (٣)

إن قصّر الساعي عليها ساعةً قالت: وهل أوليت من إحسان؟
أو رام تقويماً لها استعصت ولم تقبل سوى التعويج والنقصان
أفكارها في المكر والكيد الذي قد حار فيه فكرة الإنسان

فأشار في البيت الأول لحديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: " يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار " فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير^(٤)، ثم ينتقل إلى حديث أبي هريرة ؓ الذي قال فيه: قال رسول الله ﷺ: " استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوجاً فاستوصوا بالنساء " (٥).

ثم يتطرق إلى معنى الآية الكريمة ﴿إِنَّ كَيْدَكُمْ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨]، فهن صاحبات مكر وكيد، ويقول العريفي: " جمالها قشرة رقيقة تحتها من العيوب والقبايح ما شاء الله، فهو يشبه نقداً رديئاً قد انطلى بالذهب والفضة، فالعقلاء يميزون بين الذهب الحقيقي والمزيف، فهؤلاء النساء الجميلات الظاهر قد عمي أكثر الناس بحبهن ولم يعلموا ما تحت هذا الجمال المزور من أخلاق سيئة، فهم اهتموا بالمظهر دون المخبر " (٦).

(١) حادي الأرواح، ص ٤٧٩ .

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٦/٣٤٥٨.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٩.

(٤) رواه البخاري، ج ١/١١٦، ورواه مسلم، ج ١/٨٦ .

(٥) رواه البخاري، ج ٣/١٢١٢، ورواه مسلم، ج ٢/١٠٩١ .

(٦) الكافية الشافية للعريفي، ص ٩٨٥.

ويقدم ابن القيم نصيحة لنا بالألا نبيع الذي هو أدنى بالذي هو خير، والباقي بلذة الحطام الفاني، وأن نوجه قلوبنا للباري سبحانه وتعالى، فيقول: (١)

فاخطب من الرحمن خوذاً ثم قدّ م مهزها ما دمت ذا إمكان (٢)
أهملت جمع الزاد حتى فات بل فات الذي ألهاك عن ذا الشأن
والله لو أنّ القلوب سليمةً لتقطعت أسفاً من الحرمان
لكنها سكرى بحب حياتها الدّ نيا وسوف تفيق بعد زمان

والمعنى: أنك إذا لم تكن تستطع أن تخطب خوذاً وهي الفتاة الحسنة، وأعيك ذلك ولم تقدر حتى الآن، فاخطب من الرحمن خوذاً، وقدم لها مهراً، وهو صدق الإيمان والعمل الصالح ما دمت ذا قدرة وإمكان، وإن كنت ذا عقل سليم وإدراك كامل فكيف يليق بك أن تتبع العالي بالسافل وأن تستبدل العاجل الفاني بالذي هو خير وأبقى وأهنأ وأصفي، فإن ذلك لا يقدم عليه إلا ذو عقل مدخول وبصيرة مغلولة وإيمان مهزول.

ويقدم الإمام ابن القيم موعظةً في مكانها ومكانتها أنه ينبغي للمسلم أن يعلم أن هذه الدنيا ليست دار قرار، وإنما هي دار عمل وإعداد للزاد وهو العمل الصالح الذي يوصلك بإذن الله إلى الدار الآخرة، وهي دار الحياة الحقيقية الباقية.

ويشير في البيت الرابع إلى قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنْ السَّخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٦ - ٥٨] .

ثم يفرد ابن القيم فصلاً لوصف عرائس الجنات والنساء الجميلات ذوات الحسن والإحسان اللواتي يشبهن القمر في ليلة البدر من شدة جمالهن، فيقول: (٣)

فاسمع صفات عرائس الجنات ثم اختر لنفسك يا أخوا العرفان
حور حسان قد كملن خلانقاً ومحاسناً من أجمل النسوان
كملت خلانقها وأكمل حسننها كالبدر ليل الست بعد ثمان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٩.

(٢) الخود: الفتاة الحسنة الشابة الجارية الناعمة والجمع خودات وخود، لسان العرب، ج ٣/١٦٥ .

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

ويشير في هذه الأبيات إلى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤].

وقال: " الحور مأخوذ من الحور في العين وهو شدة بياض العين مع قوة سوادها، والحوراء هي التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون، والعين جمع عينا، وهي العظيمة العين من النساء، ورجل أعين إذا كان ضخم العين، وامرأة عينا، والجمع عين، والعين اللاتي جمعن صفات الحسن والملاحة" (١)، وعرائس الجنات مكتملات الحسن والجمال كالقمر في أوج اكتماله وإضاءته، ثم يصف ويقول:

وكلاهما امرأةً صاحبه إذا ما شاء يبصر وجهه يريان

ونظير ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول، ثم تأتيه امرأته فينظر وجهه في خدها أصفى من المرأة، وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب، فتسلم عليه فيرد السلام، ويسألها: من أنت؟ فنقول: أنا من المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً أدناها مثل النعمان من طوبى، فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها من التيجان، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب" (٢).

وفي قوله أيضاً: (٣)

لكنهن كواعبٌ ونواهدٌ
والصدرُ متسعٌ على بطنٍ لها
وجماؤها فهو الشفاءُ لصبِّها (٤)
فهن ودهن كالأطف الرمان
حفت به خصران ذات ثمان
فالصبُّ منه ليس بالضجران

ويشير إلى قوله تعالى: ﴿وَكَوَاعِبُ أُنثَىٰ﴾ [النبا: ٣٣]، وقال ابن كثير: " كواعب أي نواهد، يعني أن ثديهن نواهد لم يتدلين لأنهن أباكار" (٥).

ويقول الهراس: " فالقد كالغصن الرطيب في حسن القوام والاعتدال، فلم يشنه قصر ولا طول، وهذا القد الممشوق والقوام المعتدل قد قام على عجيبة ببيضاء كالعاج ثقيلة ممثلة كأنها كتيب من الرمل فليس الظهر بلاحق لها، بل هي متميزة منفصلة عنه، وكذلك ثدياها قد بعدا عن

(١) حادي الأرواح، ص ٤٧٥ - ٤٧٦

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج ١٨/٢٤٣ رقم الحديث: ١١٧١٥

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨١.

(٤) الصباية: الشوق وصببت إليه صباية، فأنا صبب أي: عاشق مشتاق والأنثى صبة، لسان العرب ج ١/٥١٨ .

(٥) تفسير ابن كثير، ج ١٢/٣١٨.

بطنها فليسا بلاصقين فيه ولا بقريبين منه بل نساء الجنة كلهن كواعب ونواهد، قد كعبت أنداؤهن ونهدت، أي تمت استدارتها وبرزت وارتفعت، فصارت كالرمان المستدير الجيد" (١).

وفي البيت الثاني يعني أن صدرها متسع وهو فوق البطن الذي حف به من الجانبين خصران له ثمان عُكْن من الخلف، وأشار إلى حديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان عندها وفي البيت مخنث فقال لعبد الله أخي أم سلمة: يا عبد الله إن فُتِحَ لكم غداً الطائف فإني أدلك على بنت غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان فقال النبي ﷺ: "لا يدخل هذا عليكن" (٢).

ثم يصف لنا شغل أهل الجنة كما فهمه من القرآن الكريم فقال: (٣)

ولقد روينَا أن شغلهم الذي قد جاء في يس دون بيان
شغل العروس بعرسه من بعد ما عبثت به الأشواق طول زمان

وهذا إشارة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكَهُونٍ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونِينَ﴾ [يس: ٥٥ - ٥٦]، وقال ابن كثير: "شغلهم في الجنة هو افتضاض الأبقار" (٤)، ويقول صاحب الظلال النديّة: "إنهم مشغولون بما هم فيه من النعيم، ملتذون متفكهون، إنهم في ظلال مستطابة يستروحون نسيما، ولهم فوق تلك اللذائذ سلام من ربهم الكريم" (٥).

ثم يصف ابن القيم نساء أهل الجنة ولذة وصالهن والهيام بهن والشوق إليهن ويقول:

والريح مسكٌ والجسوم نواعمٌ واللون كالياقوت والمرجان
وكلامها يسبي العقول بنغمة زادت على الأوتار والعيودان
وهي العروب بشكلها وبدلها وتحبب للزوج كل أوان

فيشير رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿عُرْبًا أُنثَاءً﴾ [الواقعة: ٣٧]، فقال ابن كثير: "هن في صفاء الياقوت، وبياض المرجان،

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢ / ٣٩٥.

(٢) رواه البخاري، ج ٥ / ٢٢٠٨.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨١.

(٤) تفسير ابن كثير، ج ١٠ / ١٣٠.

(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٥ / ٢٩٧٢، وانظر: مشاهد القيامة، ص ١٠٩.

فالمرجان ههنا اللؤلؤ، والعُزْب: يعني بعد الثيوبة يعدن أبقاراً عرباً متحبات إلى أزواجهن بالملاحة والظرافة والحلاوة والتغنج" (١).

ويسهب ابن القيم ويقول: (٢)

أتراب سن واحدٍ متماثل سنّ الشاب لأجمل الشاب
بكرٌ فلم يأخذ بكارتها سوى الـ محبوب من إنس ولا من جان

قال ابن كثير في قوله تعالى " عربا أتراباً": قالت أم سلمة: يا رسول الله أخبرني عن قوله تعالى " عربا أتراباً " قال: " هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز رُمصاً شمطاً، خلقهن الله بعد الكبر، فجعلن عذارى عرباً متعشقاتٍ متحباتٍ أتراباً على ميلادٍ واحد" (٣).

ويشير في البيت الثاني إلى قول الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ لِنِسِّ قَبْلَهُمْ وَلَا

جَان﴾ [الرحمن: ٥٦]، ويقول: " إن ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا وإنما هن من الحور العين، وأما نساء الدنيا فقد طمئنهن الإنس، ونساء الجن قد طمئنهن الجن، وهذا إعلام بكمال اللذة بهن، فإن لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها وكذلك هي أيضاً " (٤).

ويقول رحمه الله: (٥)

ولقد زوينا أنه يغشى بيو م واحدٍ مائةً من النسوان

ويشير في هذا البيت إلى ما رواه أنس ؓ عن النبي ﷺ قال: " يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع " قيل: يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ قال: " يُعطى قوة مائة " (٦).

(١) تفسير ابن كثير، ج ١١/٤٢٩.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٢.

(٣) تفسير ابن كثير، ج ١١/٤٣١.

(٤) حادي الأرواح، ص ٤٨٣.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٣.

(٦) رواه الترمذي، ج ٤/٢٥٨، باب ما جاء في صفة جماع أهل الجنة.

ويقول رحمه الله: " يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات، وحسب المنازل في القلة والكثرة كالخدم والولدان والله أعلم" (١).

ويعرف ويقول: (٢)

وسل المتيم كيف مجلسه مع الـ محبوب في روح وفي ریحان (٣)
وتدور كاسات الرحيق عليهما بأكف أقمار من الولدان
يتنازعان الكأس هذا مرة والخود أخرى ثم يتكئان

يشير في البيت الأول إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩]، وفي البيت الثاني لقوله تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ وُدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مِّعِينٍ ﴾ [الواقعة: ١٧، ١٨]، وقال القرطبي: " فيخدمهم الولدان المخلدون لأنهم أخف في الخدمة، وهم باقون على ما هم عليه من الشباب والغضاضة والحسن، لا يهرمون ولا يتغيرون، ويكونون على سن واحدة على مر الأزمنة" (٤).

ويقول سيد قطب: " ثم نشهد الطواف عليهم بالأكواب ولكننا نشاهدها قوارير من فضة شفّة لا يحجب ما بداخلها، وتلك نهاية الإبداع في الصنعة ونهاية الترف في النعيم" (٥).

ويقول محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره: " لقد جاءت لفظة أكواب مقترنة بالطواف، وفي هذا دلالة على الملازمة من الغلمان والولدان لأهل الجنة، إذ معنى الطواف هو المشي المكرر حول الشيء وهو يقتضي الملازمة له" (٦).

وفي البيت الثالث فإنه يشير إلى قوله تعالى: ﴿ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْوَفُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ ﴾ [الطور: ٢٣]، ويورد ابن القيم فصلاً في نونيته عن حمل النساء في الجنة وولادتهن، فقال بانقضاء الولد والإيلاد معتمداً على الحديث الذي أورده الإمام البخاري في صحيحه، فهو حديث طويل عليه من الجلالة والمهابة ونور النبوة ما ينادي على صحته .

(١) حادي الأرواح، ص ٥٠٥.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٤.

(٣) المتيم: هو الذي تيمه الحب، أي: استولى عليه، لسان العرب، ج ١٢/٧٥.

(٤) تفسير القرطبي، ج ١٩/١٤٣.

(٥) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، ص ٢٥٤.

(٦) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج ٢٧/٢٩٣.

وأشار إلى ما رواه أبو رزين العقيلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد"^(١)، وأشار إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي قال فيه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضع وسنّه في ساعة كما يشتهي، ولكن لا يشتهي"^(٢).
ثم يورد فصلاً في رؤية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى والنظر إلى وجهه الكريم، وتجليه لهم ضاحكاً إليهم، فيقول رحمه الله:^(٣)

ويرونه سبحانه من فوقهم نظر العيان كما يرى القمران
وأتى به القرآن تصريحاً وتعدداً ريضاً هما بسياقه نوعان
وهي الزيادة قد أتت في يونس تفسير من قد جاء بالقرآن

وقد أشار إلى هذه الرؤية تصریحاً كقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وتعريضاً كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقد أورد ابن القيم كلاماً في هذا المشهد في غاية الروعة والبيان فقال:

" وهذا الباب من أشرف الأبواب، وأجلّها قدراً، وأعلاها خطراً، وأقرّها لعيون أهل السنة والجماعة، وأشدّها على أهل البدعة والضلالة، وهي الغاية التي شمّر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون، إذا نال أهل الجنة هذه الرؤية نسوا ما هم فيه من النعيم، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم، فقد انفق على هذه الرؤية الأنبياء والمرسلون والصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون ومن حبل الله منقطعون"^(٤)، ويشير في البيت الثالث إلى تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، في الحديث الذي رواه صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم

(١) رواه الترمذي عن محمد الإمام البخاري، ج ٤/٢٧٧، باب ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج ١٧/١١٦، رقم الحديث: ١١٠٦٣، ورواه الترمذي في سننه ج ٤/٦٩٥.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٧.

(٤) حادي الأرواح، ص ٦٠٥.

تبيّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل، ثم تلا هذه الآية: " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " (١).

وقال ابن القيم: " فالحسنى هي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم، كذلك فسرها رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه القرآن، والصحابة من بعده " (٢)، ونظير ذلك قول الله تعالى: ﴿ تَحِيَّهِمْ يَوْمَ يَلْقَوُوهُ سَلَامٌ ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، ويقول صاحب الظلال: " كيف بهذه الوجوه وهي تنتظر، لا إلى جمال صنع الله، ولكن إلى جمال ذات الله، إنه مقام يحتاج أولاً إلى مددٍ من الله، ويحتاج ثانياً إلى تثبيت من الله، وما لها لا تنتصر وهي إلى جمال ربها تنتظر " (٣).

ويقول ابن القيم في نونيته الشافية: (٤)

هذا ويكفي أنه سبحانه
ولقد أتى في سورة التطيف أن
وأتى بذلك مكذباً للكافرين
وصف الوجوه بنصرة بجنان
القوم قد حُجِّبوا عن الرحمن
من الساخرين بشيعة الرحمن

ففي البيت الأول أشار لقوله تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وأشار في البيت الثاني إلى قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥].

ويقول ابن القيم: "وجه الاستدلال بهذه الآية أن الله تعالى جعل عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته، وسماع كلامه، فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضاً محجوبين عنه، وقد احتج بهذه الحجة الإمام الشافعي نفسه، فقد وصل محمد بن إدريس الشافعي رقعة من الصعيد، والربيع بن سليمان جالساً عنده مكتوب فيها: ما تقول في قول الله تعالى " كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون "، قال الهراس: " فهذا يدل على أن المؤمنين لا يحجبون عنه سبحانه، بل يرونه في جنة الخلد التي وعدّها عباده المتقين، وبهذا احتج الشافعي وأحمد رحمهما الله وغيرهما من علماء أهل السنة " (٥).

وقد قال الشافعي: " لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أوليائه يرونه في الرضا، فقال الربيع: يا أبا عبد الله: وبه تقول؟ قال: نعم وبه أدين، ولو لم يوقن محمد بن

(١) رواه مسلم، ج ١/١٦٣، باب إثبات الرؤية.

(٢) حادي الأرواح، ص ٦١٠.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٦/٣٧٧١.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٧.

(٥) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢/ ٤١٤.

إدريس أنه يرى الله لما عبد الله تعالى" (١)، ويشير في البيت الثالث إلى قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٤ - ٣٦] .

قال ابن كثير: " فاليوم: يعني يوم القيامة " الذين آمنوا من الكفار يضحكون " أي: في مقابلة ما ضحك منهم " على الأرائك ينظرون" أي: ينظرون إلى الله عز وجل في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون، وليسوا بضالين، بل هم من أولياء الله المقربين ينظرون إلى ربهم في دار كرامتهم " (٢).

ثم ينتقل بنا لوصف لحظة خروج الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين وسلامه عليهم، فيقول: (٣)

بينما هم في عيشتهم وسرورهم	ونعيمهم في لذة وتهاني
وإذا بنور ساطع قد أشرقت	منه الجنان قصيها والبداني
رفعوا إليه رؤوسهم فرأوه نو	ر الرب لا يخفى على إنسان
وإذا بربهم تعالى فوقفهم	قد جاء للتسليم بالإحسان
قال: السلام عليكم فيرونه	جهرًا تراه منهم العيان
مصدقًا ذا " يس " قد ضمنته عنـ	د القول من رب بهم رحمن

فيشير ابن القيم في هذه المقطوعة إلى ما رواه جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربعة عشر فقال: " إنكم سترون ريكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا" ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠] (٤)، ويشير أيضاً إلى قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، ويبين أن صلاة الفجر والعصر من أعظم العبادات التي تكون سبباً لرؤية الله تعالى في الجنة، وأن الجنة لا قيمة لها دون لذة النظر إلى وجه الله الكريم، لأنه أعلى النعيم في الجنة، وأن أشد العذاب على أهل النار احتجاب الله عليهم، فتقطع قلوبهم من الحرمان، ويمكنوا في آلامهم وحسراتهم مدي الأزمان.

ويقول رحمه الله تعالى: (٥)

(١) حادي الأرواح، ص ٦١٦.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ١٢/٣٩٩.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٨.

(٤) رواه البخاري، ج ١/٢٠٩، ورواه مسلم ج ١/٤٣٩.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٠.

شوقاً إليه ولذة النظر الذي لجلال وجه الرب ذي السلطان
وكذاك رؤيته وجهه سبحانه هي أكمل اللذات للإنسان

ويشير رحمه الله في البيت الأول إلى ما رواه أبو مجلز رضي الله عنه قال: صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها، فأذكروا ذلك، فقال: ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا: بلى. قال: أما إنني دعوت فيها بدعاء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به: " اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، ولذة النظر الى وجهك، والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضراءٍ مُضرةٍ ومن فتنةٍ مُضلةٍ، اللهم زيننا بزينة الإيمان واجعلنا هداةً مهتدين" (١).

أما في البيت الثاني فإنه يشير إلى ما رواه صهيب رضي الله عنه وفيه: " فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه " (٢).

ويورد الإمام ابن القيم فصلاً في تكليم الله تعالى لأهل الجنة ومحاورته لهم، وأن هذا الكلام من تمام اللذة والرضوان، حيث يحفهم بفضله وعفوه وإحسانه، فيقول: (٣)

أو ما علمت بأنه سبحانه حقاً يكلم حزبه بجنان
فيقول جل جلاله هل أنتم راضون قالوا نحن ذو رضوان
أم كيف لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم ينله قط من إنسان
هل ثم شيء غير ذا فيكون أف ضل منه نسأله من المنان
فيقول أفضل من رضواني فلا يغشاكم سخط من الرحمن

فيشير في هذه المقطوعة الرائعة إلى ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: أعطيتكم أفضل من ذلك، فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً " (٤).

(١) رواه أحمد ج ٣٠/٢٦٤ رقم الحديث: ١٨٣٢٥.

(٢) رواه مسلم، ج ١/١٦٣، باب إثبات رؤية المؤمنين ربه في الآخرة، وقد سبق ذكره .

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٠.

(٤) رواه البخاري، ج ٦/٢٧٣٢، باب كلام الرب مع أهل الجنة، ورواه مسلم، ج ٤/٢١٧٦، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة.

ويقول رحمه الله: (١)

ويذكر الرحمن واحدهم بما قد كان منه سالف الأزمان
منه إليه ليس ثمّ وساطة ما ذاك تويخاً مع الغفران
لكن يعرفه الذي قد ناله من فضله والعفو والإحسان

ونظير ذلك ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستتره فيقول: أتعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته.." (٢).

وفي حديثه عن يوم المزيد وما أعد الله لأوليائه من الكرامات في الجنة، فيقول: (٣)

أو ما سمعت بشأنهم يوم المزيـ د وأنه شأن عظيم الشأن
هو يومُ جمعنا ويوم زيارة الر حمن وقت صلواتنا وأذان

وهو يشير إلى ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " أتى جبريل عليه السلام بمرآة بيضاء فيها وكتة، إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما هذه؟ قال: هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك، فالناس لكم فيها تبع، اليهود والنصارى، ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله تعالى بخير إلا استجيب له، وهو عندنا يوم المزيد، قال النبي صلى الله عليه وسلم: يا جبريل: ما يوم المزيد؟ قال: إن ربك اتخذ في الفردوس وادياً أفيح، فيه كنب مسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله ما شاء من ملائكته، وحوله من نورٍ عليها مقاعد النبيين، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد، عليها الشهداء والصدّيقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكنب فيقول الله لهم: أنا ربكم، قد صدقتكم وعدي، فسلوني أعطكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيتم عنكم، ولكم علي ما تمنيتم، ولديّ مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير... (٤).

أما في وصفه لسوق الجنة فيقول رحمه الله: (٥)

يأتون سوقاً لا يباع ويشتري فيه فخذ منه بلا أثمان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩١.

(٢) رواه البخاري، ج ٨٦٢/٢، باب قوله تعالى: " ألا لعنة الله على الظالمين " .

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩١.

(٤) رواه الشافعي في مسنده، ج ٧٠/١ كتاب إيجاب الجمعة .

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٢.

لله سوقٌ قد أقامتها الملا نكحة الكرام بكل ما إحسان

ويدلل ابن القيم على أن في الجنة سوقاً بما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً" (١).

قال ابن القيم: "فيأتون سوقاً قد حفّت بها الملائكة، فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب، قال: فيحمل لهم ما ليس يباع فيه ولا يشتري، وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضاً، ثم يقبل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه - وما فيهم دني - فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيئة، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم ينصرفون إلى منازلهم فيلقوا أزواجهم فيقلن: مرحباً وأهلاً بحبنا، لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه، فيقول: جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل وبحقنا أن نقلب بمثل ما انقلبنا" (٢).

ثم يمدح هذا السوق وأهله الذين تاجروا مع الله تعالى في الدنيا بالطاعات والعبادات، ولم ينشغلوا بلهو الدنيا الفاني، فيقول: (٣)

واهاً لذا السوق الذي من حلّه نال التهاني كلها بأمان
وتجاره من ليس تلهيه تجا راتٌ ولا يبيع عن الرحمن
أهل المروعة والفتوة والتقى والذكر للرحمن كل أوان
لو كنت تدري قدر ذاك السوق لم تركز إلى سوق الكساد الفاني

ويشير إلى قوله تعالى: ﴿رَجَالٌ لَا تُلِهِمُ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧]، ثم يصف خلود أهل الجنة ودوام صحتهم وعافيتهم ونعيمهم وشبابهم واستحالة نومهم وموتهم، فيقول رحمه الله: (٤)

هذا وخاتمة النعيم خلودهم أبداً بدار الخلد والرضوان

(١) رواه مسلم، ج ٤/٢١٧٨، باب فيمن يود رؤية النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) حادي الأرواح، ص ٥٧٢ - ٥٧٣، نقل بتصريف.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩٣.

أَوْ مَا سَمِعْتَ مَنَادِي الْإِيمَانِ يَخُـ
لَكُمْ حَيَاةٌ مَا بَهَا مَوْتُ وَعَا
وَلَكُمْ نَعِيمٌ مَا بِهِ بؤْسٌ وَمَا
كَلَّا وَلَا نَوْمٌ هُنَاكَ يَكُونُ إِذْ
سَبْرٌ عَنْ مَنَادِيهِمْ بِحَسَنِ بَيَانِ
فِيئَةً بَلَا سَقَمٌ وَلَا أَحْزَانِ
لِشَبَابِكُمْ هَرَمٌ مَدَى الْأَزْمَانِ
نَوْمٌ وَمَوْتُ بَيْنَنَا أَخْوَانِ

فقد دلت آيات كثيرة على خلود أهل الجنة، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُتَقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١]، وقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَوَيْ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٨]، وقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

ثم يخبر أن منادى الإيمان هو رسول الله ﷺ ، ويشير إلى ما رواه أبو سعيد الخدري وأبو هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: " ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تتعموا فلا تباؤوا أبداً، فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَوَدُّوا أَنْ تُلَكَّمُ الْجَنَّةُ أُورِثُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] (١).

ويورد ابن القيم شعراً في ذبح الموت بين الجنة والنار، فيقول: (٢)

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِذَبْحِهِ لِلْمَوْتِ بِيـ
مِنَ الْمُنْزِلِينَ كَذَبِحِ كَبِشِ الضَّانِ

ونظير ذلك من السنة النبوية ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " يؤتى الموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة: فيشربون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي: يا أهل النار: فيشربون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة: خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ: ﴿وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] (٣).

قال ابن القيم: " وهذا الكبش والإضجاع والذبح ومعاناة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً، وقال الموت عرض والعرض لا يتجسم، فضلاً عن

(١) رواه مسلم، ج ٤/٢١٨٢، باب في دوام نعيم أهل الجنة.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٤.

(٣) رواه البخاري، ج ٤/١٧٦٠، باب " وأنذرهم يوم الحسرة "، ورواه مسلم، ج ٤/٢١٨٨، باب الجنة يدخلها الجبارون.

أن يُذبح وهذا لا يصح، فإن الله تعالى ينشئ من الموت صورة كبشٍ يذبح كما ينشئ من الأعمال صوراً معانية يثاب بها ويعاقب، والله تعالى ينشئ من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها وينشئ من الأجسام أعراضاً كما ينشئ سبحانه من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة بأمر الله تعالى" (١).

ثم يبين أن أعمال العباد تعرض يوم القيامة على الميزان فمنها ما يثقل، ومنها ما يخف فيقول: (٢)

أفما تصدق أن أعمال العباد د تحط يوم العرض في الميزان
ولذلك تثقل تارة وتخف آخر رى ذلك في القرآن ذو تبيان

ويشير في هذين البيتين إلى قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَمْ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦، ٩]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

" فإن أعمال العباد التي عملوها من خيرٍ أو شرٍ توضع يوم القيامة في ميزان حقيقي له لسان وكفتان، وتوصف حينئذٍ بالخفة أو الرجحان، ومعلوم أن الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، ولكن الله تعالى يحولها يوم القيامة أعياناً محسوسة" (٣).

ثم يبين أن تلاوة القرآن والتسبيح والذكر والأعمال الصالحة هي التي تجادل وتدافع عن صاحبها يوم القيامة وتونسه في قبره، وتنشئ له نوراً على مد بصره في اليوم الذي يتخلى فيه الأخ عن أخيه والصديق عن صديقه والوالدة عن ولدها، فيقول: (٤)

أو ما سمعت بأن ذلك مؤنس في القبر للمفوف في الأكفان
في صورة الرجل الجميل الوجه في سن الشباب كأجمل الشبان

ويقول العريفي في هذا الموضع: " إن الأعمال تتفجع وتشفع لصاحبها عند الله تعالى وتذكره" (٥). ويستدل ابن القيم بحديث البراء بن عازب رضي الله عنه الذي قال فيه: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في

(١) حادي الأرواح، ص ٨١٥.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٤.

(٣) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج ٢ / ٥٩٣.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٥.

(٥) الكافية الشافية للعريفي، ص ١٠٣٠.

جنازة رجل من الأنصار، [وفيه]: "وبأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير فيقول: أنا عمك الصالح" (١).

قال ابن عيسى: "أنشأ الله تعالى من الأعمال صورةً حسنةً وصورةً قبيحةً تخاطب صاحبها، وهذا حقيقة لا خيال" (٢).

ويقول ابن القيم: (٣)

هذا مثال الأجر وهو فعالنا — تلاوة القرآن بالإحسان

ونظير ذلك عنده ما رواه أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيابتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة" (٤).

ثم يصف الموت بأنه مخلوق من مخلوقات الله وأن الناس سيرونه يوم القيامة، فيقول:

والموت مخلوقٌ بنصّ الوحي والـ — مخلوقٌ يقبل سائر الأكوان

ويستدل بقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوكُم بِأَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

ويقول ابن القيم: "ألا إن سلعة الله غالية، ألا وإن سلعة الله الجنة، فإن السلعة إذا خفي عليك قدرها فانظر إلى المشتري لها من هو، وانظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو؟ وانظر إلى من جرى على يده عقد التبايع، فالسلعة: النفس، والله سبحانه: المشتري لها، والثمن: جنات النعيم، والسفير في هذا العقد خير خلق الله تعالى من الملائكة جبريل عليه السلام، وأكرمهم عليه، وخير خلقه من البشر محمد صلى الله عليه وسلم وأكرمهم عليه" (٥).

ويبين لنا أن جميع الناس في خسارة إلا من كان في طاعة الله وذكره وشكره، وأنه لن يدخل الجنة أحد بعمله، إلا بعفو الله ومغفرته ورضوانه، فيقول: (٦)

(١) رواه أحمد، ج ٤٩٩/٣٠ رقم الحديث: ١٨٥٣٤

(٢) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج ٥٩٤/٢.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٥.

(٤) رواه مسلم، ج ٥٥٣/١، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.

(٥) حادي الأرواح، ص ١٧١.

(٦) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٦.

لن يدخل الجنات أصلاً كادحٌ بالسعي منه ولو على الأجفان
لكن با الإثبات للتسبيب والـ بباء التي للنفي با الأثمان

فيظهر لنا الفرق بين باء السببية وباء المعاوضة استناداً لأحاديث رسول الله ﷺ وأراد أن يبينها إلى أمر عظيم وهو أن الجنة تُدخل برحمة الله وليس عملُ العبد مستقلاً بدخولها وإن كان سبباً ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال في قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨]، وقوله تعالى: ﴿وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال في قوله: " لن يدخل أحدُ الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة، ولكن سدّدوا" (١).

ويقول رحمه الله في حادي الأرواح: " ولا تنافي بين الأمرين لوجهين:

أحدهما: أن النجاة من النار بعفو الله، ودخول الجنة برحمته، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال، لأن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم .

والثاني: أن الباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر، والباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره، وإن لم يكن مستقلاً بحصوله، وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين بقوله: " سدّدوا وقاربوا، واعلموا أن أحداً منكم لن ينجو بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته، فمن عرف الله تعالى وشهد مشهده حقه عليه ومشهد تقصيره وذنوبه، وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به والله سبحانه وتعالى المستعان" (٢).

(١) رواه البخاري، ج/٥/٢١٤٧، رواه مسلم، ج/٤/٢١٦٩.

(٢) حادي الأرواح، ص ١٧٦-١٧٨.

المبحث الثاني التشبيه

التشبيه لغةً: " التمثيل، وهو مصدرٌ مشتق من مادة شبه، والشَّبه، والشَّبَه، والشَّبيه: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيء الشيء: ماثلته، وتشابه الشيطان واشتبهها، والتشبيه التمثيل" (١).

ويورد ابن القيم هذا المعنى في قصيدته لحظة وصفه لسن أهل الجنة من الرجال والنساء، فيقول: (٢)

أترابٌ سنٌّ واحدٍ متماثلٍ سنُّ الشباب لأجمل الشَّبَّانِ

وفي اصطلاح البلاغيين:

قال السكاكي: " إن التشبيه مستدع طرفين: مشبهاً ومشبهاً به، واشتراكاً بينهما من وجه، وافتراقاً من آخر" (٣).

ويقول **ابن الناظم:** " ولا يصار للتشبيه إلا لغرض وأن حاله تتفاوت في القرب والبعد والقبول والرد" (٤).

وعرّفه **الخطيب القزويني**، فقال: "هو الدلالة على مشاركة أمرٍ لأمرٍ في معنى، بأداة من أدوات التشبيه الظاهرة أو المقدره، وهو ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية، ولا الاستعارة بالكناية" (٥).

والتشبيه: " فنٌّ من فنون الكلام وعنصرٌ من عناصر الأسلوب، يرسم صورةً للحس والشعور، فينقل المعنى بصورة واضحة كأننا نراه بأبصارنا، ونلمسه بأيدينا، والتشبيه من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم، وهو بحر البلاغة وسرّها" (٦).

ويورد إمام البلاغة وشيخها **عبد القاهر الجرجاني** قولاً في التمثيل ومدى تأثيره في النفس، فيقول: " وهل تشك في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر بُعد ما بين المشرق والمغرب ويجمع ما بين المُشتم والمُعرق وهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبيهاً في الأشخاص المائلة والأشباح القائمة وينطق لك الأخرس ويعطيك البيان من الأعجم ويريك الحياة في

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٣ / ٥٠٣ .

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٢.

(٣) مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٣٣٢ .

(٤) المصباح في المعاني والبيان والبيدع، لابن الناظم، ص ١٠٤ .

(٥) الإيضاح للخطيب القزويني، ص ٢١٧، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ١٤٨-١٤٩ .

(٦) القرآن والصورة البيانية، د. عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص ٧.

الجماد، وبريك التمام عين الأضداد فيأتيك بالحياة والموت مجموعين والماء والنار مجتمعين" (١).
وتجدر الإشارة هنا إلى أن التمثيل نوع من أنواع التشبيه كما يرى الإمام عبد القاهر الجرجاني، فيقول: "والتمثيل ضرب من ضروب التشبيه، والتشبيه عامٌ والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيل" (٢).

ويقول رحمه الله: " فالتمثيل يريك العدم وجوداً والوجود عدماً والميت حياً والحي ميتاً، أعنى جعلهم الرجل إذا بقي له ذكر جميل وثناء حسن بعد موته كأنه لم يموت وجعل الذكر حياة له، وحكمهم على الخامل الساقط القدر الجاهل الدنيء بالموت وتصييرهم إياه حين لم يكن ما يؤثر عنه ويُعرف به كأنه خارج عن الوجود إلى العدم أو كأنه لم يدخل في الوجود." (٣)

ويورد المراغي قولاً في هذا المعنى: " إلحاق أمر بأمر يقصد بذلك: إلحاق المشبه بالمشبه به، والمعنى المشترك بينهما هو وجه الشبه، وذلك بأداة الكاف وكأن وما في معناهما لغرض الفائدة، والفائدة لإيضاح المعنى المقصود مع الإيجاز والاختصار" (٤).

أركان التشبيه:

يرى علماء البلاغة أن للتشبيه أربعة أركان: (٥)

- ١- المشبه: ولا بد للمشبه أن يشترك مع المشبه به في وجه الشبه.
- ٢- المشبه به: والمشبه به هو الأصل، لأن وجه الشبه فيه أقوى منه في المشبه، ولا بد أن يكون ملائماً للمشبه في وجه الشبه المعترف، واختيار المشبه به المناسب للمشبه هو من أسرار البيان التي لا يهندي إليها إلا من رزقه الله فهماً سليماً وذوقاً رفيعاً عالياً.
- ٣- أداة التشبيه: " وهي كل لفظ يدل على المماثلة والاشتراك، وتكون في الأسماء، والأفعال، والحروف، وكلها تفيد قرب المشبه من المشبه به في صفته" (٦).
- ٤- وجه الشبه: وهو الصفة المشتركة بين المشبه والمشبه به.

(١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، ص ١٣٢.

(٢) أسرار البلاغة للجرجاني، ص ٩٥.

(٣) المصدر السابق، ص ١٣٥-١٣٦.

(٤) علوم البلاغة للمراغي، ص ٢١٣.

(٥) فن التشبيه، بلاغة، أدب، نقد، على الجندي، كلية دار العلوم، مكتبة نهضة مصر، الطبعة الأولى، ١٩٥٢م ج ١/ ٩٤، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ١٤٩.

(٦) علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص ٧٧.

ويقول القزويني: " هو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقاً أو تخيلاً، والمراد بالتخييل أنه لا يمكن وجوده في المشبه به إلا على طريق التخييل" (١).
وهذه الأركان الأربعة منحصرة في:

أولاً: أقسام التشبيه باعتبار الطرفين:

ويقول ابن الأثير في كتابه المثل السائر: ينقسم التشبيه باعتبار الطرفين إلى: (٢)

• الأول: باعتبار المحسوس والمعقول، ويندرج تحته:

١- تشبيه المحسوس بالمحسوس: " وهو ما يدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، ومعنى هذا أنهما قد يكونان من المبصرات، أو المسموعات، أو في المذوقات، أو المشمومات، أو الملموسات" (٣). وذلك كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٨ - ٩].
وقال الزمخشري: " فقد شبه السماء بالزيت المغلي، أو الفضة المذابة في ثلونها، والجبال بالصوف المصبوغ، وكلاهما حسيان" (٤).

ويقول عبد القادر حسين في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطُّرْفِ عِينٍ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصفافات: ٤٨ - ٤٩]، " فقد قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددنها إلى غيرهم، لعفتهن وحيائهن، ولفرط محبتهن لأزواجهن، كما وصفهن باتساع العيون وحسنها، وقد شبه نساء الجنة ببيض النعام المكنون الذي لم ينكشف لضوء الشمس ولا لغيره، فلم تلمسه الأيدي، ولم يصبه الغبار لحسنه وصفائه ورونقه، فلا ينظر إليهن أحد سوى أزواجهن، ولا يقترب منهن أحد غيرهم، وكلا الطرفين في التشبيه حسيان" (٥).

وقال سليمان رطروط: " لقد شبههن ببيض النعام المصون من الغبار، وذلك في الصفاء والبياض المخلوط بالصفرة، فإن ذلك أحسن ألوان الأبدان، والعرب تشبه النساء ببيض النعام من

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص ٢٢٤.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق وتعليق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ج ٢ / ١٢٧ - ١٢٨.

(٣) علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص ٦٦ - ٦٧، وانظر: المصباح في المعاني والبيان والبديع، لابن الناظم، ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، شرح وضبط يوسف الحمادي، دار مصر للطباعة، ج ٤ / ٤٦٢.

(٥) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ٤٨.

حيث لون الأجساد، وهو لون جسد المرأة المرغوب عندهم إذا كان مائلاً إلى الصفار، أو ما يسمى بالأشقر، وهذا اللون ما يحب الرجال أن تكون أجساد النساء موصوفة به^(١).

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّ الْياقوتَ وَالْمَرْجَانَ﴾ [الرحمن: ٥٨]، فقد شبه الحور العين بالياقوت والمرجان والأحجار الكريمة، فظهر جمالهن وحسنهن وبهاؤهن في أجمل صورة من خلال هذا التشبيه المنقطع النظير، للترغيب بهن والشوق إليهن ولأن النفس بفطرتها تميل إلى ذلك الجمال الخلاب، والمشبه والمشبه به حسيان.

" والياقوت هو جوهر نفيس لونه ورديّ، فهو ليس بالأبيض ولا الأحمر الشديد الحمرة، والمرجان صغير اللؤلؤ وأبيضه، فالحور العين وجوهن كأنها الياقوت ذلك اللون الوردى الذي يحب الرجال أن تكون النساء عليه، فهو أبيض مشرب بحمرة، وأما أجسامهن فهي بيضاء صافية كصفاء المرجان"^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٢ - ٢٣]. ويقول ابن ناقياً في هذا المشهد: " فهن كأمثال الدر يخرج من صدفه، ولكنه لم يغيره الزمان، واختلاف أحوال الاستعمال، وقد شبههن في صفائهن وتلائهن بصفاء الدر وتلائنه، فهن صافيات كأمثال اللؤلؤ المنثور"^(٣)، ونظير ذلك ما ورد في القصيدة النونية لابن القيم، فيصف ويقول:^(٤)

والرَّيحُ مسكٌ والجسوم نواعمٌ واللون كالـياقوت والمرجان

" أما ريحها فنوافح المسك يفوح أريجها من فمها وثيابها حتى يتضوع به المكان من حولها، وأما جسمها فأشد نعومة من الحرير لا يرى به آثار خشونة ولا تشقق ولا يبوسة، وأما اللون فصفاء الياقوت في بياض المرجان، فقد شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان "^(٥)، وكلا الطرفين حسيان.

وفي البيت تشبيهةً بليغٌ وذلك في قوله: والريح مسك، حيث شبه رائحة نساء أهل الجنة بالمسك، وحذف أداة التشبيه ووجه الشبه.

(١) الجنة في القرآن الكريم، أوصافها - أهلها - نعيمها، سليمان حسن رطروط، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، ص ١٧٨.

(٢) الجنة في القرآن الكريم، سليمان رطروط، ص ١٧٦-١٧٧.

(٣) الجمان في تشبيهات القرآن، عبد الله بن الحسين بن ناقياً (٤٨٥هـ)، تحقيق وضبط ومراجعة: محمد حسن الشيباني، الرياض، ط ١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص ٢٥١.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٢.

(٥) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢ / ٣٩٨

ويقول ابن ناقياً في هذا المشهد: " وقد شبه نساء الجنة بالياقوت في صفاء اللون والبياض والحسن، والمرجان الذي يميل لونه إلى الحمرة الجميلة، وهي أحسن الألوان" (١).
وقوله في وصف حسننها وبهائها، فيقول: (٢)

كَمُلْتَ خَلَائِقَهَا وَأَكْمَلَ حُسْنَهَا كَالْبَدْرِ لَيْلِ السَّيِّتِ بَعْدَ ثَمَانِ

فهن حور حسان قد كملت خلائقهن، فلا يرى منهن عيب ولا نقصان، وكملت محاسنهن حتى ليحار الطرف فيهن من رقة الجلد ونعومته وشفاء الألوان، وحتى ليرى مخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن، كما ترى الصور في المرأة، ولا تسئل عن جمال العيون، ففيها كل السحر والفتون والعشق والجمال، فقد زانها الحور فاشتد بياض بياضها واشتد سواد سوادها، وقد شبههن في كمال وصفهن بالبدر ليلة أربعة عشر، وكلاهما حسيان.

وأورد التشبيه التمثيلي في قوله: كالبدر، حيث شبه الحوراء في تمام حسننها بالبدر ليلة التمام، وجاء بالاستعارة المكنية في قوله: " كملت خلائقها " حيث شبه خلائقها بالطفل الذي يكتمل نموه، وحذف المشبه به وأبقى صفة من صفاته وهي الاكتمال.

وأقول: فإن الحوراء قد كملت خلائقها فلا يصدر عنها إلا كل جميل من عفةٍ وشرفٍ وطاعةٍ للزوج وتحببٍ إليه وقصرٍ للطرف عليه، ومناجاته بأحب الكلام إليه، فلا يبدر منها إليه ما يسوؤه ولا يرى منها ما يكرهه، ولا يقع منها دائماً إلا على كل ما يزيده حباً فيها وانجذاباً إليها.
وفي وصف صدور الحور العين ونهودهن، فيورد قوله لكل مشتاق متلهف عطشان لهن، فيقول: (٣)

لَكِنَّهِنَّ كَوَاعِبٌ وَنَوَاهِدٌ فَتُـدِيهِنَّ كَأَلْفِ الرُّمَّانِ

فإن ثدييها قد بعدا عن بطنها فليسا بلاصقين فيه ولا بقريبين منه، بل نساء الجنة كلهن كواعب ونواهد، قد كعبت أثداؤهن ونهدت، فتمت استدارتها وبرزت وارتفعت، فصارت كفحول الرمان اللذيذة، وقد شبه الثدي في استدارته بالرمان وكلاهما حسي.

ونظير هذا ما أورده ابن القيم في سماع الغناء لأهل الجنة، عندما تأتي ريح الجنة فتعز نوائب أغصان الشجر فتحدث أصواتاً جميلة، يغنين نساء الجنة على تلك الألحان، ويتلذذون بها، ولا يملّون من سماعها، فيقول:

(١) الجمان في تشبيهات القرآن، ص ٢٤٥.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨١.

فتثير أصواتاً تلذ لمسمع الـ إنسان كالنغمات بالأوزان^(١)

فقد شبه الأصوات التي تحدثها الرياح وهي تهز نواذب الأغصان بالنغمات الموسيقية الموزونة، وذلك من شدة روعتها وبهائها، وقد أورد المشبه وهو الأصوات، والمشبه به وهو النغمات، وكلاهما يدركان بالسمع، وهو من باب تشبيه المحسوس بالمحسوس.

" والكواعب جمع كاعب، وهي المساوية لغيرها في السن، وقد وصفهن بالأتراب بالنسبة بينهن في تساوي السن لزيادة الحسن، فلا تفوت واحدة منهن غيرها، فلا تكون النفس إلى إحداهن أميل منها إلى الأخرى، فتكون بعضهن أقل مسرة في نفس الرجل، ويجوز أن يكون هذا الوصف بالنسبة بينهن وبين أزواجهن لأن ذلك أحب إلى الرجال في معتاد أهل الدنيا لأنه أوفق بطرح التكلف بين الزوجين، وذلك أحلى المعاشرة"^(٢).

٢- تشبيه المعقول بالمعقول: " ويدخل في ذلك ما يدرك بالوجدان والعقل، كاللذة والألم، والفرح والحزن والغضب، فمثل هذه المعاني توجد بفعل قوى باطنية تدركها النفس، وتسمى تلك القوى وجداناً، وقد سميت عقلية لخفائها وعدم إدراكها بالحواس الظاهرة، كالألوان المدركة بالعين، والطعم المدرك بالذوق"^(٣).

ويصف لذة الفساق الزائلة الفانية، فيقول:^(٤)

يا لذة الفساق لست كلذة الـ أبرار في عقلٍ ولا قرآن

فقد نفى أن تكون لذة الفساق وذوي المجون، كلذة المتقين الأخيار، فإن لذة الأبرار دائمة لا تنتقطع، لأن الله تعالى هو الذي منّ عليهم بها، وقد جاء التشبيه من باب تشبيه المعقول بالمعقول، فكلا اللذتين لا تدركان بالحس، وإنما بالعقل.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٣.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٣٠ / ٤٥.

(٣) علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص ٧٠، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ١٥٣، وانظر: جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٤.

٣- تشبيه المحسوس بالمعقول، أو العكس:

وهذا ما جاء به ابن القيم في ذم أهل الدنيا الذين يتمتعون بالأغاني الفانية، ويتلذذون للحظات، ثم تبقى الهموم والأحزان والحسرات، فتقطع قلوبهم أسفاً وحسرةً، على ما فرطوا في جنب الله، وقد بين أن الإنسان الذي يفضل غناء الدنيا على الآخرة، فقد فضل الذي هو أدنى بالذي هو خير، فقال رحمه الله: (١)

والله إن سماعهم في القلب وال— إيمان مثل السم في الأبدان

فقد شبه سماع الأغاني في القلب بالسم في البدن، وهو من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، فالأثر الناجم عن السماع يدرك بحاسة السمع، وهو محسوس، والأثر والنشوة الناجمة عن السم يدرك بالحس، فالسماح يدرك بالعقل، والسم في الأبدان يدرك بالحس.

ويقول ابن عيسى: "إن سماع الأغاني من مكائد الشيطان التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين وصاد بها قلوب المبطلين والجاهلين سماع المكاء والتصدي والغناء بالآلات المحرمة هو الذي يصد القلوب عن القرآن ويجعلها عاكفةً على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان والحجاب الكثيف عن الرحمن وهو رقية اللواط والزنا وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المنى" (٢).

ويصف ابن القيم مشهد ذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار، وأنه يُذبح كما يُذبح الكبش الأقرن، فيقول: (٣)

أو ما سمعت بذبحه للموت بي— من المنزليين كذب كبش الضان

فقد شبه الموت وهو يُذبح بين الجنة والنار بالكبش السمين، فأورد ذبح الموت وهو غير مدرك بالحس، المشبه بذبح الكبش المدرك بالحس، وهو من باب تشبيه المعقول بالمحسوس.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٣.

(٢) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج ٢ / ٥٢١.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٤.

الثاني: باعتبار الأفراد والتركيب والتعدد:

١ - تشبيه المفرد بالمفرد: (١)

ونظير ذلك في وصف نساء الجنة وهنّ يتمايلن لأزواجهن ويغنين لهم، حيث قال: (٢)

وإذا بدت في حلةٍ من لبسها وتمايلت كتمايل النشوان

حيث شبه الحوراء وهي تختال وتتننى أمام زوجها بشارب الخمر الذي يتمايل من ثمالة، وقد جاء بالمشبه مفرداً، وهو " الحوراء "، والمشبه به مفرداً وهو " المتمايل النشوان "، وهو من باب تشبيه المفرد بالمفرد.

٢ - تشبيه المركب بالمركب: " والمركب هو الصورة المكونة من عدد من العناصر مزج بعضها ببعض حتى صارت شيئاً واحداً" (٣).

وفي تشبيه ابن القيم للهور العين ووصفه لهن، فيقول: (٤)

والمعصمان فإن تشأ شبههما بسبيكتين عليهما كفان
كالزبد ليناً في نعومة ملمسٍ أصدافٌ درّ دورت بوزان

فقد شبه معصميا بسبائك الذهب، وذلك بجامع الجمال والبهاء والحسن، فكان هذان المعصمين كالزبد في نعومتهم وملسهم، فهن المرفهات ذوات الحسن والإحسان، وقد جاء التشبيه في هذا المشهد مركباً من أمور عدة، هي المعصمان والكفان، وتشبيهما بالزبد وأصداف الدر والياقوت، وهذا من باب تشبيه المركب بالمركب.

ويقول الزمخشري: " فكما تزوج نساء الدنيا بين أنواع الحلبي وتجمع بينها، فما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران: سوار من ذهب وسوار من فضة " (٥).

٣ - تشبيه المتعدد بالمتعدد: وذلك كقوله في وصف الحور العين وجمالهن: (٦)

تهتز كالغصن الرطيب وحملته وردٌ وتفاحٌ على رمان

(١) جواهر البلاغة، للهاشمي، ص ٢٢٣.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٣.

(٣) من بلاغة القرآن، ص ١٥٩.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨١.

(٥) الكشاف للزمخشري، ج ٤ / ٥٢٠.

(٦) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٤.

فقد شبه الحوراء وهي تتمايل لزوجها بالغصن الرطيب الممتلئ بالثمار اللذيذة، فخدودها كالورد والنقاح في لذته وجماله وصفائه وهو يتمايل على الأغصان، ونهودهن كألف الرمان في شكله وطعمه ولذته، وهو من باب تشبيه المتعدد بالمتعدد.

ويقول **على الجندي** في كتابه **فن التشبيه**: " لم يقع التشبيه متعدداً في القرآن، ولم يأت فيه تشبيه شيئين بشيئين، ولا أكثر من ذلك، وإنما جاء تشبيه واحد بواحد فيما ورد من أنواع التشبيه جرياً على أعراق البلاغة الأصيلة التي تنفر من التكلف والإغراق، ولكن مع تراخي الزمن عدل الشعراء عن البساطة والقصد إلى التعقيد والإسهاب، وأفضل التشبيه هو متعدد الطرفين، لأنه أقرب إلى الفطرة، وأبعد عن التعسف والتعقيد، وهو ما وقع فيه تشبيه شيئين بشيئين في بيت واحد"^(١).

ثانياً: أدوات التشبيه:

إن لهذه الأدوات دوراً في إفادة المعاني الخاصة في التشبيه، ويمكن تقسيمها على النحو التالي:

١- **في الحروف**: " وتكون بالكاف، وكأن أو إرادتها أو إرادة معناها، والمشهور أنها تفيد التشبيه على الإطلاق"^(٢).

ونظير ذلك في ذكر أداة التشبيه ما أورده ابن القيم، فقال:^(٣)

والقد منها كالقضيب اللدن في حسن القوام كأوسط القضبان

فقد ذكر أداة التشبيه " الكاف " في موضعين، وهي من حروف التشبيه، وفي البيت أيضاً تشبيه تمثيلي: حيث شبه القد بالقضيب.

٢- **في الأسماء**: " وتكون بمثل وشبه، ومضاهٍ، ومساوٍ، ومشاكل ومشابه ومضارع وما كان بمعناها أو مشتقاً منها"^(٤).

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في وصف الحور العين وأقدامها وسيقانها، فقال:^(٥)

والساق مثل العاج ملموم يُرى مَخَّ العظام وراءه بعيان

فذكر أداة التشبيه " مثل " وهي من الأسماء، وفي البيت تشبيه تمثيلي، فقد شبه ساق الحوراء في دقته وجماله بالعاج.

(١) فن التشبيه، على الجندي، ج ٢ / ١٢٧ - ١٤٢.

(٢) المصدر السابق، ج ١ / ١٧٥ - ١٧٨.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

(٤) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ٧٥.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٢.

ويقول الزمخشري: " إن الحوراء تلبس سبعين حلة، فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء"^(١).

٣- في الأفعال مثل: شابه، مائل، يخيل، حاكى، وغير ذلك من الأفعال المشتقة.

وذلك كقوله في وصف لباس أهل الجنة:

بيض وخضر ثم صفر ثم حم — — — — — ر شُبّهت بشقائق النعمان

فذكر أداة التشبيه " شبهت " وهي فعل ماضٍ، وفي البيت تشبيهه: فقد شبه ملابس أهل الجنة وهي تتشقق بشقائق النعمان وهو أجمل أنواع الورد والأزهار.

ثالثاً: أقسام التشبيه باعتبار الأداة:

وقد ذكر عبد العزيز عتيق في كتابه علم البيان فقال: " والبلاغيون يقسمون التشبيه باعتبار الأداة إلى:^(٢)

١- التشبيه المرسل: وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه.

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في قصيدته في مصرف طعام أهل الجنة، وشرابهم وهضمه، وأنه عرقٌ يفيض لهم من أجسادهم رائحته كرائحة المسك، فقال:^(٣)

كروائح المسك الذي ما فيه خل — — — — — ط غيره من سائر الألوان

فقد ذكر أداة التشبيه في قوله " كروائح المسك "، لذلك فإنه يعتبر تشبيه مرسل.

وفي وصفه لأرض الجنة وتربتها وحبائها، فقال:^(٤)

حصباًؤها درّ وياقوتٌ كذا — — — — — ك لآليء نُثرت كمنثر جُمان

فقد شبه حصباء الجنة بالدرّ والياقوت والفضة المنثورة، وقد ذكر أداة التشبيه في موضعين هما: " كذا، كمنثر " والحقيقة إنّ حصباءها كالدرّ والياقوت، فإن لون الأرض من أحسن وأبهى الألوان، ورائحتها من أطيب الروائح الكريمة.

(١) الكشاف للزمخشري، ج ٤ / ٣٢٦.

(٢) علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص ٨٠، وانظر: البلاغة العربية للميداني، ج ٢ / ١٧٣.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٦.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧٠.

وقوله في وصف حلي أهل الجنة: (١)

والحلي أصفى لؤلؤ وزبرجد وكذلك أسورة من العقيان

فشبه حليهم باللؤلؤ والزبرجد، وذلك بجامع النفاسة والجمال، وقد ذكر أداة التشبيه وهي " كذاك " .

وفي وصفه لأرض الجنة وحبائنها وتربتها: (٢)

والأرض مرمرة كخالص فضة مثل المرآة تنالها العينان

حيث شبه الأرض بالمرمرة، وقد ذكر أداة التشبيه في موضعين هما: " كخالص - مثل " ، وفي المشهد ذاته، يصف ويقول: " والأرض كخالص فضة " ، فقد شبه الأرض بالفضة الخالصة، وأيضاً في قوله: " مثل المرآة " حيث شبه الأرض بالمرآة التي تنالها الأعين.

٢- التشبيه المؤكد: وهو ما حذف فيه الأداة.

وسمي بالمؤكد لأنه يؤكد العلاقة بين المشبه والمشبه به وهو أبلغ من المرسل، وقد أورده ابن القيم في وصفه للروائح الكريمة التي تخرج من بطونهم وأبدانهم، فتعود ضامرةً تبغي الطعام على مدى الأزمان فقال: (٣)

ولهم جشاءً ريحه مسك يكو نُّ به تمامُ الهضم بالإحسان

فقد شبه رائحة هضم الطعام برائحة المسك الذي يفوح من الجسد، ولم يذكر أداة التشبيه في قوله: " ريحه مسك " ، والتقدير: " ريحه كالمسك " ، لذلك يعتبر تشبيهاً مؤكداً، وتحذف الأداة للمبالغة.

وفي وصفه للزمرة الثانية التي تدخل الجنة، فقال: (٤)

أمشاطهم ذهب ورشحهم فمس كُ خالصٌ ياذلة الحرمان

فشبه أمشاطهم في جمالها بالذهب، وعرقهم بالمسك الخالص، وقد حذف أداة التشبيه، وهو من باب التشبيه المؤكد، والتقدير: أمشاطهم كالذهب ورشحهم كالمسك.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٦.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٦٣.

٣- التشبيه البليغ:

يقول الميداني: " وهو ما حذف فيه أداة التشبيه ووجه الشبه "(١).

ونظير ذلك في وصف الحور العين وثورهن المتألثة وعيونها وجفونها:(٢)

حمر الخدود ثغورهن لآلىء سود العيون فواتر الأجفان

فقد شبه ثغورهن باللؤلؤ وذلك بجامع أعلى مراتب الحسن والجمال، وقد حذف أداة التشبيه ووجه الشبه وهذا من أعلى مراتب التشبيه وأقواه.

وقوله في وصف لحاهم وألوانهم وشعورهم:(٣)

ألوانهم بيض وليس لهم لحي جعد الشعور مكحلو الأجفان

ففي هذا المشهد يشبه ألوانهم بالبياض، وهذا من تمام الحسن والجمال، وقد حذف أداة التشبيه ووجه الشبه، فهي من باب التشبيه البليغ.

وفي البيت استعارة تصريحية، وذلك في قوله: جعد الشعور: حيث حذف الوجوه وهي المشبه، وصرح بالمشبه به وهي الشعور.

وهذا يعني: أن أهل الجنة يدخلونها بيضاً جرداً ليس لهم لحي، جعد الشعور في شعورهم تكسر وليست سبطة، مكحلو الأجفان، وهذا هو تمام الحسن في هذه الأشياء الثلاثة، فتمام الحسن في اللون أن يكون أبيضاً صافياً، وتمامه في الشعر أن يكون جعداً، وتمامه في العينين أن تكونا مكتحلتين.

وقوله في وصف الزمرة الثانية التي تدخل الجنان وتنتعم فيها، فيصف ويقول:

أمشاطهم ذهب ورشحهم فمسك — ك خالص يا ذلة الحرمان

حيث شبه أمشاطهم بالذهب ورشحهم بالمسك الخالص، وقد حذف أداة التشبيه ووجه الشبه، فهو من باب التشبيه البليغ.

وإن أنبتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألوّة ورشحهم المسك، فهؤلاء هم السابقون الذين سبقوا في الدنيا إلى الخيرات وسبقوا في الآخرة إلى الجنات.

(١) البلاغة العربية للميداني، ج ٢ / ١٧٣.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٥.

ويقول الهراس: " وأما الجماعة التي تلي هؤلاء المقربين في دخول الجنة، فإن أحدهم يرى كأشد الكواكب إضاءةً في أفق السماء، وتكون أمشاطهم من ذهب وعرقهم مسك خالص، فما أعظم هذا النعيم، وبإذلة من حرمه ولم يظفر به، إن ذلك هو الخسران المبين" (١).

ووصفه لبناء الجنة، فيقول: (٢)

وقصورها من لؤلؤ وزبرجدٍ أو فضةٍ أو خالص العقيان

حيث شبه القصور باللؤلؤ والزبرجد والفضة بعقيان الذهب، وقد حذف أداة التشبيه ووجه الشبه، لذلك فإنه يعتبر من التشبيه البليغ.

وقوله:

وبناؤها اللبانات من ذهب وأخرى فضة نوعان مختلفان

تشبيه بليغ: حيث شبه البناء باللبنات، وهذه اللبانات من ذهب وفضة، وقد حذف أداة التشبيه ووجه الشبه.

ويصف قامات أهل الجنة، فيقول: (٣)

والطول طول أبيهم ستون لـ كن عرضهم سبع بلا نقصان

تشبيه بليغ: حيث شبه طولهم بطول أبيهم، وقد حذف أداة التشبيه ووجه الشبه.

وفي وصفه لأقدام الحور العين، فيقول: (٤)

أقدامها من فضةٍ قد رُكِّبت من فوقها ساقان ملتفان

حيث شبه أقدام الحور العين بالفضة، وحذف أداة التشبيه ووجه الشبه، فهي من باب التشبيه البليغ.

وفي وصفه لرائحة الهضم التي تخرج من بطونهم، فيقول:

ولهم جشاءً ريحاً مسكٌ يكو ن به تمام الهضم بالإحسان

تشبيه بليغ: حيث شبه الجشاء بريح المسك، وحذف أداة التشبيه ووجه الشبه.

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢ / ٣٤٦.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨٢.

رابعاً: أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه:

الأول: تمثيل وغير تمثيل.

الثاني: مفصل ومجمل.

الثالث: قريب وبعيد.

١ - التشبيه التمثيلي:

قال الحسن المفتي: " هو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد أمرين أو أمور " (١).

" وهذا هو مذهب جمهور البلاغيين، ولا يشترط فيه غير تركيب الصورة، سواءً أكانت العناصر التي تتألف منها صورته أم تركيبته حسية أو معنوية" (٢).

ونظير ذلك قوله: (٣)

فألوردُ والتفاحُ والرمانُ في غصنٍ تعالي غارس البستان

فقد جاء وجه الشبه صورة منتزعة من أمور عدة، وهذا من باب تشبيه المتعدد بالمتعدد، حيث شبه الحوراء في جمال خدودها وصدرها ووجهها وجبينها، بالغصن المثمر الذي حمل فواكه عدة كثيرة الألوان، فشبه نهديها في استدارتهما بالرمان، وخذها بالورد، وجبينها ووجهها بالتفاح، وذلك في أجمل صورة، فأورد تشبيه التمثيل في أجمل صورة يمكن أن نتدبرها.

فالحور العين طرية الجسم تكاد تتفجر شباباً وصحةً وامتلاءً، يجري ماء الشباب في جسمها الممشوق فيزيده ليناً وطلاوةً وحسناً، فهي بيضاء باكرها النعيم وجرى ماؤه في غصنها الناعم الرخيم، فحمل من كل الثمار ففيه ما شئت من ورد على الخدود وتفاح على الجبين ورمان في الصدور، فتعالي الله غارس ذلك البستان الذي أودعه من كل ما تشتهيه النفس وتلذه الأعين.

ومنه قوله أيضاً وهو يصف بناء الجنة ولبناتها وقصورها وتربتها، فيقول: (٤)

وبناؤها اللبانات من ذهب	وأخرى فضة نوعان مختلفان
وقصورها من لؤلؤ وزبرجد	أو فضة أو خالص العقيان
وكذاك من در وياقوت به	نُظم البناء بغاية الإتقان

(١) خلاصة المعاني للحسن المفتي، ص ٣٥٥.

(٢) علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص ٨٦، وانظر: جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٢٣٤.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٦٩.

والطين مسك خالص أو زعفران جابذا أثيران مقبولان

فجاء وجه الشبه منتزعاً من عدة أمور، فقد شبه لبنات الجنة وحجارتها بالذهب والفضة، بجامع الزينة والنفاسة، والقصور باللؤلؤ والزبرجد والذهب الخالص والدر والياقوت والمرجان، وتربيتها بالمسك الخالص والزعفران، وكل ذلك بجامع الحسن والجمال الذي لا يتخيله العقل.

ومنه قوله: (١)

حمرُ الخدودِ ثغورهن لآلىءُ سودُ العيون فواترُ الأجفان

والبرقُ يبدو حين يبسم ثغرها فيضئُ سقفَ القصرِ بالجدران

فجاء وجه الشبه صورةً متعددة من أمور عدة، فنساء الجنة حمر الخدود وسود العيون وفواتر الأجفان وشفاههن كاللؤلؤ، وثغورهن كالياقوت والمرجان، فالجدران والقصور تتلألأ لحظة ابتسامتها لزوجها.

وغير التمثيل: وذلك إذا لم يكن وجه الشبه صورةً منتزعةً من متعدد، أو ما كان مفرداً غير مركب. ونظير ذلك في قوله:

والقد منها كالقضيب اللدن في حسن القوام كأوسط القضبان

فقد شبه قدّها بالغصن الرطيب، وذلك في حسن القوام والاعتدال، فلم يُشبه قصر ولا طول، ولم يكن التشبيه في هذا المشهد منتزعاً من صور متعددة، بل من صورة مفردة.

٢- التشبيه المفصل: "وهو ما ذكر فيه وجه الشبه" (٢).

ونظير ذلك قول ابن القيم في وصف أهل الجنة ولحاهم وألوانهم: (٣)

ألوانهم بيض وليس لهم لحي جعد الشعور مكحلو الأجفان

هذا كمال الحسن في أبشارهم وشعورهم وكذلك العينان

فتمام الحسن في اللون أن يكون أبيضاً صافياً، وتمامه في الشعر أن يكون جعداً، وتمامه في العينين أن تكونا مكتحلتين، فذكر وجه الشبه وهو كمال الحسن في جميع تلك الصفات.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

(٢) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٢٣٥.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٥.

وقوله عند سماع العبد لصوت رب العالمين في الجنة واهتزاز قلبه شوقاً ووجلاً لسماع ذياك الصوت، فيقول: (١)

يهتز قلب العبد عند سماعه طرباً بقدر حلاوة الإيمان

فقد شبه قلب العبد بالغصن الذي يتمايل ويهتز من شدة الفرح والشوق للقاء الله وسماع صوته، وقد صرح بوجه الشبه بجامع الطرب والفرح والرشاقة. **والمجمل:** وهو ما حذف منه وجه الشبه.

ونظير هذا ما أورده ابن القيم، في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى، فقال: (٢)

ويرى الذين بذلها من فوقهم مثل الكواكب رؤية بعيان

شبه أهل الجنة وهم يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق، وقد ذكر المشبه والمشبه به وأداة التشبيه، ولكنه حذف وجه الشبه.

٣- **التشبيه القريب:** (٣) وهو المبتدل، وينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر. وذلك كقوله في وصف ثمار الجنة: (٤)

وثمارها ما فيه من عجم كأم — ثال القلال فجّل ذو الإحسان

فقد شبه ثمرها كأمثال القلال والدلاء، وهي أشد بياضاً من اللبن وأحلى مذاقاً من العسل وألين من الزبدة ليس فيها عجم، وتشبيه الثمار في حجمها بالقلال لا يحتاج لامعان نظر وتفكر، فقد انتقل من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر.

والبعيد: " وهو ما لا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد إمعان للفكر، وذلك لخفاء وجهه في بادئ الرأي، وحكم وجه الشبه أن يكون في المشبه به أقوى منه في المشبه، وإلا فلا فائدة في التشبيه " (٥).

ونظير ذلك في وصف نساء الجنة، فقال رحمه الله تعالى: (٦)

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٣.

(٣) علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص ٩٣، وانظر: البلاغة العربية للميداني، ج ٢ / ١٧٨.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٢.

(٥) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٢٣٦.

(٦) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

والشمس تجري في محاسن وجهها والليل تحت ذوائب الأغصان

فهذا التشبيه يحتاج لامعان نظر وتفكر، وذلك لدقته وخفائه، فكيف تجري الشمس بنورها في وجهها، وكيف يكون الليل تحت ذوائب شعرها الفاحم الجميل، فعجباً للشمس والليل كيف يجتمعان مع بعضهما البعض في وجهها وشعرها، فلا الليل يدرك شمسها فتغيب عند إقباله، ولا شمسها تطرد الليل عند إدياره، بل يتلازمان فيها كأنهما أخوان لا يفترقان، فهذه الصورة تحتاج إلى إمعان نظر وفكر وتدقيق.

وكقوله أيضاً: (١)

في مغرسٍ كالعاج تحسبُ أنه عالي النقا أو واحد الكثبان

فقد شبه عجيزتها البيضاء الممتلئة والمثقلة بالعاج الثقيل النفيس، وشبه هذا العاج بكثبان الرمل العظيمة، فهذا التشبيه يحتاج إلى تدقيق وتفكر، لأنه تشبيه بعيد.

يقول الهراس: " فقوامها المعتدل قد قام على عجيزة بيضاء كالعاج ثقيلة ممتلئة كأنها كثيب من الرمل" (٢).

أنواع التشبيه:

١ - التشبيه الضمني:

" هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلحان في التركيب، ويفهمان من المعنى، وهذا النوع من التشبيه أنفذ في النفوس والخواطر، لاكتفائه بالتلميح مما يزيد من قوة تأثيره" (٣).

ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في وصفه للعجيزة المغررة بالإنسان وخداها له، فقال: (٤)

لا يُرتجى الوفاء منها لصبها أين الوفا من غادرٍ خوآن

ففي هذا المشهد يشبه حال الدنيا الماكرة التي تخدع أهلها بزینتها ودمالجها بالإنسان الخائن الذي ينكر عهوده وموآثيقه مع الناس، وفي البيت طباق إيجاب في قوله: " الوفا وغادر".

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨١.

(٢) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢ / ٣٩٤.

(٣) من بلاغة القرآن، ص ١٧٧، وانظر: علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص ١٠١.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٩.

ووصفه للهور العين لحظة خروجها من خيمتها، فيقول:

ما في الخيام سوى التي لو قابلت للنيرين لقلت منكسفان^(١)

تشبيهه ضمني: حيث شبه حال ذهاب نور الشمس وضياء القمر لحظة خروج الحوراء من خيمتها وتغطية نورها على نور الشمس والقمر، بالكسوف والخسوف الذي يحدث مع الشمس والقمر، فضياؤها حجب نور الشمس والقمر، وذلك من شدة جمالها وحسنها وبهائها. وكقوله أيضاً:^(٢)

أبدانهم أجداث هاتيك النفوس س الاء قد قُبرت مع الأبدان

فشبه حال قلوبهم الموحشة والمظلمة الخاوية من العلم والإيمان، بالأبدان المدفونة داخل القبور المظلمة الموحشة، فقلوبهم وأرواحهم في وحشة لا تزول عنهم. وقوله أيضاً في ذمهم بجعلهم الدنيا جنتهم، فقال:^(٣)

عمرت بهم هذي الديار وأقفرت منهم ربوع العلم والإيمان

فقد شبه قلوبهم حال فراغها من العلم والإيمان بالديار المقفرة الجباء الخاوية على عروشها، وفيه تشبيه آخر: حيث شبه أبدانهم بمقابر النفوس.

٢ - التشبيه المقلوب:

" وهو ما رجع فيه وجه الشبه إلى المشبه به، وذلك حين يراد تشبيه الزائد بالناقص ويلحق الأصل بالفرع للمبالغة، وهذا النوع جاري على خلاف العادة في التشبيه، ووارد على سبيل الدور"^(٤).

وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ * أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٤ - ٣٥].

ويقول الدكتور محمد علوان: " فأصل الكلام: أفجعل المجرمين كالمسلمين، ولكنه قلبها مسابرة لاعتقادهم أنهم أفضل من المسلمين"^(٥).

(١) النيران هما: الشمس والقمر، واللام في " النيرين " زائدة، الكافية الشافية للتعريف، ص ٩٥٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٥٨.

(٤) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٢٣٩.

(٥) من بلاغة القرآن، ص ١٧٩.

وقوله في وصف أسنان الحور العين وجمال ثغرها: (١)

والبرق يبدو حين يبسم ثغرها فيضئ سقف القصر بالجدران

ففي قوله: " البرق يبدو- يبسم ثغرها "، حيث جعل البرق فرعاً، وأسنانها أصلاً، فيظهر البرق بعد ظهور أسنانها، فيكون قد شبه البرق بأسنانها بجامع اللمعان والضياء، فالأصل أن البرق يلمع فتظهر الأسنان، ولكن الذي حدث هو أن الحوراء تضحك في وجه زوجها في الجنة فيبدو البرق واللمعان ناتجاً عن ضحكها وذلك على سبيل التشبيه المقلوب.

ويقول إمام البلاغة **عبد القاهر الجرجاني**: " واعلم أن هذا النوع من التشبيه يوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر، ففيه إغراق في المبالغة وشيء من السحر" (٢).

٣- التشبيه التمثيلي:

يقول **السكاكي**: " هو ما كان وجهه وصفاً منتزعاً من عدة أمور، وخص باسم التمثيل" (٣).

وذلك كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَنُبِيًّا مَنَ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْ أَكْثَارًا ضِعْفَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، " فقد شبه حال من ينفق في سبيل الله ابتغاء مرضاته بعيداً عن الرياء والسمعة، بحال البستان الذي استقر على مرتفع من الأرض، ويسقى بماء المطر فجاء البستان بثمره مضاعفاً، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من مجموع أشياء تكامل بها تضعيف المنفعة، فالهيئة المشبهة هي النفقة التي حفّ بها طلب رضا الله والتصديق بوعدده، فضوعفت أضعافاً كثيرة أو دونها في الكثرة، والهيئة المشبهة بها هي هيئة الجنة الطيبة المكان التي جاءها المطر الهتان فزكا ثمرها وتزايد، فأكملت الثمرة" (٤).

ونظير ذلك ما ورد في القصيدة النونية، في وصفه لأشجار الجنة وظلالها وثمارها: (٥)

أشجارها نوعان منها ماله كالسدر أصل النبق مخضود كما
في هذه الدنيا مثال دان ن الشوك من ثمر ذوي ألوان
نضدت يد بأصابع وبنان والطلح وهو الموز منضود كما

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

(٢) أسرار البلاغة للجرجاني، ص ٢٢٣.

(٣) مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٣٤٦.

(٤) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٣ / ٥٢.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧١.

وكذلك الرمان والأعناب والنَّخْ — — — — —
 وثمارها ما فيه من عجم كأم — — — — —
 مثل القلال فجبل ذو الاحسان

فقد أورد التشبيه في البيت الثالث في قوله: والطلح وهو الموز، حيث شبه الطلح بالموز، وهو تشبيه بليغ قد حذف منه وجه الشبه والأداة.

وفيها أيضاً: استعارة مكنية، وذلك في قوله: كما نضدت، فقد شبه اليد بالشجرة المثمرة التي ينضد ثمرها أثناء نضجها، وحذف المشبه به وأبقى صفة من صفاته وهي النضد.

وأورد التشبيه التمثيلي في البيت الخامس من هذه المقطوعة فقال: ثمارها كأمثال القلال، فقد شبه عجم الثمار بالقلال، وفي البيت كناية عن العظمة والإبداع في الصنعة وذلك في قوله: جلّ ذو الاتقان.

يقول الزمخشري: " فالسدر شجر النبق، والمخضود الذي لا شوك كأنما خُضد شوكه، وهو الذي تنتج أغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب، والطلح شجر الموز، أو شجر له نوار كثير طيب الرائحة، أو شجر يشبه طلع الدنيا، ولكن ثمره أحلى من العسل" (١).
 وقد ورد التشبيه التمثيلي، وذلك كقوله: (٢)

لكن تراه من ورا ذا كله — — — — —
 مثل الشراب لدى زجاج أوان

فأورد التشبيه التمثيلي في هذا المشهد، حيث شبه كل ما ورا السيقان بالشراب.

وكقوله أيضاً: (٣)

والطرف يشرب من كؤوس جمالها — — — — —
 فتراه مثل الشارب النشوان

فأورد التشبيه التمثيلي في قوله: " مثل الشارب " حيث شبه الطرف بالشارب النشوان، وهي من باب الاستعارة المكنية، فقال: " والطرف يشرب " حيث شبه الطرف بإنسان يشرب، وحذف المشبه به وجاء بلازمة من لوازمه وهو الشرب.

ويقول رحمه الله:

حتى يحار الطرف في الحسن الذي — — — — —
 قد ألبست فالطرف كالحيران

(١) الكشاف للزمخشري، ج ٤ / ٣٣١.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٠.

حيث شبه الطرف بالحيران وهو من باب التشبيه التمثيلي.

وأورد المشهد بصورة الاستعارة المكنية في قوله: " يحار الطرف " حيث شبه الطرف بالإنسان الحيران، وحذف المشبه به وأبقى صفة من صفاته وهي الحيرة.

ويصف الحوراء لحظة خروجها لزوجها وعاشقها في أجمل الحلل والثياب، فيقول: (١)

وإذا بدت في حلةٍ من لبسها وتمايلت كتمايل النشوان

فإن هذا البيت مشتمل على التشبيه التمثيلي، حيث شبه الحور العين في لبسها وتمايلها بالشارب النشوان.

ويقول في وصف العمل الصالح الذي يأتي للإنسان على هيئة رجل جميل المنظر: (٢)

في صورة الرجل الجميل الوجه في سن الشباب كأجمل الشباب

ففي قوله: كأجمل الشبان، حيث شبه العمل الصالح بالشباب الجميل، وذلك بجامع الحسن والبهاء. ويقول كذلك: (٣)

أن العباد يرونه سبحانه رؤيا العيان كما يرى القمران

فجاء بالتشبيه التمثيلي، وذلك في قوله: " كما يرى القمران " حيث شبه رؤية الله في الجنان كرؤية القمرين وهما الشمس والقمر.

ويصف سحاب الجنة وما تمطره على أهل الجنان، فيقول: (٤)

ويظلمهم إذ ذاك منه سحابة تأتي بمثل الواابل الهتان

حيث شبه ظلال الله وهي تسقط عليهم بالمطر الغزير، وذلك بجامع الكثرة في كل.

ويقول: (٥)

كالبدر ليلة تمه قد حُفّ في غسق الدجى بكواكب الميزان

حيث شبه الحوراء بالبدر ليلة التمام، وهو من باب التشبيه التمثيلي.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩٢.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٨٤.

وقوله أيضاً: (١)

في مسلّم تشبيهاً بالدرمك الصا في وبالمسك العظيم الشأن
حيث شبه الأرض بالدرمك الصافي والمسك، وهي من باب التشبيه التمثيلي.

وقوله في الزمرة الثانية التي تدخل الجنة: (٢)

والزمرة الأخرى كأضواً كوكب في الأفق تنظره به العينان
حيث شبه وجوههم بأضواً كوكب في الأفق الغابر، وهي من باب التشبيه التمثيلي.

الأغراض التي تعود إلى المشبه:

١ - بيان حال المشبه:

وذلك كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥٠ - ٥١]، " فقد شبه حال المنافقين ونفورهم وإعراضهم عن الحق بحال الحُمُر الوحشية النافرة نفاً قوياً، فهي تعدو بأقصى سرعة العدو لحظة هروبها من الأسد" (٣).

ونظير هذا ما ذكره ابن القيم في وصفه للمعصمين والكفين، وأنها ألين من الزبدة وألذ من العسل، فقال: (٤)

كالزبد ليناً في نعومة ملمسٍ أصدافٍ درّ دورت بـوزان

فقد شبه نعومة يديها بالزبد، وذلك بجامع اللين والدلال، وكأن يديها أصدافاً من الدر والياقوت والمرجان في بهائها وجمالها، فقد شبه حال ملامسة يديها بحال الزبدة اللينة الطرية، وهي مستديرة مع رشاقتها ونعومتها وجمالها.

ويصف ابن القيم الحور العين لحظة عشقها لزوجها وتساقطها في حضنه وهما على فرشيتهما خلوان، فيقول: (٥)

يتساقطان لآئناً منثورةً من بين منظومٍ كنظم جُمان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٣.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٢٩ / ٣٢٩ - ٣٣٠.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨١.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٨٤.

فقد شبه حال الحور العين لحظة تساقطها على الفراش مع معشوقها باللؤلؤ والجمان لحظة تناثره من العقد بصورة بهية.

ويقول الزمخشري: " وقد شُبِّهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور، وقد شُبِّهوا أيضاً باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه لأنه أحسن، وأينما وقع بصرُ الرائي لم يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير وملك كبير"^(١).

٢- بيان مقدار حال المشبه: " وذلك في القوة والضعف والزيادة والنقصان "^(٢).

وذلك كقوله في وصف ثمار الجنة:

وثمارها ما فيه من عجم كأمشا ل القلال فجلى ذو الإحسان

فثمار الجنة عظيمة وكبيرة ذات حسن وجمال، وتقع عليها العيون في الجنة، ولكن المخاطب لا يعلم مدى عظمها وضخامة حجمها، فالغرض من التشبيه بيان مقدار حجم هذه الثمار وأشجارها، وأنها أشبه شيء بالقلال الكبيرة الحجم الضخمة، فسبحان من أتقن صنعها وأبدعها. وقوله كذلك:^(٣)

تهتز كالغصن الرطيب وحمله ورد وتفاح على رمان

فشبه حالها وهي تهتز متثنية في مشيتها ومختالة أمام زوجها بالغصن الطري الممتلئ بثماره اللذيذة، فلون الورد في خدودها، وطعم التفاح في شفثيها، ونهودها كالرمان المزهو بالجمال واللذة.

ويقول الزمخشري: " فالجنة ذلت قطوفها، وتذليل القطوف أن تجعل ذُللاً لا تمتنع على قُطَافها كيف شاعوا، أو تُجعل ذليلة لهم خاضعة "^(٤).

٣- بيان إمكان وجود المشبه:

" وذلك إذا كان المشبه أمراً غريباً لا يتصور ثبوته، ولا يعقل إمكانه، ويمكن أن يدعى امتناعه، فيأتي المشبه به ليبين إمكان وقوعه "^(٥).

(١) الكشف للزمخشري، ج ٤ / ٥١٨ - ٥١٩.

(٢) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ٩٣.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٤.

(٤) الكشف للزمخشري، ج ٤ / ٥١٧.

(٥) من بلاغة القرآن، ص ١٨٩.

يقول الميداني: " إذ إن الصفة في المشبه به ظاهرة لا نزاع في وجودها فيه، ويرى المتلقي عدم إمكان وجودها في المشبه، فيأتي التشبيه فيكشف حقيقة هذه الصفة المجهولة"^(١).
وذلك كقوله في وصف طعام أهل الجنة وتصريف مآكلهم، فيقول:^(٢)

هذا وتصريف المآكل منهم عرق يفيض لهم من الأبدان
كروائح المسك الذي ما فيه خل ط غيره من سائر الألوان

فالمشبه هو حال تصريف المآكل التي تخرج من أجساد أهل الجنة على شكل العرق الذي يفيض من أبدانهم، والمشبه به هو حال رائحة المسك الصافي الذي لم يخلط مع غيره من الألوان والروائح الأخرى، ووجه الشبه هو نقاء المسك وصفائه وجماله ورائحته البهية، والغرابية حاصلة في هذا الأمر، لأن هناك من قد ينكر وجودها بأن تصريف الطعام يكون عن طريق العرق، فذكر العرق ورائحة المسك فيه، وذلك لبيان إمكانية وجوده، فطعام أهل الجنة وشرابهم لا يخلف في بطونهم فضلات تؤذيهم يحتاجون معها إلى بول أو غائط، بل تخرج عرقاً له رائحة كرائحة المسك الخالص الذي لم يخلط به غيره.

٤- تقرير حال المشبه في ذهن السامع:

يقول عبد القادر حسين: " وهذا الغرض نسعى إليه حين يراد إبراز الأمور المعنوية الذهنية في صورة حسية مشاهدة حتى تستقر في نفس السامع، وتتمكن في ذهن المخاطب، وذلك لأن النفس تميل إلى الأمور المحسوسة التي يقع عليها الحس فإذا برزت الأفكار المتخيلة في صورة مشاهدة قوي الإيمان بها وأصبح دليلاً يدفع كل تردد في تصديق هذه الدعوى"^(٣).

وفي هذا المشهد العظيم الذي تقشعر منه الأبدان، يصف ابن القيم مشهد ذبح الموت بين الجنة والنار وكأنه كبشٌ أعد للذبح، فيقول:^(٤)

أو ما سمعتَ بذبحه للموت بي من المنزلين كذبح كبش الضان

فالموت شيء معنوي لا يتمكن من نفوسنا، ولا يستقر في أذهاننا إلا إذا أتى في معرض الحس والمشاهدة، فجاءت صورته المحسوسة يوم القيامة وكأنه كبشٌ أملحٌ أعد للذبح، فنراه بأعيننا، فتطمئن نفوس المؤمنين لوقوع ذلك المشهد، ويزول كل شك أو تردد في ذهن السامع في حتمية

(١) البلاغة العربية للميداني، ج ٢ / ١٧٠.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٣) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ٩٥.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٤.

ذبح الموت يوم القيامة وخلود المؤمنين في الجنان دون موت أو فناء، وخلود الكافرين في جهنم دون موت أو فناء.

وفي البيت تشبيه تمثيلي وذلك في قوله: كذب كبش الضأن، حيث شبه الموت بالكبش الذي يذبح.

وفيه أيضاً استعارة تصريحية: وهذا في قوله: بذبح الموت، حيث إنه حذف المشبه وصرح بالمشبه به وهو الموت.

ونظير ذلك في وصفه لسماع الأغاني في الدنيا وأن تدميرها للإيمان في القلب واستحواذها عليه كاستحواذ السم في البدن، وسيطرته عليه وفتكه به، فيقول: (١)

وَاللّٰهُ إِن سَمَاعِهِمْ فِي الْقَلْبِ وَالْإِيمَانِ مِثْلُ السَّمِّ فِي الْأَبْدَانِ

فإن سماع الاغاني أمر معنوي لا يستقر في النفس إلا إذا أتى في صورة مادية مشاهدة، وقد جاءت صورة سماع الأغاني والتعلق بها وعشقها وكأنها سم فتاك مستقر داخل القلب فلا ينجو منه ولا يبرأ، فأبرز الصورة المعنوية بصورة مادية مرئية لكي يستقر حالها في النفوس والأذهان، وفي المشهد تشبيه تمثيلي: حيث شبه سماع الأغاني وأثرها على قلب المؤمن بالسم الذي ينقش في البدن، فلا يرجى شفاؤه.

٥- تزيين المشبه:

وذلك كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّ الْيَاقُوتَ وَالْمَرْجَانَ﴾ [الرحمن: ٥٨]، فجاءت الصورة الجميلة لتظهر زينة المشبه في صفاء لونه كأنه الياقوت، وحمرته كأنه المرجان، وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّ بَيْضَ مَكُونٍ﴾ [الصافات: ٤٩]، وفي هذا المشهد أظهر زينتهم كأنهم بيض لامعة كبيض النعام المحتفظ بصفائه ولم يُصبه الغبار والأذى، وقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنُورًا﴾ [الإنسان: ١٩]، وفي هذا المشهد يقول عبد القادر حسين: " فقد وصف زينة الولدان التي لا تنقطع عنهم تلك الزينة والبهاء، فزينتهم دائمة على ما هم عليه من صفات الحسن والجمال، حتى لتظنهم من صفاء بشرتهم وإشراق وجوههم دُرّاً متفرقة، واللؤلؤ إذا نثر على البساط انبهرت به العيون أكثر من اللؤلؤ المنظوم، وقد يكون المراد اللؤلؤ المحفوظ بعيداً عن الأتربة والغبار والرياح،

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٣.

حتى يكون أشد لمعاناً وأكثر صفاءً، فالتشبيه في هذه المشاهد الرائعة لم يرد به بيان الحال فقط، وإنما تحسين حال المشبه وتزيينه^(١).

ويقول صاحب الظلال النديّة: " واللؤلؤ المكنون هو الذي لم يتعرض للمس والنظر، فلم تنقبه يد ولم تخذشه عين، وفي هذا كناية عن معانٍ حسية ونفسية لطيفة في هؤلاء الحور الواسعات العيون، وذلك كله جزاءً بما كانوا يعملون"^(٢).

ونظير ذلك في وصف ابن القيم للباس أهل الجنة وحللهم المصنوعة من الإستبرق والسندس الخضر الجميلة، فيقول:^(٣)

ولباسهم من سندسٍ خضرٍ ومن إستبرقٍ نوعان معروفان
حُلل تشق ثمارها عنها فتبـدو كالرياط بأحسن الألوان

(١) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ٩٩.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٦/٣٤٦٤، وانظر: مشاهد القيامة، ص ١٢٨.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٦.

المبحث الثالث الاستعارة

الاستعارة لغة:

" النقل والإعارة، أعاره الشيء وأعاره منه، ونقول: أعرثه الشيء أعيه إعارة وعارة، وهي مشتقة من العارية، وهي طلب شيء للانتفاع به دون مقابل، على أن يرد المستعير إلى المعير عند انتهاء المدة الممنوحة أو عند الطلب" (١).

أما تعريفها في اصطلاح البلاغيين: " فهي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي للكلمة، والمعنى الذي نقلت إليه الكلمة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي" (٢).

وهي عند السكاكي: " ذكر أحد طرفي التشبيه، وإرادة الطرف الآخر، بادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به" (٣).

وقال أبو هلال العسكري: " الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه، وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً" (٤).

وعبد القاهر الجرجاني هو صاحب اليد الطولى في هذه الفنون، فيقول في تعريفه لها: "وهي أن تريد الشيء بالشيء فتدع أن تفصح في التشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيه المشبه وتجريه عليه" (٥).

ويقول الهاشمي: " والاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه ووجه الشبه والأداة، ولكنها أبلغ منه، لأن التشبيه مهما يتناهى في المبالغة فلا بد فيه من ذكر المشبه والمشبه به، وهذا اعتراف

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٤ / ٤١٩، وانظر: البلاغة العربية للميداني، ج ٢ / ٢٢٩.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، ص ٢٨٥، وانظر: القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ١٧١، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢١٥.

(٣) مفتاح العلوم، للسكاكي، ص ٣٦٩.

(٤) الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: محمد علي الجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، ص ٢٦٨.

(٥) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ٦٧.

بتباينهما، وأن العلاقة ليست إلا التشابه والتداني، فلا تصل إلى حد الاتحاد، بخلاف الاستعارة لأن فيها دعوى الاتحاد والامتزاج، وأن المشبه والمشبه به صارا معنىً واحداً يصدق عليهما لفظاً واحداً، فالاستعارة استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقته المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي^(١).

أركان الاستعارة:

١ - المستعار: وهو اللفظ المنقول.

٢ - المستعار منه: وهو المشبه به.

٣ - المستعار له: وهو المشبه.

والمستعار منه، والمستعار له هما طرفا التشبيه.

ويقول الهاشمي: " وللاستعارة أجمل وقع في الكتابة، لأنها تجدى الكلام قوة، وتكسوه حسناً ورونقاً، وفيها تثار الأهواء والإحساسات"^(٢).

أقسام الاستعارة:

١ - الاستعارة المكنية:

" وهي ما حذف منها المشبه به (المستعار منه) وبقيت صفةً من صفاته أو لازمة من لوازمه، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، فقد شبه الشيب بالنار في البياض والانبساط، وحذف المشبه به وهو النار وأبقى صفةً من صفاته وهي الاشتعال، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، فالمستعار منه النار لأنه مشبه به، والمستعار له الشيب لأنه مشبه، ولفظ النار هو المستعار"^(٣).

ويقول إمام البلاغة وشيخها: " فالاستعارة تثبت بها معنى لا يعرف السامع ذلك المعنى من اللفظ، ولكنه يعرفه من معنى اللفظ"^(٤).

ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في قصيدته، فقال:^(٥)

(١) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٢٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٣) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ١٧٢، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢١٧.

(٤) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ٤٣١.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٨.

فاعشق وحدث بالوصال النَّفس وابـ — نذل مهرها ما دمت ذا امكان

فاعشق وحدث بالوصال: حيث شبه النفس بالمرأة التي يخاطبها بجامع العقلانية والاستيعاب وذلك على سبيل الاستعارة المكنية التبعية لأن اللفظ المستعار لفظ مشتق من الفعل، ومرشحة لأنه ذكر معها ما يلائم المشبه به وهو العشق والحديث وبذل المهر، وسر جمالها التشخيص.

وفي وصفه لمن ترك عبودية الله وحده واتخذ إلهه هواه، وابتلي باتباع النفس والشيطان، فقال: (١)

هربوا من الرِّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ فَبَلَّوْا بَرَقَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

بُلُّوا بَرَقَ النَّفْسِ: حيث شبه الهوى ورقَّ النفس بالمعبود أو الخالق الذي اتبعوه، وقد حذف المشبه به وهو المعبود وأبقى صفة من صفاته وهي الرق " العبودية " وذلك على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية الجامدة، وهي " رق النفس "، وفي البيت مشاكلةٌ تحقيقيةً بين " الرق والرق " حيث حملت الأولى المعنى الأصلي وهي العبودية لله، والثانية حملت المعنى المجازي وهو اتباع الهوى والشيطان.

ويشتمل البيت على استعارة مكنية أخرى وذلك في قوله: هربوا من الرق، حيث شبه الرق وهو العبودية لله والخضوع له بالعدو الذي يفرون منه، وذلك بجامع الخوف من الإيمان، وسر جمالها التشخيص، لأنه شبه شيئاً عقلياً وهو الرق بشيءٍ محسوس وهو الإنسان، وقد حذف المشبه به وهو العدو وأبقى لازمةً من لوازمه أو صفة من صفاته وهو الهروب.

وفي خطاب رب العالمين لجنة الفردوس بعدما زينها لخطابها وحواره معها، فيصف ويقول:

لما قضى رب العباد الغرس قا ل تكلمي فتكلمت ببيان

حيث شبه الجنة وهي مكان وماوى المتقين ومحل استقرارهم بالإنسان الذي ينطق بأحسن بيان وأروع كلام، بعدما تزينت وتجهزت لخطابها وأهلها، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية التبعية المطلقة لأنه ذكر ما يلائم المشبه الجنة " الغرس " والمشبه به " الإنسان " التكلم والبيان وهما " الغرس والكلام " وسر جمالها التشخيص وحذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى صفةً من صفاته وهو النطق والكلام.

وقوله أيضاً: (٢)

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٣.

ثقل الكتاب عليهم لما رأوا تقييده بشرائع الإيمان

فقد شبه أحكام الدين وشرائع الإيمان بالحبل بجامع الوثاق في كل، وحذف المشبه به وهو الحبل، وأبقى صفةً من صفاته وهي التقييد وذلك على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية وهي باعتبار اللفظ الملائم مجردة لذكر لفظ الكتاب التي تلائم شرائع الإيمان وهي المشبه.

وفي وصفه للقلوب الفاسدة التي آثرت غناء الدنيا المفسد للقلوب، على غناء الآخرة الذي يزيل كلَّ الهموم والأحزان، فقال:

واللهو خوف عليهم لما رأوا ما فيه من طربٍ ومن ألحان

حيث شبه اللهو بالشيء المادي الخفيف، بجامع الانحراف عن شرائع الدين وفساد القلوب في كل، وقد حذف المشبه به وهو الشيء المادي، وأبقى صفةً من صفاته وهو الخفة، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية التبعية.

وقوله أيضاً: (١)

لكنها سكرى بحب حياتها الدنيا وسوف تفيق بعد زمان

شبه القلوب المريضة والبعيدة عن منهج الله تعالى والغارقة في حب الدنيا ومتاعها الزائف بالإنسان التمل السكران العاشق لمشروبه الذي لا يستطيع أن يفيق من سكرته، وذلك بجامع فقدان العقل والتوازن، فحذف المشبه به وهو الإنسان، وأبقى صفةً من صفاته وهي السكر، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة، لأنه ذكر معها ما يلائم المشبه به الإنسان وهي " تفيق".

وفي وصفه لكلام الحور العين وحديثها لزوجها في الجنة: فيقول: (٢)

وكلامها يسبي العقول بنغمة زادت على الأوتار والعيان

تشبيهه ضمني: حيث شبه جمال ونغمة صوت الحور العين وكلامها لزوجها ومحبوها في الجنة بنغمة الجيتار والأوتار الموسيقية الرائعة بجامع اللذة والجمال في كل، الذي ينجم عنه الطرب عند سماعه، وفي البيت استعارة مكنية: حيث شبه جمال نغمة كلامها وصوتها بالإنسان الذي يسبي إنساناً ويعتقله، فحذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى صفةً من صفاته وهي السبي والاعتقال، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية التبعية.

وفي وصفه للمكذبين والمبتدعين، والمؤولين والمفترين على هذا الدين، فقال: (٣)

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٩٥.

فمكذبٌ ومؤوّلٌ ومحيّرٌ ما ذاق طعم حلاوة الإيمان

فقد شبه حلاوة الإيمان في قلب الإنسان بالطعام اللذيذ الذي تشتهيهِ النفس بجامع اللذة والاستمتاع في كلِّ، فحذف المشبه به وهو الطعام اللذيذ، وأبقى صفة من صفاته وهي الذوق، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية التبعية المطلقة.

وفي وصفه لسماع أصوات الحور العين وهنَّ يغنين أزواجهن بأجمل الألحان والأصوات في الجنان، فيقول: (١)

يهتز قلب العبد عند سماعه طرباً بقدر حلاوة الإيمان

حيث شبه قلب المؤمن حال سماعه لغناء الحور العين في الجنة، بالإنسان الذي يرقص بجامع الحركة الناجمة عن كلِّ، وحذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى لازمةً من لوازمه وهو الاهتزاز، واشتق منه الفعل "يهتز" وذلك على سبيل الاستعارة المكنية التبعية المرشحة باعتبار اللفظ الملائم لأنه ذكر ما يلائم المشبه به.

وقوله في إحلال رضوان الله تعالى على عباده في الجنة: (٢)

فيقول أفضل منه رضواني فلا يغشاكم سخطٌ من الرّحمن

حيث شبه السخط بالشيء المادي الذي يغشى جسد الإنسان بجامع الإحاطة في كلِّ، وحذف المشبه به وهو الشيء المادي، وأبقى صفة من صفاته وهي التغطية، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية التبعية.

وقوله أيضاً: (٣)

صحبوا الأمانى وابتأوا بحظوظهم ورضوا بكل مذلةٍ وهوان

حيث شبه الأمانى بالإنسان الذي يصاحبه بجامع المرافقة في كلِّ، فحذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى صفةً من صفاته وهي المصاحبة، وسر جمالها التشخيص، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية التبعية.

وقوله: (٤)

والطرف يشرب من كؤوس جمالها فتراه مثل الشارب النشوان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨٠.

حيث شبه الطرف وهو العين بالإنسان الذي يشرب بجامع اللذة في كلِّ، وحذف المشبه به وهو الإنسان، وجاء بشيءٍ من لوازمه وهو الشرب، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية التبعية. وفي وصف وجهها، فيقول:

والشمس تجري في محاسن وجهها والليل تحت نوائب الأغصان

حيث شبه الشمس بالإنسان الذي يجري، وذلك بجامع الحسن والجمال، فحذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى لازمةً من لوازمه وهي الجري على سبيل الاستعارة المكنية التبعية. وفي وصفه لاشتياق المحبوب لمحبوبه في الجنة، فيقول: (١)

والشوق يزججه إليه وماله بلقائه سبباً من الإمكان

حيث شبه الشوق بالإنسان الذي يحثّ ويشد صاحبه، وذلك بجامع الجذب في كلِّ، وقد حذف المشبه به وهو الإنسان وجاء بشيءٍ من لوازمه وهو الشد أو الجذب على سبيل الاستعارة المكنية التبعية المرشحة، لأنه ذكر معها ما يلائم المشبه به وهو " اللقاء"، فهو يلائم الإنسان. وقوله في وصف الحُبِّ لأهل الجنان: (٢)

فوصاله يكسوه حباً بعده متسلسلاً لا ينتهي بزمان

حيث شبه الوصال بالثوب الذي يكسو صاحبه بجامع الستر في كلِّ، وحذف المشبه به وهو الثوب وأبقى لازمةً من لوازمه وهو الكسوة، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية التبعية المرشحة لأنه ذكر معها ما يلائم المشبه به، وهو الحب والتسلسل وعدم الانتهاء. وقوله فيمن أسرف على نفسه في المعصية ولم يتب إلى الله تعالى: (٣)

ولسوف تعلم حين ينكشف الغطاء ماذا صنعت وكنت ذا إمكان

حيث شبه الغطاء بالموت بجامع الإحاطة في كلِّ، وحذف المشبه به وأبقى صفةً من صفاته وهو الكشف والحضور، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية التبعية. وقوله كذلك: (٤)

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨١.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٥.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩٤.

أفما تصدق أن أعمال العبا د تحط يوم العرض في الميزان

فقد شبه الأعمال بشيء مادي يوضع في الميزان، فحذف المشبه به وأبقى صفة من صفاته وهي تحط، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية التبعية.

وفي وصفه لملابس الحور العين وجمال تلك الحُلل: (١)

سبعون من حللٍ عليها لا تعو ق الطرف عن مَحِّ ورا السيقان

حيث شبه الحلل بالشيء المادي الذي يعيق النظر والطرف، بجامع الشفافية والجمال وقد حذف المشبه به وأبقى صفة من صفاته وهي تعوق، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية التبعية.

وقوله في سماع أصوات النغمات التي تحدُّها رياح الجنة:

فتثير أصواتاً تلذ لمسمع الإ نسان كالنغمات بالأوزان

حيث شبه الريح بالآلة الموسيقية التي تثير الأصوات بجامع الطرب واللذة وحذف المشبه به وأبقى لازمةً من لوازمه وهي التحريك والإثارة على سبيل الاستعارة المكنية التبعية.

وفي البيت تشبيهه تمثيلي، فقد شبه صوت الرياح في الجنان بصوت النغمات الموزونة.

٢- الاستعارة التصريحية:

" هي ما حذف فيها المشبه (المستعار له)، وصرح بلفظ المشبه به (المستعار منه)، أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه" (٢).

وذلك كقوله تعالى: ﴿كَأَبْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ لُحُوجِ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، " فاستعير للضلال لفظ الظلمات، وللهدى لفظ النور، وذلك لعلاقة المشابهة بينهما، فكما يحجب الضلال الهداية والرشاد عن القلوب، تحجب الظلمات الأضواء والأنوار عن الآفاق، وكذلك النور والهدى، أو فتخرج الناس من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم." (٣).

وعرّفها ابنُ الناظم، فقال: "هي أن تذكر مشبهاً به في موضع مشبه محقق بالقيّد المذكور، كما إذا أردت أن تلحق شجاعاً في شدة بطشه بالأسد وكمال الإقدام، فنقول: رأيت أسداً يتكلم" (٤).

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٦.

(٢) علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص ١٧٦، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٢٠.

(٣) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ١٨٥، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٢٠.

(٤) المصباح في المعاني والبيان والبديع، ابن الناظم، ص ١٣٠.

ونظير هذا في وصفه لحظة اشتمال الزوجين على فرشيهما وضمّهما لبعضهما البعض، فيقول:

يتساقطان لآلئاً منثورة من بين منظوم كنظم جمان

استعارة تصريحية وذلك في قوله: " لآلئاً منثورة " حيث شبه الأزواج وهم يتساقطون على فروشهم بالآلئ المتناثرة على الأرض، فحذف المشبه وهو الأزواج، وصرح بالمشبه به وهو الآلئ، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية الجامدة.

وفي البيت صورة جمالية ثانية وهي التشبيه، وذلك في قوله: كنظم جمان، فقد شبه الآلئ المنثورة بالجمان وهو الفضة.

وفي وصفه للأزواج حال دخولهم على نسائهم في تلك الخيام المشرقات، وإعجابهم بهن، فقال: (١)

فتيمّموا تلك الخيام فأنسوا فيهنّ أقماراً بلا نقصان

حيث شبه النساء داخل الخيام بالأقمار، وذلك بجامع الحسن والجمال وقد حذف المشبه وهو الحور العين اللواتي ينتظرن أزواجهن في الخيام المجوفة من اللؤلؤ والياقوت، وصرّح بالمشبه به وهو الأقمار ليلة البدر، وهي من باب الاستعارة التصريحية الأصلية الجامدة. وقوله أيضاً: (٢)

فالورد والتفاح والرمان في غصنٍ تعالي غارس البستان

استعارة تصريحية: حيث شبه خديها بلون الورد وحمرة ذلك بجامع الزينة، وشبه نهديها على صدرها بحبّ الرمان وذلك بجامع الاستدارة، وحذف المشبه في الصورتين وصرح بالمشبه به وهو الورد والتفاح والرمان، وهي على سبيل الاستعارة الأصلية الجامدة. وقال رحمه الله تعالى: (٣)

ووقودها الشهوات والحسرات والآلام لا تخبو مدى الأزمان

استعارة تصريحية: حيث شبه الشهوات بالنار، وقد حذف المشبه وهو النار وصرح بالمشبه به وهو الشهوات والحسرات.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٥٩.

وقوله أيضاً: (١)

فيها مقاصيرٌ بها الأبواب من ذهبٍ ودرٍ زين بالمرجان

ففي هذا المشهد تشبيهه بليغ، حيث شبه الأبواب بالذهب والدرّ، وقد حذف أداة التشبيه ووجه الشبه، وذلك بجامع اللمعان والنور والبهاء، ويشتمل البيت أيضاً على استعارةٍ تصريحية: حيث شبه العروس في زينتها ليلة زفافها بالمرجان، وقد حذف المشبه وهو العروس وصرّح بالمشبه به وهو المرجان.

الاستعارة الأصلية والتبعية:

١- الأصلية: " وهي ما كان اللفظ المستعار اسماً جامداً غير مشتق، سواءً أكان الاسم لذات أم لمعنى، لأن الأصلية يكون التجوز فيها بطريق الأصالة" (٢).

ونظير هذه الاستعارة ما أورده ابن القيم في وصفه لسماع أهل الجنة، وهم يغنون بطيب الكلمات والإحسان، فيقول: (٣)

واهاً لذيّك السماع وطيبه من مثل أقمارٍ على أغصان

فقد حذف المشبه وهو نساء الجنة، وصرّح بالمشبه به وهو الأقمار، وذلك بجامع الزينة والجمال، وجاءت كلمة أقمار جامدة غير مشتقة، فهي على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية الجامدة.

ويقول عبد القادر حسين: " ولكل حرف من الحروف معناه الحقيقي المحدد، ففي تستعمل للظرفية، كالماء في الكوب، وعلى للاستعلاء، واللام للتعليل، فإذا استعمل أي حرف من هذه الحروف في غير معناه الحقيقي كان استعارةً" (٤).

ونظير ذلك قول ابن القيم وهو يصف نساء الجنة وهن في الخيام المجوفة في انتظار أزواجهن، فيقول:

فتيمّموا تلك الخيام فأنسوا فيهنّ أقماراً بلا نقصان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٠.

(٢) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ١٨٤، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٢٣.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٣.

(٤) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص ١٨٥.

حيث شبه الحور العين وهنَّ في الخيام المجوفة بالأقمار وذلك بجامع الحسن والبهاء، وحذف المشبه وهو الحور العين وصرح بالمشبه به وهو الأقمار، وهذه الاستعارة على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية الجامدة، فمن المستحيل أن تكون " في " هنا مستعملة في معناها الحقيقي، أي في الظرفية، إذ لا نتصور أن الأقمار الحقيقية والكواكب داخل الخيام المجوفة، وإنما هو استعمال مجازي يفيد أن الحور العين والنظر إليهن أجمل من القمر ليلة البدر، فتم استعمال لفظ " في " في غير معناه الحقيقي، لإفادة شدة التمكن والاستقرار، لأن الحروف لا يفهم معناها الحقيقي أو المجازي إلا إذا تعلقَت بغيرها.

٢- التبعية: " وهي ما كانت واقعةً في الأفعال والصفات والحروف، فإنها لا توصف، ويكون التجوُّز فيها بطريق التبع، وتكون في الفعل الماضي المبني للمعلوم والمبني للمجهول، والفعل المضارع والأمر، وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]، فمعنى طغى: علا، لأن طغى: علا في شيءٍ من القهر، وفيه مبالغة نجدها لا نجدها في علا^(١)، وفي وصفه للأزواج لحظة لقائهما في الجنة، فيقول: (٢)

حتى إذا ما واجهته تقابلا رأيت إذ يتقابل القمران

حيث شبه القمرين بشخصين يتقابلان، وحذف المشبه به وجاء بشيءٍ من لوازمه وهو التقابل أو اللقاء وهي مشتقة، لذلك فإنها تعتبر من باب الاستعارة المكنية التبعية. وقوله فيمن عشق الدنيا وآثرها على حب الآخرة: (٣)

يا عاشق الدنيا تاهب للذي قد ناله العشاق كل زمان

حيث شبه الدنيا بالمرأة المحبوبة التي يعشقها، وذلك بجامع الحب والغرام والهيام، فحذف المشبه به وهو المرأة المحبوبة، وأبقى صفة من صفاتها وهي العشق والحب، وجاءت كلمة " عاشق " اسم فاعل، فهي مشتقة وليست جامدة، لذلك هي من باب الاستعارة المكنية التبعية. أما في وصفه لأشجارها وظلالها، ولحظة تفتح أكمام الشجر وخروج ثياب أهل الجنة منها، فيصف ويقول: (٤)

(١) المصباح في المعاني والبيان والبدیع، ابن الناظم، ص ١٣٤، وانظر: القرآن والصورة البيانية، ص ١٨٤-١٨٨.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧٢.

تفتح الأكمام فيها عن لبا سهم بما شاعوا من الألوان

حيث شبه أكمام الثياب الجميلة بالأبواب التي تفتح، وقد حذف المشبه به وهو الأبواب، وأبقى صفة من صفاتها وهي التفتح، وجاء الفعل المضارع " تفتح " مشتقاً وليس جامداً، لذا فإننا نعتبرها من باب الاستعارة المكنية التبعية.

وقوله فيمن عشق الدنيا وتعلق بها، ولم يتجهز لآخرته: (١)

لكنها سكرى بحب حياتها الد نيا وسوف تفيق بعد زمان

فقد شبه القلوب الغافلة عن ذكر الله وطاعته، بالإنسان النائم في غفلة وغفوته ولم يستيقظ بعد، وذلك بجامع الغفلة والنوم، وقد حذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى صفة من صفاته وهو الإفاقة، وجاءت كلمة " تفيق " فعلاً مضارعاً مشتقاً، وليس جامداً، لذلك نعتبرها من باب الاستعارة المكنية التبعية.

يقول الهراس: " واعلم أنك لم تخرج إلى هذه الدنيا لتتخذها دار قرار تعكف على لذاتها العاجلة وحطامها الهزيل الفاني، وإنما خرجت للابتلاء والامتحان لكي تكسب لنفسك زاداً يؤهلك لبلوغ دار القرار، ولكنك بدلاً من أن تشتغل بما خلقت له وقفت عند شهواتك الدنيا، وأذهبت طبيبتك في هذه الحياة، ولم تتخذ الزاد لآخرتك حتى فات العمر وذهبت الفرصة، وحتى فاتك الذي أهلك عن الاستعداد لأخراك فوالله لو أن القلوب سليمة غير معلولة لتقطعت حشرات على ما مر من أيام قضتها في التفريط والغفلات والجري وراء الأوهام والخيالات، ولكنها ثملة بحب ما ترتع فيه من شهوات وسوف تصحو من سكرتها بعد حين، ولكن هيهات هيهات أن ينفعها ذلك " (٢).

وفي وصفه للأزواج في الجنة وانشغالهم بمحوباتهم، فيقول: (٣)

شغل العروس بفرسه من بعد ما عبثت به الأشواق طول زمان

حيث شبه الأشواق بالإنسان الذي يعبث، وذلك بجامع اللهو وقد حذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى صفة من صفاته وهو العبث واللعب، وقد جاء الفعل " عبثت " ماضياً مشتقاً، لذا فهي على سبيل الاستعارة المكنية التبعية.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٩.

(٢) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢ / ٣٩١.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨١.

إجراء الاستعارة:

" ويقصد بإجراء الاستعارة تحليلها إلى عناصرها الأساسية التي تتألف منها، وهذا التحليل يتطلب تعيين كل من المشبه والمشبه به في الاستعارة، وعلاقة المشابهة أو الصفة التي تجمع بين طرفي التشبيه، ونوع الاستعارة، ونوع القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، والتي تكون أحياناً حالية تفهم من السياق"^(١).

ويقول الدكتور محمد علوان: " والاستعارة يحذف منها أركان التشبيه، كالوجه والأداة والمشبه أو المشبه به حسب نوعيها، ولذلك إذا أردنا أن نجري الاستعارة في أي شاهدٍ لا بد وأن نظهر التشبيه أولاً، أي: توضيح المشبه والمشبه به والجامع بينهما، ثم نبين المحذوف والمذكور ليتم تحديد النوع باعتبار الطرفين"^(٢).

وفيما يلي إجراء لبعض الاستعارات بتحليلها وتوضيح عناصرها التي تتألف منها:
ونظير ذلك، قول ابن القيم رحمه الله تعالى:^(٣)

يا رب غفراً قد طغت أقلامنا يا رب معذرةً من الطغيان

فإن المستعار " كثرة الأقلام " وهي حسية، والمستعار منه " الطغيان " والجامع بينهما الاستعلاء المفرط، وإجراء الاستعارة: شُبِّهت كثرة الأقلام المفرطة بمعنى الطغيان، وهو مجاوزة الحد بجامع الاستعلاء المفرط في كل، واستعير لفظ المشبه به وهو الطغيان للمشبه وهو الكثرة المفرطة، واشتق منه الفعل طغى، بمعنى كثر كثرةً مفرطة، وذلك على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

أو أنه شبه الأقلام حال كتابتها المتتالية بالماء الذي يطغي ويفيض، وذلك بجامع الكثرة في كلٍ والمبالغة في الإفاضة، وقد حذف المشبه به وهو الماء وأبقى صفةً من صفاته وهو الطغيان، وجاء بالفعل الماضي " طغى " وهو مشتق غير جامد، لذلك فإنها من باب الاستعارة المكنية التبعية.

(١) علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص ١٧٩.

(٢) من بلاغة القرآن، ص ٢٢٧.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٢.

الاستعارة المرشحة والمجردة والمطلقة:

١- المرشحة: " وهي التي يذكر معها ما يلائم المشبه به (المستعار منه)، وذلك كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَاةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]، فقد استعار الشراء للاختيار والاستبدال، ثم ذكر الريح والتجارة، وهما يلائمان المشبه به " (١).
وذلك كقوله: (٢)

والجيد ذو طولٍ وحسنٍ في بياضٍ واعتدالٍ ليس ذا نكران

فقد استعار الحسن والطول للجيد، ثم ذكر ما يلائمها وهو البياض والاعتدال.

٢- المجردة: "هي ما قرنت بما يلائم المشبه فقط" (٣).

وورد هذا في وصف خمر الدنيا وما بها من الأدوية، فقال: (٤)

والخمر في الدنيا فهذا وصفها تغتال عقل الشارب السكران

فلاحظ أنه استعار الاغتيال للخمر، وقرنها بما يلائمها وهو عقل الإنسان الشارب للخمر سواء كان سكراناً أم لا، فالخمر تخامرهم وتغتال عقولهم، فيصدعون وينزفون، فهي على سبيل الاستعارة المجردة.

ونحن نعلم أن خمر الدنيا هذا وصفها، تغتال عقل شاربها حتى يهذي ويقدم على ارتكاب العظائم، وتحدث له من الأدوية والعلل ما هي جديدة به، وتورثه العدم والإملاق بعد الغنى واليسار، فنفى لنا الرحمن عز وجل كل هذه الآفات التي تحدثها خمر الدنيا عن خمر الجنة من الصداغ والغول واللغو والإنزاف وعدم اللذة.

٣- المطلقة:

" وهي التي لم تقترن بشيء يلائم المشبه ولا المشبه به، أو قرنت بما يلائمها معاً" (٥).
ونظير ذلك قوله: (٦)

فاسمع صفات عرائس الجنات ثم اختر لنفسك يا أبا العرفان

(١) من بلاغة القرآن، ص ٢٢٥.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨١.

(٣) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٢٧١.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٥.

(٥) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٢٧١، وانظر: علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص ١٨٩، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٢٥.

(٦) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

ففي لفظة " عرائس " استعارة تصريحية أصلية جامدة، فقد شبه نساء الجنة بالعرائس وذلك بجامع الجمال الذي لا يوصف، لأنهن عرائس في ليلة زفافهن، وقد استعار اللفظ الدال على المشبه به وهو العرائس للمشبه وهو النساء، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية وهذه الاستعارة التي استوفت قرينتها قد خلت من كل ما يلائم المشبه والمشبه به، لذا فهي من باب الاستعارة المطلقة.

مكانة الاستعارة من البلاغة:

يقول إمام البلاغة: " إن فضيلة الاستعارة الجامعة تتمثل في أنها تبرز البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدره نبلاً، وتوجب له بعد الفضل فضلاً، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت بها فوائد، حتى تراها مكررةً في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة، وخلابة موموقة، ومن خصائصها التي تذكر بها، وهي عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر، وإنك لترى به الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جليلة" (١).

ويقول عبد العزيز عتيق: " ومن خصائصها المبالغة في إبراز المعنى في صورة المشاهدة، والتشخيص والتجسيد في المعنويات، وبث الحياة والنطق في الجمادات وهي صورة من صور التوسع والمجاز في الكلام، وهي من أوصاف الفصاحة والبلاغة التي ترجع إلى المعنى" (٢).

(١) أسرار البلاغة للجرجاني، ص ٤٢ - ٤٣.

(٢) علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص ١٩٦.

المبحث الرابع الكناية

الكناية لغة:

"وهي أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنتى عن الأمر بغيره يكتى كنايةً، وتكتى تستر من كنى عنه إذا ورى وأكنتت الشيء إذا سترته، وكنتته إذا صنته" (١).

أما اصطلاحاً:

قال إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني: " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيب إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومي به إليه ويجعله دليلاً عليه، وذلك كقولك في المرأة: "نؤوم الضحى"، والمراد أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها" (٢).

وهي عند القزويني: "لفظاً أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى حينئذ، كقولك: "فلان طويل العماد"، يعني: طويل القامة" (٣).

أقسام الكناية:

ولا تخرج الكناية عن ثلاثة أقسام: (٤)

١ - كناية عن صفة:

يقول فضل عباس: " وهي أن تذكر الموصوف وتتسب له صفة، ولكنك لا تريد هذه الصفة وإنما تريد لازمها، فالصفة ليست مقصودة في ذاتها وإنما تقصد ما تنشأ عن هذه الصفة" (٥). وقد أورد ابن القيم هذا النوع من الكناية فقال: (٦)

لو كنت تدري من خطبت ومن طلبت بذلت ما تحوي من الأثمان

فقد أورد الكناية في هذا المشهد، وهي كناية عن الشيء النفيس أو الثمين، وهي كناية عن صفة.

(١) معجم المصطلحات البلاغية، ج ٣ / ١٥٤، وانظر: لسان العرب، ج ١٣ / ٣٦١.

(٢) دلائل الاعجاز للجرجاني، ص ٦٦.

(٣) الايضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص ٣٣٠.

(٤) المصباح في المعاني والبيان والبديع، لابن الناظم، ص ١٤٧، وانظر: مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٤٠٣.

(٥) البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الاردن،

١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٦) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٨.

وفي وصفه لحال بطون أهل الجنة وكيفية الهضم للطعام، فيقول: (١)

فتعودُ هاتيك البطونُ ضوامراً تبغي الطعامَ على مدى الأزمان

كناية عن صفة الرشاقة والنحافة للحوار العين في الجنة.

وقوله في الحث والتشمير للوصول إلى الجنان: (٢)

أسرع وحث السيرَ جهدك إنما مسراك هذا ساعةً لزمان

ففي هذا البيت: كناية عن السرعة والجد والاجتهاد، وهي كناية عن صفة.

وقوله أيضاً: (٣)

يغشى الجميعَ فلا يشاهدُ بعضهم بعضاً وهذا لاتساع مكان

وهذه كناية عن القوة التي يعطيها الله تبارك وتعالى لعبده في الجنة، وهي كناية عن صفة.

وقوله كذلك: (٤)

يا طيب هاتيك الثمار وغرسها في المسك ذاك الترب للستان

وهذا كناية عن الروائح الجميلة المنبعثة كالمسك، وهي كناية عن صفة.

وقوله أيضاً: (٥)

واهاً لذياك السماعِ فكم به للقلب من طربٍ ومن أشجان

ففي هذا البيت كناية عن عذوبة الصوت، وهو من باب كناية الصفة.

وقوله فيمن آثر الدنيا الفانية على الآخرة الباقية:

لا تؤثر الأدنى على الأعلى فتح رم ذا وذا يا ذلة الحرمان

حيث أورد الكناية عن الحرمان والتحسر، وهي كناية عن صفة.

وفي وصفه لأنهار الجنة، فقال: (٦)

أنهارها في غير أخدود جرت سبحان ممسكها عن الفيضان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧٢.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٧٣.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٧٤.

حيث أورد الكناية عن عذوبة الماء، وهي من باب كناية عن صفة الماء.
وقوله كذلك: (١)

لا تقربُ الدنَسَ المقربَ للبلَى ما للبلَى أبداً بهنَّ يَدان
ففيها كناية عن الطهارة والعفة، وهي كناية عن صفة.
ووصفه لشجر الحور العين ولذة وصاله، فقال: (٢)

لله لائم ذلك الثغر الذي في لثمه إدراك كل أمان
فجاءت الكناية عن الحلاوة واللذة في لثم ثغر الحور العين، وهي كناية عن صفة.
وقد وصف تمام الفرحة المشتمة على أهل الجنة وأزواجهم، فقال: (٣)

والقلب قبل زفافها في عرسه والعرسُ أثر العرسِ متصلان
ففي البيت كناية عن الشوق لهن قبل اللقاء، وهو من باب كناية الصفة.
وفي وصفه للأزواج لحظة اجتماعهم على فرشهم، وهم في سرور وحبور، فقال: (٤)

فسل المتيم هل يحل الصبر عن ضمٍ وتقبيلٍ وعن فلتان
وسل المتيم أين خلف صبره في أي وإد أم بأي مكان
وسل المتيم كيف حالته وقد مُننت له الأذنان والعينان
وسل المتيم كيف عيشته إذأ وهما على فرشيهما خلوان
وسل المتيم كيف مجلسه مع الـ محبوب في روحٍ وفي ريحان

ففي المشاهد الرائعة يقدم لنا الإمام ابن القيم وصفاً رائعاً لما يدور بين الأزواج وزوجاتهم في الجنان من نعيم لا يعلم به إلا الله، وقد أورد الكناية عن اللذة والاستمتاع، وهي من باب كناية الصفة، فقد وصف عيشة أهل الجنة ومجالسهم وفرشهم وأحوال لقائهم.

يقول الهراس: " فسله وهو العاشق الولهان هل يملك الصبر حينئذٍ عن عناقٍ وتقبيل وإسراع إلى المحبوب في لهفة وشوق، بل سله أين خلف صبره وفي أي مكان تركه، ثم سله كيف هو وقد امتلأت من الفتون والسحر الحلال عيناه وأذناه حين يسمع منطلقها الرخيم وأنغامها الحلوة

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨٤.

التي تزري بأجمل الألحان، وحين توجه إليه أفاظها العذبة وتبث أشواقها وحبها، وحين يرى وجهها المضيء كأن الشمس تجري في صفحته، ثم سله كيف عيشته الهانئة الراضية وقد اتكأ هو وعروسه على فرشيهما منفردين يتناجيان بأعذب الألحان وينثران الدر من أفواههما كأنه عقود جمان، ثم سله كيف مجلسه مع محبوبه تُحمل إليهما النسائم الندية عبير الروض وشذاه، تدور عليهما كؤوس الرحيق المختوم على أيدي غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون، فيتنازعان الكأس يرشفا هو مرة وترشفا حوده مرة، ثم يتكئان على الأسرة فيتضامان ويتلاصقان فما ظنك بمحبوبين بعد البين يتلاقيان^(١).

وقوله أيضاً:

غاب الرقيب وغاب كل منكِدٍ وهما بثوب الوصل مشتملان

فأورد الكناية عن صفاء العيش وطيبه بينهما في الجنة، وهي كناية عن صفة.

وقوله في كلام الله سبحانه وتعالى لأهل الجنة:

فيقول أفضل منه رضواني فلا يغشاكم سخط من الرحمن

حيث وردت الكناية عن الرضا، وهي كناية عن صفة الرضوان.

وفي البيت استعارة مكنية: حيث شبه السخط بالليل الذي يغشى، وحذف المشبه به وأبقى صفة من صفاته وهو التعشية.

وقوله أيضاً:^(٢)

واهاً لذا السوق الذي من حله نال التهاني كلها بأمان

فقد ذكر الكناية عن الراحة الأبدية الحاصلة لأهل الجنة، وهي كناية عن صفة.

فإن الملائكة تنصب ذلك السوق لأولياء الله وحزبه المتقين، وهذا السوق ملئ بالتَّحَف والهدايا وفيه من النعيم والكرامة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيأخذون منه دون بيعٍ أو شراء.

ويقول:^(٣)

وإذا يجامعها تعود كما انتشت بكرةً بغير دم ولا نقصان

وهذا كناية عن عودة بكرتها واستمرار عفتها، وهي من باب كناية الصفة.

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢ / ٤٠٣ - ٤٠٤.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨١.

فإن في جماعها راحةً ولذة لعاشقها الولهان، فلا يملّها ولا تملّه، فهو يشتهيها دائماً ولا يمكنه التفريط فيها بعدما وصل إليها وأصبحت في حبه وكنفه، لأن شغله الشاغل هو الإفضاء إليها.

٢- **كناية عن موصوف:** " وهي أن تذكر الصفة والنسبة ولا تذكر الموصوف المكنى عنه، والغرض من ذكر الصفة التوصل بها إلى الموصوف، فالصفة المذكورة من خصائص الموصوف المحذوف المكنى عنه" (١).

ويقول الإمام الجرجاني: ليس المعنى إذا قلنا: " إن الكناية أبلغ من التصريح إنك لما كنييت عن المعنى زدت في ذاته بل المعنى أنك زدت في إثباته فجعلته أبلغ وأكد وأشدّ" (٢).
وقد أورد ابن القيم هذا النوع من الكناية في قصيدته، فقال: (٣)

هذا وأولهم دخولاً خيرُ خلـ ق اللّـه من قد خُصّ بالقرآن

وهي كناية عن الفخر بسيد الأنبياء والمرسلين، والأولين والآخرين، والذي خصّه الله تعالى بالقرآن الكريم، والذي بيده لواء الحمد ومفاتيح الجنة وهو أكرم ولد آدم، وأول من يقرع باب الجنة، وهذه كلها كناية عن موصوف.

ومنه قوله أيضاً في وصف غرفات الجنة: (٤)

غرفاتها في الجو يُنظر بطُها من ظهرها والظهر من بطنان

وهذا كناية عن المنزلة الرفيعة لغرف الجنة، وهي كناية عن موصوف، وأن سكان تلك الغرف لا خوفٌ عليهم ولا يحزنون.

وفي قوله: (٥)

فيهن حورٌ قاصرات الطرفِ خيرِ سرات حسان هنّ خير حسان

خيرات أخلاقٍ حسانٍ أوجهاً فالحسن والإحسان متفقان

بكرٌ فلم يأخذ بكارتها سوى الـ محبوب من إنسي ولا من جان

ففيه كناية عن العفة والصون والطهارة والحياء الذي يمتلك هؤلاء النسوة، فلا ينظرن لأحد سوى أزواجهن، وأنهن أبقارٌ لم يلمسهن ولم يُزل بكارتهن أحدٌ من إنسي ولا من جان، وهذه النسوة قد

(١) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ٢٥٠.

(٢) دلائل الاعجاز للجرجاني، ص ٧١.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٦.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧٠.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٠.

كامل منهن الخلق والخلق، فاتفق لها حسنها وجمالها الباطن والظاهر مع الإحسان والصفات الكريمة، وهذه الكناية من باب كناية الموصوف.

يقول فضل عباس: " وهؤلاء النسوة قد قصرن الطرف عن غير أزواجهن، فهذه القناعة وتلك العفة طبيعة فيهن، فهن لا يتجاوزن بنظراتهن أحداً من الرجال"^(١).
وكقوله أيضاً في وصف رمان الجنة وأعنابها وثمارها:^(٢)

وَمِثْلُكَ الرِّمَانِ وَالْأَعْنَابِ وَالنَّخْلَ الَّتِي مِنْهَا الْقَطُوفُ دَوَانِ

وفيهما كناية عن تمام اللذة في تلك المأكولات خاصة دون غيرها من سائر الفواكه، وهي كناية عن موصوف.

وفي وصف الفاكهة يقول:^(٣)

وَفَوَاكِهُ شَتَّى بِحَسَبِ مَنَاهِمٍ يَا شَبْعَةً كَمُلْتَ لَذِي الْإِيمَانِ

فأورد الكناية عن تمام النعيم واللذة، لأن فواكه الجنة لا يصيبها عفن ولا عطب، فإن كل شيء من الطعام والشراب يطيب لهم، وهذه كناية عن موصوف.

وفي وصفه لفرش الجنة وسررهم، فيقول رحمه الله تعالى:^(٤)

مَرْفُوعَةٌ فَوْقَ الْأَسْرَةِ يَتَكَيُّ هُوَ وَالْحَبِيبُ بِخُلُوةٍ وَأَمَانِ

فقد وردت الكناية عن الراحة والسعادة والطمأنينة، وهي كناية عن موصوف، فإن الزوج يجالس زوجه في الجنة فيتحدثان ويتناجيان ويتميلان في خلوةٍ وراحةٍ أبدية.

وقوله كذلك:^(٥)

وَالنَّاسُ قَدْ قَضَوْا مَنَاسِكَهُمْ وَقَدْ حَثُّوا رِكَائِبَهُمْ إِلَى الْأَوْطَانِ

كناية عن الموت والفناء للدنيا والرحيل إلى الدار الآخرة، وهي كناية عن موصوف.

ويقول في الحور العين ووصفه لعفتهن وشرفهن:

مِنْ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَا تَبْغَى سِوَى مَحْبُوبِهَا مِنْ سَائِرِ الشَّبَابِ

قَصُرَتْ عَلَيْهِ طَرْفُهَا مِنْ حَسَنِهِ وَالطَّرْفُ فِي ذَا الْوَجْهِ لِلنِّسْوَانِ

(١) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ٢٦١.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧١.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧٧.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٧٨.

أو أنها قصرت عليه طرفه من حسنها فالطرف للذكران
فقد أورد في هذه المشاهد الكناية عن العفة والشرف والطهارة للحرور العين، فإنهن يحبس
أطرافهن على أزواجهن فلا يطمحن ولا ينظرن إلى غيرهم، فهي كناية عن موصوف.
وفي وصفه للنساء اللواتي خسرن الدنيا والآخرة، فيقول: (١)

قُبِحَتْ خلائقها وقبِحَ فعلها شيطانةً في صورة الإنسان
فإنها كناية عن الخسة والدناءة لتلك النسوة، فقد تجردن من الأخلاق الحميدة والشيم الكريمة،
فخسرن وشقين يوم القيامة، وهذه الكناية من باب التكنية بالموصوف.
وقوله أيضاً: (٢)

وعليه أحسن سرّة هي مجمع الـ خصرين قد غارت من الأعكان
حقّ من العاج استدار وحوله حبات مسكٍ جلّ ذو الاتقان
فقد وصف السرة وهي مجمع الخصرين، وهي كناية عن الرشاقة والنعومة، وهي كناية عن
موصوف.

ويقول الهراس: " وهذه السرة في بياضها واستدارتها وشدة غورها تشبه حقاً من العاج
مستديراً، وحوله حبات مسكٍ أسود فجّل ربنا الذي خلقها على هذه الصورة من الإبداع والإتقان " (٣).
ويصف ويقول: (٤)

لطفاً وحسنً تبعلٍ وتغنجٍ وتحبيبٍ تفسير ذي العرفان
فقد جاءت الكناية عن تمام المتعة وقت الجماع، وهي كناية عن موصوف، فإن مودتها
وملاحة صورتها وغناها لا يوصف، فهي الرقيقة لزوجها والمتبعلة له والمتغنجة والمتلاطفة له عند
الجماع.
ويقول أيضاً: (٥)

لن يدخل الجنات أصلاً كادحٍ بالسعي منه ولو على الأجفان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨١.

(٣) شرح القصيد النونية للهراس، ج ٢ / ٣٩٥.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٢.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٩٦.

وفي هذا المشهد كناية عن انقطاع الأمل واستحالة دخول الجنة لمن مات ولم يكن من التائبين، وهي كناية عن موصوف.

وقال في وصف أهل الدنيا وتحقيره لهم، لأنهم ارتضوا بها بدلاً لهم من الفردوس الأعلى: (١)

سكانها أهل الجهالة والبطالة والسفاهة أنجس السكان

فأورد الكناية عن تحقيرهم والاستهزاء بهم وحقارتهم وخستهم لأنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، وهي من باب كناية الموصوف.

ويقول رحمه الله: (٢)

يا غافلاً عما خلقت له انتبه جد الرحيل فليست باليقظان

وفيها كناية عن الاستهزاء والاستهتار، وذلك لمن غفل عما خلقه الله له، فالإنسان قد اقترب أجله وما زال في لهوٍ ولعبٍ، فمتى يستيقظ ويتنبه، وقد جاء الوصف كناية عن موصوف.

٣- كناية عن نسبة: " وهي إثبات شيءٍ لشيءٍ أو نفيه عنه، وبدلاً من نسب الصفة لصاحبها فإنها تنسب لشيءٍ آخر " (٣).

ويقول عبد القاهر الجرجاني في الكناية والتعريض: " هذا فنٌّ من القول دقيقُ المسلك لطيفُ المأخذ وهو أننا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذهب الكناية والتعريض، كذلك يذهبون في إثبات الصفة هذا المذهب، وإذا فعلوا ذلك بدت هناك محاسن تملأ الطرف ودقائق تُعجز الوصف، ورأيت هناك شعراً شاعراً وسحراً ساحراً وبلاغةً لا يكمل لها إلا الشاعر المُفلقُ والخطيب المصقع، وكما أن الصفة إذا لم تأتْ مصرحاً بذكرها مكشوفاً عن وجهها ولكن مدلولاً بغيرها كان ذلك أفخم لشأنها وأطف لمكانها، كذلك إثباتك الصفة للشيء تثبت لها إذا لم تلقه إلى السامع صريحاً وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة كان له من الفضل والمزية ومن الحسن والرونق ما لا يقلُّ قليله لا يُجهل موضع الفضيلة فيه " (٤).

ويقول أيضاً: (٥)

لو ساوت الدنيا جناح بعوضةٍ لم يسق منها الربُّ ذا الكفران

كناية عن وصف الدنيا بنسبة حقارتها ودناءتها، فإن الدنيا أهون على الله من جناح البعوضة.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٥.

(٣) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ٢٥٣.

(٤) دلائل الاعجاز للجرجاني، ص ٣٠٦.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٩.

وقوله في وصف نعيم الجنة الذي لا يخطر على قلب بشر: (١)

فيها الذي واللّه لا عين رأت
كلا ولا سمعت به أذنان
كلا ولا قلب به خطر المثا
ل له تعالى اللّه ذو السلطان

حيث أورد الكناية عن التعظيم وتام النعيم في الجنة، وهي من باب كناية النسبة.
ويقول أيضاً: (٢)

ولقد زوينا أنه يغشى بيو
م واحد مائة من النسوان

وهذا كناية عن القوة وكثرة الجماع، وهي من باب كناية النسبة.

" والحقيقة أن الرجل في الجنة يستطيع بقوة المائة التي حصلت له أن يفضي إلى مائة امرأة بلا ضعف ولا فتور، وأقوى أهل الجنة وأقدرهم على الجماع هو أعفهم في هذه الدنيا لزهده في هذا المتاع الحقير والحطام الفاني" (٣).

ويقول رحمه الله تعالى في عدد الجنان وأجناسها: (٤)

ذهبتان بكل ما حوتاه من
حلي وأنيّة ومن بنيان

فإنها كناية عن فخامة تلك الجنتين وعظمتها ونعيمهما وشدة جمالهما، وهي من باب كناية النسبة لذاك الجمال الخلاب.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٣.

(٣) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢ / ٤٠١.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٧.

المبحث الخامس المجاز

المجاز لغةً:

"جزت الطريق وجاز الموضوع جوازاً، وجاز به وجاوزه وأجازه غيره، وجاهه سار فيه وسلكه، وجاوزت الموضوع جوازاً بمعنى جزته، والمجاز والمجازة الموضوع"^(١).

ويقول شيخ البلاغة وإمامها: "المجاز مفعول من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً"^(٢).

أما في الاصطلاح:

يقول ابن الناظم: "هي كلمة مستعملة في غير ما هي موضوعة له مع قرينة مانعة من إرادة معناها فيه"^(٣).

ويقول الهاشمي في جواهره "والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قد تكون المشابهة، وقد تكون غيرها، فإذا كانت المشابهة فهو استعارة، وإلا فهو مجاز مرسل، والقرينة قد تكون لفظية أو حالية، وهذه العلاقة هي المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول إليه"^(٤).

أقسام المجاز:

ينقسم المجاز إلى نوعين هما:

أولاً: **المجاز العقلي**: "هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع وجود قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي"^(٥).

من علاقات المجاز العقلي:

١- **الزمانية**: "ويسند الفعل فيها إلى الزمان الذي وقع فيه الفعل، وذلك كقولك: نهاره صائم وليله قائم، فأسند الصيام إلى النهار والقيام إلى الليل"^(٦).

(١) لسان العرب لابن منظور، ج ٥ / ٣٢٦، وانظر: معجم المصطلحات البلاغية، ج ٣ / ١٩٣.

(٢) أسرار البلاغة للرجاني، ص ٣٩٥.

(٣) المصباح في المعاني والبيان والبيدع لابن الناظم، ص ١٢٢.

(٤) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٢٥١.

(٥) من بلاغة القرآن، ص ١٩٩.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٠٠.

وقد أورد ابن القيم في هذا المشهد قوله: (١)

هو نائمٌ وأموره قد دُبّرت ليلاً ولا يدري بذلك الشأن

مجاز عقلي علاقته زمانية، حيث أسند فعل التدبير إلى الزمان الذي وقع فيه وهو الليل.

٢- المكانية: هو إسناد الفعل إلى المكان الذي وقع فيه الفعل.

وذلك كقوله: (٢)

منه تفجّر سائر الأنهار فالـ منبوع منه نازلٌ بجنان

مجاز عقلي علاقته مكانية، حيث أسند الفعل إلى المكان الذي وقع فيه الفعل، فأسند تفجير الأنهار

وهو مكان الماء إسناداً مجازياً، فالأنهار لا تتفجر، وإنما المياه التي تتفجر.

وفي وصفه لأنهار الجنة وجريانها، فيقول: (٣)

وخيامها منصوبة برياضها وشواطئ الأنهار ذي الجريان

مجاز عقلي علاقته مكانية، حيث أسند فعل الجري لشواطئ الأنهار إسناداً مجازياً، لأن

شواطئ الأنهار لا تجري، وإنما الماء الذي يجري فيها.

وقوله أيضاً في وصف أنهار الجنة: (٤)

أنهارها في غير أخدودٍ جرت سبحان ممسكها عن الفيضان

من تحتهم تجري كما شاءوا مفرجاً مرةً وما للنهر من نقصان

مجاز عقلي علاقته مكانية، حيث أسند فعل جري الأنهار من غير أخدود إسناداً مجازياً،

لأن ماء أنهار الجنة هو الذي يجري وليس الأنهار ذاتها، ولأن الأنهار اسم للوادي الذي تجري فيه

المياه والأنهار مكان له، فالإسناد هنا مجاز عقلي علاقته مكانية، والبيت الثاني كذلك، فالأنهار لا

تجري من تحتهم، وإنما الماء الذي يجري والنهر مكان للجري فالإسناد مجاز عقلي علاقته مكانية،

وفي البيت الأول مجاز عقلي علاقته سببية، حيث أسند فعل الإمساك إلى الله تعالى مجازاً، مع أن

الملائكة المكلفة بهذه الأعمال من الله تعالى هي التي تقوم بتلك الأعمال والله أعلى وأعلم.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧٤.

٣- السببية: ويسند الفعل فيها إلى السبب الذي أدى إليه، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر: ٣٧]، ونظير هذا ما ورد في القصيدة النونية: (١)

ويداه أيضاً أتقنت لبنائها فتبارك الرحمن أعظم بان

حيث أسند الفعل " أتقن "، إلى الله تعالى علماً بأن الله تعالى لم يقم بعملية البناء حقيقة، ولكن لما كان أمر الإتيان صادر منه أسند إتيان البناء وفعله إليه علي سبيل المجاز العقلي الذي علاقته سببية، فالذي يتقن البناء ويقوم به هم الملائكة الذين خصهم الله بذلك الأمر. وقوله أيضاً: (٢)

لا يلهينك منزلٌ لعبت به أيدي البلا منذ سالف الأزمان

مجاز عقلي علاقته سببية، حيث أسند الفعل " يلهي"، إلى أيدي البلا على سبيل المجاز العقلي، مع أن السبب في لهو الإنسان وضياعه هو النفس والشيطان. ومنه قوله أيضاً: (٣)

سبحان من غرست يدها جنة الـ فردوس عند تكامل البنيان

مجاز عقلي علاقته سببية، حيث أسند فعل الغرس إسناداً مجازياً علاقته السببية إلى الله تعالى، لأن الله تعالى هو الأمر للغرس، علماً بأن الملائكة المكلفة بالغرس هي التي قامت بالغرس. ونظير ذلك في قوله أيضاً: (٤)

فإذا هم رجعوا إلى أهلكهم بمواهبٍ حصلت لهم من الرحمن

مجاز عقلي علاقته سببية، حيث أسند فعل الحصول على الهدايا إسناداً مجازياً علاقته السببية، فالله تبارك وتعالى هو الأمر بتلك الهدايا، ولكن الملائكة الكرام هي المكلفة بتوزيع تلك الهدايا والكرامات.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩٣.

وفي قوله: " فإذا هم رجعوا " مجاز مرسل علاقته باعتبار ما يكون.

٤- المصدرية: " ويسند الفعل فيه إلى المصدر بدلاً من الفاعل الحقيقي، وذلك كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣]، فقد أسند الفعل وهو النفخ إلى المصدر إسناداً مجازياً، ولم يسنده إلى الفاعل الحقيقي وهو النافخ في الصور" (١).

ونظير ذلك ما ورد في القصيدة في رؤية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى ونظرهم إلى وجهه الكريم، فقال: (٢)

فيه تجلّى الربّ جلّ جلاله ومجئُهُ وكلامه ببيان

حيث أسند الفعل " جلّ " إلى مصدره إسناداً مجازياً وهو: "جلاله " مع أنها ليست الفاعل الحقيقي، فالإسناد هنا مجاز عقلي علاقته مصدرية. وقوله كذلك: (٣)

فيقول جلّ جلاله هل أنتم راضون قالوا نحن ذو رضوان

حيث أسند الفعل " جلّ " إلى مصدره، "جلاله " وهي ليست الفاعل الحقيقي، فالإسناد مجاز عقلي علاقته مصدرية. ومثله أيضاً في وصف نساء الجنة: (٤)

وإذا بدت في حُلّةٍ من لبسها وتمايلت كتمايل النشوان

حيث أسند الفعل : تمايلت " إلى المصدر إسناداً مجازياً علاقته مصدرية. وقوله أيضاً: (٥)

مُزجَ الشرابُ لهم كما مزجوا هم الـ أعمالَ ذاك المزجُ بالميزان

مجاز مرسل علاقته مصدرية، حيث أسند الفعل " مُزج " إلى غير فاعله الحقيقي، وإنما إلى مصدره " المزج"، وذلك من باب الإسناد المجازي العقلي.

(١) فن البلاغة، عبد القادر حسين، ص ٩٣، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٠٢.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٩٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨٣.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٧٥.

٥- **الفاعلية:** " وهو اسناد الفعل المبني للمجهول إلى الفاعل، فيسند الفعل إلى صيغة اسم المفعول، ويراد به اسم الفاعل، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قرَأَتِ القرآنَ جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾ [الإسراء: ٤٥]، فقد أسند الفعل إلى صيغة اسم المفعول " مستوراً "، وأراد صيغة الفاعل " ساتراً "، لأن من شأن الحجاب أن يكون ساتراً^(١).
ونظير ذلك في قوله:^(٢)

بكرٌ فلم يأخذ بكارتها سوى الـ محبوب من إنسٍ ولا من جان
مجاز عقلي علاقته فاعلية، حيث أسند الفعل " يأخذ " إلى صيغة اسم المفعول " المحبوب "، وأراد صيغة الفاعل، وهو الحبيب العاشق.

٦- **المفعولية:** ويسند ما بنى للفاعل إلى المفعول، وفيها يسند الفعل إلى صيغة اسم الفاعل، والمراد هو اسم المفعول، ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في قصيدته، فقال:
وذلك كقوله رحمه الله تعالى:^(٣)

فتميموا تلك الخيام فأنسوا فيهن أقماراً بلا نقصان
من قاصرات الطرف لا تبغى سوى محبوبها من سائر الشبان
مجاز عقلي علاقته مفعولية، فقد أسند الفعل إلى صيغة اسم الفاعل وذلك في قوله:

" قاصرات "، وأراد اسم المفعول وهو " مقصورات في الخيام ".

ثانياً: **المجاز المرسل:** " هو ما كانت علاقته بين ما استعمل فيه وما وضع له غير المشابهة، وتسميته بالمرسل كونه غير مرتبط بقيود"^(٤).

• علاقات المجاز المرسل:

١- **السببية:** وهو أن يطلق السبب ويراد المسبب.
ونظير ذلك في قوله رحمه الله تعالى:^(٥)

(١) من بلاغة القرآن، ص ٢٠٣.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٨.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة للفرزويني، ص ٢٧٧.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٦.

ولهم جشاء ريحه مسك يكو ن به تمام الهضم بالإحسان
فأورد المجاز المرسل في قوله: تمام الهضم بالإحسان، فهي مجاز مرسل علاقته سببية،
حيث أطلق السبب وهو الجشاء، وأراد المسبب وهو تمام الهضم، لأن الجشاء هو سبب الهضم،
وفي البيت مجاز مرسل وذلك في قوله: ولهم جشاء ريحه مسك يكون به تمام الهضم، فهي مجاز
مرسل علاقته باعتبار ما سيكون في الجنة.

٢- **المسببية:** وهو أن يطلق المسبب ويراد السبب، " أو حينما يطلق اللفظ المذكور مسبباً عن
المعنى المراد، ويكون المعنى المراد سبباً في المذكور"^(١).
ونظير ذلك في قوله رحمه الله:^(٢)

عمرت بهم هذي الديار وأقفرت منهم ربوع العلم والإيمان
مجاز مرسل علاقته مسببية، حيث ذكر المسبب وهو إعمار القلوب بحب الدنيا الفاني،
وأراد السبب وهو فراغ القلوب من العلم والإيمان.

٣- **الجزئية:** وهو أن يطلق الجزء ويراد الكل، أو تكون علاقة المجاز المرسل الجزئية إذا كان
اللفظ المستعمل جزءاً من المعنى المراد، وذلك كقول ابن القيم رحمه الله تعالى:^(٣)

والله لو شاهدت هاتيك الصدو ر رأيتها كمراجل النيران
مجاز مرسل علاقته جزئية، حيث أطلق الجزء وهو الصدور وأراد جميع النفس بأكملها.
وقوله في وصف الحور العين:^(٤)

فيهن حور قاصرات الطرف خيـ رات حسان هن خير حسان
فهذا مجاز مرسل علاقته جزئية، حيث أطلق الجزء وهو طرف العين، وأراد الكل وهو العفة
بأكملها.

ويقول الشريف الرضي: " وقد ذكر الطرف على طريق المجاز، وإلا فحقيقة المعنى أنهم
حبس الأنفس على الأزواج عفةً ودينياً وصوناً"^(٥).

(١) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ١٥٠.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧٠.

(٥) تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، ص ٢٥٧.

ونظير ذلك أيضاً في تحقير الله عز وجل للدنيا، فقال: (١)

لو ساوت الدنيا جناح بعوضةٍ لم يسقٍ منها الربُّ ذا الكفران

مجاز مرسل علاقته جزئية، فقد أطلق الجزء وهو جناح البعوضة وأراد الكل وهي الدنيا، فهي أهون على الله من ذلك الجناح الضعيف الذي لا يقوى على الطيران.

وقوله في وصف المتعة واللذة الحاصلة للأزواج في الجنان: (٢)

وهي التي عند الجماع تزيد في حركاتها للعين والأذن

مجاز مرسل علاقته جزئية، حيث أطلق الجزء وهو العين والأذن، وأراد كل الأعضاء.

وقوله أيضاً: (٣)

فالورد والتفاح والرمان في غصن تعالي غارس البستان

مجاز مرسل علاقته جزئية، حيث أطلق الجزء وهو الورد والتفاح والرمان، وأراد كل الثمار والفواكه واللذات.

ونظير ذلك أيضاً في وصفه لطعام أهل الجنة، فقال: (٤)

وطعامهم ما تشتهيه نفوسهم ولحوم طيرٍ ناعمٍ وسيمان

مجاز مرسل علاقته جزئية، حيث ذكر الجزء وهو لحوم الطير، وأراد كل الطعام بأشكاله وألوانه.

وفي وصفه لنساء الدنيا المائلات المميلات، فأورد قوله: (٥)

وجمالها زورٌ ومصنوعٌ فإن تركته لم تطمح لها العينان

مجاز مرسل علاقته الجزئية، حيث أطلق الجزء وهي " العينان "، وأراد الكل وهو النفس، فليست العين فقط التي تعزف عن تلك النسوة المسافحات، وإنما كل شيء في الإنسان.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧٤.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٧٩.

وقوله أيضاً: (١)

شوقاً إليه ولذة النظر الذي لجلال وجه الرب ذي السلطان

مجاز مرسل علاقته جزئية، حيث أطلق الجزء وهو "الوجه"، وأراد جميع لذة النظر لله ﷻ.

وقوله في وصف لذة الإنسان في نعيم الجنان، فيقول: (٢)

وانظر إلى جعل اللذذة للعيون وشهوة للنفس في القرآن

للعين منها لذة تدعو إلى شهواتها بالنفس والأمران

حيث ورد في قوله: وانظر إلى جعل اللذذة للعيون، مجاز مرسل علاقته جزئية، فقد أطلق الجزء وهو لذة العين وأراد كل اللذات.

وقوله: للعين منها لذة: مجاز مرسل علاقته جزئية، أطلق الجزء وأراد الكل، فاللذة للنفس كلها.

وفي وصفه للحوراء لحظة وقوفها أمام محبوبها ونظرها إليه، فيقول: (٣)

فيرى محاسن وجهه في وجهها وترى محاسنها به بعيان

مجاز مرسل علاقته جزئية، حيث أطلق الجزء وهو الوجه وأراد كل الجسد، لأنه مشتمل على جميع المحاسن والجمال.

٤- الكلية: وذلك حينما نستعمل الكل ونريد الجزء، كقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي

أَذَانِهِمْ﴾ [البقرة: ١٩]، والأصبع لا يجعل كله في الأذن، بل الأنملة، والعلاقة بين الأصبع والأنملة علاقة الجزء بالكل، وهذا ما سوغ المجاز وحسنه (٤).

ونظير هذا ما أورده ابن القيم في قوله: (٥)

رفعوا إليه رؤوسهم فرأوه نور الرب لا يخفى على إنسان

مجاز مرسل علاقته كلية، حيث أطلق الكل وهو "رؤوسهم"، وأراد الجزء وهو البصر أو العين.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٠.

(٤) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ١٥٢.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٤.

ومثله أيضاً في قوله: (١)

وصحافهم ذهبٌ تطوف عليهم بأكفٍ خُدامٍ من ولدان
مجاز مرسل علاقته كلية، حيث أطلق الكل، وهي الأكف وأراد الجزء وهي أطراف اليد
والأصابع.

وفي وصفه لأهل الجنة ولباسهم، فيقول: (٢)

وهم الملوك على الأسرة فوقها تيك الرؤوس مُرصَّعُ التيجان
مجاز مرسل علاقته الكلية، حيث أطلق الكل وهي "الرؤوس" وأراد الجزء من الرأس، وهو
مقدمته وأعلاه.

٥- اعتبار ما كان: وهو أن يسمى الشيء المستعمل باسم ما كان عليه من قبل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ
مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤]، فأخبر بأنه مجرمٌ باعتبار ما كان عليه
في الدنيا من الإجرام.

ونظير ذلك من القصيدة النونية قوله: (٣)

والخمر في الدنيا فهذا وصفها تغتال عقل الشارب السكران
فالخمر في الدنيا: مجاز مرسل باعتبار ما كانت عليه في الدنيا من ذهاب للعقل والنفس.
ومنه قوله أيضاً: (٤)

ويذكر الرحمن واحدهم بما قد كان منه سالف الأزمان
مجاز مرسل علاقته ما كان، فإن الله تبارك وتعالى يذكر عباده المؤمنين في الجنة بما اقترفوه من
ذنوب وهم في الحياة الدنيا.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٥.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩١.

٦- اعتبار ما يكون: وهو أن يسمى الشيء المستعمل باسم ما يؤول إليه في المستقبل، وذلك كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِبُحْرَانٍ﴾ [الصافات: ١٠١].

ونظير ذلك من القصيدة الكافية الشافية في قوله لحظة رجوع أهل الجنة إلى أهلهم ومنازلهم: (١)

فإذا هم رجعوا إلى أهلهم بمواهب حصلت من الرحمن
ففي قوله: فإذا هم رجعوا إلى أهلهم، مجاز مرسل علاقته باعتبار ما سيكون بعد رجوعهم لأهلهم في الخيام المجوفة.

ومنه قوله أيضاً فيمن أراد أن يخطب من الحور العين وهو في الدنيا: (٢)

فاخطب من الرحمن خوداً ثم قدّم مهرها ما دمت ذا إمكان
مجاز مرسل باعتبار ما يكون في المستقبل بعد الموت، فإن خطبة الحور العين لا تكون إلا في الجنة.
وقوله أيضاً: (٣)

ولسوف تعلم حين ينكشف الغطا ماذا أضعت وكنت ذا إمكان
حيث ورد في قوله: حين ينكشف الغطاء، مجاز مرسل علاقته باعتبار ما سيكون بعد حضور ملك الموت لقبض الروح، وأما في قوله: وكنت ذا إمكان، فهي مجاز مرسل علاقته ما كان قبل الموت وخروج الروح لبارئها.
وقوله أيضاً:

يا غافلاً عما خلقت له انتبه جدّ الرحيل فليست باليقظان
مجاز مرسل علاقته باعتبار ما يكون من قرب موت الإنسان ولقائه الله تعالى بعد الموت.
وفي تكليم رب العالمين لجنة الفردوس، فيقول:

لما قضى رب العباد الغرس قا ل تكلمي فتكلمت ببيان
ففي قوله: فتكلمت ببيان، مجاز مرسل علاقته باعتبار ما سيكون من الحوار والتكليم بين الجنة والكريم المتأن جل في علاه.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٥.

٧- **الحالية:** " وهي أن يكون اللفظ المستعمل حالاً في المعنى، فنطلق اسم الحال ونريد المحل"^(١).
ونظير ذلك في قوله:^(٢)

وإذا بربهم تعالي فـوقهم قد جاء للتسليم بالإحسان
فأورد في قوله: فوقهم، مجاز مرسل علاقته الحالية، حيث أطلق الحال وهو التسليم، وأراد
المحل، وهو الفردوس الأعلى.
وذلك كقوله:^(٣)

وسل المتيم كيف عيشته إذاً وهما على فرشيهما خلوان
مجاز مرسل علاقته الحالية، حيث ذكر الحال وهو العيشة الهنية، وأراد المحل وهي الجنة،
لأن الحياة الهانئة لا تكون إلا في الجنة.
وكقوله رحمه الله تعالى:^(٤)

غرفاتها في الجو ينظر بطنها من ظهرها والظهر من بطنان
مجاز مرسل علاقته الحالية، حيث أطلق الحال وهو لذة النعيم، وأراد المحل وهو غرفات
الجنة.
وقوله أيضاً:^(٥)

مرفوعةً فوق الأسرة يتكىء هو والحبیب بخلوةٍ وأمان
يتحدثان على الأرائك ما ترى حبين في الخلوات ينتجيان
مجاز مرسل علاقته الحالية، حيث ذكر الحال وهو الاتكاء على الأرائك مع المحبوب، وأراد
المحل وهو الجنة، فالسرر المرفوعة والاتكاء مع الأوانس المحبوبات بخلوة وأمان لا يكون إلا في
الجنان.

(١) من بلاغة القرآن، ص ٢١١.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧٠.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٧٧.

٨- المحلية: وهي أن يكون اللفظ المستعمل محلاً، والمعنى المراد حالاً فيه، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِمْرَةَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [يوسف: ٨٢]، وتقدير الكلام: وأسأل أهل القرية.

ونظير ذلك في قوله: (١)

هي جنة طابت وطاب نعيمها فنعيمها باقٍ وليس بفان
دار السلام وجنة المأوى ومن نزل عسكر الإيمان والقرآن

مجاز مرسل علاقته محلية، حيث ذكر المحل وهو الجنة وأراد الحال فيه، وهم حزب الله من المؤمنين.

يقول سيد قطب: "جنة المأوى هي التي تؤويهم وتضمهم، فينزلون فيها ويثون جزاءً بما كانوا يعملون" (٢).

وكقوله أيضاً: (٣)

فدعوه يدخل جنة المأوى التي ار تفعت ولكن القطوف دوان

مجاز مرسل علاقته محلية، حيث أطلق المحل وهو الجنة، وأراد الحال فيه وهو المؤمن. وقوله في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى:

ويرى الذين بذلها من فوقهم مثل الكواكب رؤيةً بعيان

مجاز مرسل علاقته محلية، حيث أطلق المحل وهو الجنة وأراد الحال فيه وهم أهل الدرجات العلى.

٩- الآلية: وهو إسناد الفعل إلى الآلة التي يقوم بها الفعل، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، ونظير هذا ما أورده ابن القيم في وصف ثمار الجنة ولذة طعمها، فقال: (٤)

فيلذها في الأكل عند منالها وتلذها من قبله العينان

مجاز مرسل علاقته آلية، فذكر لذة الأكل وأراد آلة الذوق وهي اللسان، وكذلك لذة الرؤية والتي تكون بالعين.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٠.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٥/٢٨١٣.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٢.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧٢.

الفصل الثالث الإشارات البلاغية في علم البديع

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: المحسنات المعنوية.

المبحث الثاني: المحسنات اللفظية.

المبحث الأول المحسنات المعنوية

علم البديع لغة: "من أبدع وبدع واخترع وخلق على غير مثال سابق، وبديعٌ فعيلٌ بمعنى فاعل، وهي صفة من صفات الله تعالى"^(١).

وفي الاصطلاح: "هو علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام المعنوية واللفظية، والمزايا التي تزيد حسناً وطلاوة وتكسوه بهاءً ورونقاً بعد مطابقتها لمقتضى الحال ووضوح دلالته على المراد"^(٢).

أولاً: المحسنات البديعية المعنوية:

١ - الطباق:

لغة: هو الموافقة، "فيقال: طبقت بين الشيئين، إذا جمعت بينهما على حدّ واحد"^(٣).

أما في الاصطلاح: "هو الجمع بين المتضادين، أو الجمع بين الشيء وضده في الكلام، ويكون بين الاسمين المتضادين"^(٤)، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرَ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورَ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ١٩ - ٢٢]، فجاء الطباق بين لفظ الأعمى والبصير، والظلمات والنور، والظل والحور، والأحياء والأموات، وكلها أسماء، ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في قصيدته، وذلك في الحث والسير إلى الجنة دون تواني وكسل، فقال:

واجعل نعوت جمالها الحادي وسر تلقى المخاوف وهي ذات أمان

فجاء بالطباق بين "المخاوف - أمان" وكلاهما من الأسماء.

ويأتي الطباق بين فعلين متضادين، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم: ٤٣].

ونظير هذا ما أورده ابن القيم في قصيدته الكافية الشافية، فقال:

عمرت بهم هذي الديار وأقفرت منهم ربوع العلم والإيمان

فجاء الطباق بفعلٍ مع فعلٍ مثله، وذلك في قوله: "عمرت - أقفرت".

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٨ / ٦.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة للقرظيني، ص ٣٤٨، وانظر: جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٢٩٨.

(٣) مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٤٢٣، وانظر: علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت،

١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص ٧٧.

(٤) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٣٠٣.

وقوله أيضاً: (١)

يمحو ويثبت ما يشاء بحكمة
وبعزة وبرحمة وحنان
فأورد الطباقي بين الفعلين " يمحو - يثبت " .

أنواع الطباقي:

١ - طباقي الإيجاب: " وهي ما صرّح فيها بإظهار الضدين، أو هي ما لم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً " (٢)، ونظيره من القصيدة، قول ابن القيم رحمه الله: (٣)

فترى الفتى يمسي على حالٍ ويصـ
بح في سواها ما هما مثلان
فجاء الطباقي في هذا المشهد بين الفعلين " يمسي - يصبح "، وهو طباقي ايجاب.
وقوله فيمن أثر غناء الدنيا على الآخرة وعاقبته الوخيمة: (٤)

فإذا تعلق بالسماع أصاره
عبداً لكل فلانةٍ وفلان
فجاء الطباقي بين اسمين متضادين وهما: " فلان وفلانة "، وهذا من باب مطابقة الإيجاب،
وفي وصفه لأهل الجنان لحظة اجتماعهم مع الأوانس الكريمات، ووصالهن، فقال: (٥)

فالوصل محفوفٌ بحبِّ سابقٍ
وبلاحقٍ وكلاهما صنوان
فذكر لفظ " السابق واللاحق " وهما متطابقان طباقي إيجاب، ووصفه للحوار العين وهنّ في
أحضان أزواجهن في القبلات والمداعبات، فيقول:

فسل المتيمّ هل يحلّ الصبر عن
ضمٍ وتقبيـلٍ وعن فلتان
وقد أورد الطباقي بين لفظ " الضم والفلتان "، وهو من باب طباقي الإيجاب، وقوله في أسبق
الناس دخولاً إلى الجنة، وهم الصابرون الشاكرون لله على ما أصابهم من لأواء وابتلاء، فيصف
حالمهم ويقول: (٦)

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٨.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ج ٣/٦٦، وانظر: جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٣٠٣، وانظر:
علم البديع، عبد العزيز عتيق، ص ٧٩.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧٣.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٨٤.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٦٧.

إن كان في السراء أصبح حامداً أو كان في الضراً فحمدٌ ثان
فقد جاء بالطباق في هذا المشهد بين الاسمين "السراء - الضراء"، وهو من باب طباق الإيجاب.
وفي وصفه لفرش أهل الجنة، فقال رحمه الله تعالى:

والفرش من إستبرقٍ قد بُطّنت ما ظنكم بظهارة لبطنان
فجاء الطباق بين الظهارة والبطنان، وهو من باب طباق الإيجاب.
ونظيره أيضاً:

فلقد ترحل عنه كلُّ مسرةٍ وتبدلت بالهَمِّ والأحزان
فأورد الطباق بين اسمين متضادين هما: "المسرة - والهَمِّ" وهو مطابقة الإيجاب، وقوله في وصف
الدنيا الزائل نعيمها، وأنها مجبولة على الهم والحزن: (١)

طُبعت على كدرٍ فكيف ينالها صفواً أهذا قط في الإمكان
حيث أورد الطباق بين الاسمين وهما: "كدر - صفواً"، وهو من باب طباق الإيجاب.
وفي وصفه لمصارع عشاق الدنيا وطلابها، فقال:

أو ما سمعت بلى رأيت مصارع الـ عشاق من شيب ومن شبان
فجاء بالطباق بين لفظين اسميين وهما: "شيب - شبان"، وهو من باب طباق الإيجاب، وأما
في ذكره لسن أهل الجنة، فيصف ويقول:

وصغيرهم وكبيرهم في ذا على حدٍ سواء ما سوى الولدان
فأورد طباق الإيجاب بين "صغيرهم - كبيرهم"، وهما من الأسماء.
وفي وصفه لطول قامات أهل الجنة وعرضهم، فقال:

والطول طول أبيهم ستون لـ كن عرضهم سبع بلا نقصان
هذا ولا يخفي التناسب بين هـ ذا العرض والطول البديع الشأن
فأورد في هذين البيتين طباق الإيجاب بين "الطول والعرض" وهما اسمان متطابقان
إيجاباً، وقوله:

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٩.

فدعوه يدخل جنة المأوى التي ار
تفعت ولكن القطوف دوان
فأورد طباق الإيجاب بين اللفظين: " ارتفعت - دواني "، وقوله فيمن تعلق بالدنيا ونسى
حظه من الآخرة، فقال رحمه الله تعالى: (١)

منتك نفسك باللحاق مع القعو
د عن المسير وراحة الأبدان
فأورد طباق الإيجاب في قوله: " القعود - والمسير "، وقوله في تعظيم جلال الله: (٢)

والله أكبر عالم الأسرار والـ
والحمد لله السميع لسائر الـ
والأمر من قبل ومن بعد له
إعلان واللحظات بالأجفان
أصوات من سرٍ ومن إعلان
سبحانك اللهم ذا السلطان
حيث جاء الطباق بين " لفظ الأسرار والإعلان" والسر والإعلان " وكلاهما اسمين، وهذا
من باب طباق الإيجاب، وأورد طباق الإيجاب بين الطرفين " من قبل - من بعد " .
وقوله في خطاب أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى: (٣)

ومذاك قد أدخلتنا الجنات حيـ
من أجرتنا من مدخل النيران
فجاء بطباق الإيجاب بين: " الجنات والنيران " وكلاهما اسمين.
ويقول في اشتياق العبد لربه ولذة النظر إليه: (٤)

فالشوق لذة روحه في هذه الد
نينا ويوم قيامة الأبدان
فأورد الطباق بين: " الدنيا ويوم القيامة "، وهو طباق إيجاب.
ويقول أيضاً:

فيقول أفضل منه رضواني فلا
يغشاكم سخط من الرحمن
حيث ذكر: "الرضوان والسخط" وهما من باب طباق الإيجاب.
وقوله في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى:

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩٠.

ويرى الذين بذيلها من فوقهم مثل الكواكب رؤية بعيان
فأتى بالضدين وهما: " ذيلها - فوقهم " ، وهذا من باب طباق الإيجاب.

وفي وصفه لشراب أهل الجنان، فيقول: (١)

يسقون فيها من رحيق ختمه بالمسك أوله كمثل الثاني
فطابق بيت ختم الرحيق وأوله، وهو من باب طباق الإيجاب، وفي وصفه للهور العين
وجمال جسدها وبهائه، فيقول: (٢)

لا الظهر يلحقها وليس ثديها بلواحق للبطن أو بدوان
فقد جاء بالطباق بين الظهر والبطن، وهو من باب طباق الإيجاب بين الاسميين.
وقوله أيضاً: (٣)

فملاحه التصوير قبل غناجها هي أول وهي المحل الثاني
فطابق بين لفظ " الأول - والثاني " ، وهو طباق إيجاب بين اسميين.

٢- طباق السلب: " وهي ما لم يصرح فيها بإظهار الضدين، أو ما اختلف فيه الضدان إيجاباً
وسلباً، بحيث يجمع بين فعلين من مصدر واحد، أحدهما مثبت ومنفي أو أمر ونهي " (٤)، وذلك
كقول الله تبارك تعالى في المثبت والمنفي: ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ
الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١١٦]، وكقوله تعالى في النهي والأمر: ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُونِ ﴾ [المائدة: ٤٤]،
ونظير ذلك من القصيدة النونية مما أورده ابن القيم، وذلك في قوله في التحذير من الدنيا وعدم
الرضا بها، وأن ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، فقال:

لا ترض ما اختاروه هم لنفوسهم فقد ارتضوا بالذل والحرمان

فأورد طباق السلب بالنفي والإثبات في قوله: " لا ترض - فقد ارتضوا " ، وكلا الفعلين من
مصدر واحد، وقوله في منشور الجنة الذي يُوقع به لصاحبها: (٥)

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨١.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٢.

(٤) معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ج ٣/٦٧، وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقرظيني،

ص ٣٥٠، وانظر: جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٣٠٣.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦١.

هذا ومن يدخل فليس بداخلٍ إلا بتوقيعٍ من الرحمن

فقد جاء طباق السلب في قوله: " يدخل - ليس بداخل " وكلا اللفظين من مصدر واحد

وكقوله أيضاً:

يا لذة الفساق لست كلذة الـ أبرار في عقل ولا قرآن

فقد طباق بين لذة الفساق ولذة الأبرار، وذلك من باب طباق السلب بالنفي والإثبات، وقوله في وصف العرائس في الجنان، فيقول:

بكرٌ فلم يأخذ بكارتها سوى الـ محبوب من إنسٍ ولا من جان

فطابق بين لفظين هما: " بكرٌ - ولم يأخذ بكارتها "، وهذه المطابقة من باب طباق السلب والتي تكون بالنفي والإثبات.

وفي وصفه للنعيم الدائم الذي لا يزول عن أهل الجنة، فيقول رحمه الله تعالى: (١)

أترهما ضجرين من ذا العيش لا وحياء ربك ما هما ضجران

حيث أورد طباق السلب في هذا المشهد، وذلك في قوله: " أترهما ضجرين - ما هما ضجران "، وقوله في وصف نعيم الجنة ودوامه على أهلها:

هي جنة طابت وطاب نعيمها فنعيمها باق وليس بفان

حيث ورد طباق السلب بالنفي والإثبات بين الألفاظ: " نعيمها باقٍ - وليس بفان ".

وقوله في ذكر أعلى أهل الجنة منزلةً وأدناهم، فقال: (٢)

لكن أدناهم وما فيهم دنىً ليس في الجنات من نقصان

فيرى بها أقصاه حقاً مثل رؤيته لأدناهم القريب الداني

فأورد في البيت الأول الطباق بين لفظ " أدناهم بالإثبات ولفظ وما فيهم دنىً " وذلك بالنفي، وهذا من باب طباق السلب، وقوله في البيت الثاني " أقصاه - أدناه "، فهو من باب طباق الإيجاب في الجمع بين الاسمين، وأما في وصفه لحلي أهل الجنان، فقال: (٣)

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٧.

ما ذاك يختص الإناث وإنما هو للإناث كذاك للذكور
فجاء طباق السلب بالنفي والإثبات بين لفظ " ما يختص الإناث، وإنما هو للإناث ".
وقوله أيضاً:

فيها الذي واللّه لا عين رأت
حيث جاء الطباق بين حاستي السمع والبصر، وفي وصفه لسوق الجنة، فيقول: (١)

يأتون سوقاً لا يباع ويشتري
فيه فخذ منه بلا أثمان
فجاء بطباق الاثبات والنفي بين الفعلين " يباع - يشتري "، وفي حديثه عن رؤية أهل الجنة
لربهم تبارك وتعالى، ونظرهم إلى وجهه الكريم، فقال: (٢)

رفعوا إليه رؤوسهم فرأوه نو
ر الرب لا يخفى على إنسان
فذكر الطباق في الألفاظ: " رأوه - لا يخفى "، وهي من باب مطابقة السلب بالنفي
والإثبات.

٣- إيهام التضاد: " وهو أن يوهم لفظ الضد أنه ضد، مع أنه ليس بـضد، وذلك كقوله تعالى:
﴿مِمَّا خَطَبَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ [نوح: ٢٥]، فإدخال النار ليس ضد الإغراق في المعنى، ولكنه
يستلزم ما يقابله وهو الإحراق، فإن من دخل النار فقد احترق، والاحترق ضد الغرق" (٣).
ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في قصيدته، فقال:

سجنٌ يضيقُ بصاحبِ الإيمان لـ
كن جنّة المأوى لذي الكفران
فأورد إيهام التضاد بين السجن الضيق الذي يعني الدنيا، وجنة المأوى والتي تعني الآخرة.
وفي وصفه لخلود أهل الجنة فيها ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم واستحالة الموت والنوم عليهم،
فيقول رحمه الله تعالى: (٤)

لكم حياة ما بها موتٌ وعا
ولكم نعيم ما به بوؤس وما
فيلة بلا سقم ولا أحزان
لشبابكم هرمٌ مدى الأزمان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٨.

(٣) علم البديع، عبد العزيز عتيق، ص ٨٠.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٤.

فذكر إيهام التضاد بين الحياة مع نفي الموت، والعافية مع عدم السقم، والنعيم وعدم
البؤس، والشباب ونفي الهرم.
وقوله أيضاً:

يا غافلاً عما خلقت له انتبه جد الرحيل فليست باليقظان
حيث ذكر إيهام التضاد بين الغفلة وعدم اليقظة.
وقوله أيضاً:

واحفظ حدود الرب لا تتعدها وكذاك لا تجنح إلى النقصان
فأورد إيهام التضاد بين حفظ حدود رب العالمين وعدم تعديتها.
ومنه قوله أيضاً: (١)

وكذلك المملوك حين يقوم بالـ حقين سابقاً بغير توان
فجاء بإيهام التضاد بين السبق وعدم التواني وهي البطء.
٤- الطباق الخفي: ونظيره من القصيدة النونية في وصف وجه الحور العين في الجنة، فيقول:

والشمس تجري في محاسن وجهها والليل تحت نوائب الأغصان
فأورد الطباق الخفي في قوله: الشمس والليل، فالشمس سبب في الإنارة والضوء، والليل سبب في
العتمة والظلام.
ومنه قوله أيضاً: (٢)

فتراه يعجب وهو موضع ذاك من ليلٍ وشمسٍ كيف يجتمعان
فجاء بالطباق الخفي بين الشمس والليل.

٢- المقابلة:

وهي عند ابن الناظم: " أن تأتي في الكلام بجزأين فصاعداً ثم تعطف عليه متضمناً أضدادها أو
شبه أضدادها على الترتيب، وأقلها مقابلة اثنين باثنين" (٣).

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٠.

(٣) المصباح في المعاني والبيان والبديع، ابن الناظم، ص ١٩٢.

أما عند الخطيب القزويني " فهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم بما يقابلها على الترتيب، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢] (١).

ونظير ذلك من القصيدة النونية قوله رحمه الله تعالى في صفة عرائس الجنات، وبذل الغالي والنفيس للوصول إليهن والاستئناس بهن، فقال: (٢)

وارغب بعقلك أن تبيع العالي الـ باقى بذأ الأدنى الذي هو فان

وهذا الشاهد من باب المقابلة، وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين، ثم بما يقابلها على الترتيب، فأورد لفظ " العالي الباقي - المقابل للفظ الأدنى الفاني "، فالأول في المقطع الأول يقابل الأول في المقطع الثاني، والثاني في المقطع الأول يقابل الثاني في المقطع الثاني، وقوله في وصف الحوراء لحظة سيرها في الجنان وانتظارها لزوجها على أحر من الجمر، فقال: (٣)

ووصائفٌ من خلفها وأمامها وعلى شمائلها وعن أيمن

فجاء بالطباق بأكثر من وجه، فذكر: الخلف والأمام، والشمائل والأيمان.

وقوله في وزن أعمال العباد على الميزان يوم القيامة: (٤)

ولذاك تثقلُ تارةً وتخفُّ أخـ رى ذاك في القرآن ذو تبيان

فجاء بالمقابلة بين الفعل " تثقل تارةً، وتخف أخرى".

وأيضاً في وصفه لعرائس الجنات وحسنهن وجمالهن، فيقول: (٥)

قصرت عليه طرفها من حسنه فالطرفُ في ذا الوجه للنسوان

أو أنها قصرت عليه طرفه من حسنها فالطرفُ للذكران

فأورد المقابلة بين " طرفها - وطرفه " و" حسنه - وحسنها " و" النسوان - والذكران ".

وقوله أيضاً: (٦)

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص ٣٥٣، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٥٢.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩٤.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٧٨.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٨٣.

واللّه قد جعل النساء عوانياً شرعاً فأضحى البعل وهو العاني
فقابل بين جملتين هما: " جعل النساء عوانياً - وأضحى البعل وهو العاني "، وقوله في
وصف ريح أهل الجنة وأنها توجد من مسيرة كذا، فقال: (١)

إما بحسب المدركين لريحها قريباً وبعداً ما هما سيان
أو باختلاف قرارها وعلوها أيضاً وذلك واضح التبيان
فقد ذكر في البيت الأول التضاد بين الاسمين، وهما " قريباً - وبعداً "، وفي البيت الثاني
بين اللفظين " قرارها - وعلوها " وهذا من باب "المقابلة"، وقوله في صفة غرفات الجنة:

غرفاتها في الجو يُنظر بطنها من ظهرها والظهر من بطنان
فأورد المقابلة بين الجملتين " يُنظر بطنها من ظهرها - والظهر من بطنان "، ووصفه في
سماع غناء أهل الدنيا، وأن هذا السماع من النقصان للعقل والدين والأخلاق، فقال: (٢)

لا تؤثر الأدنى على الأعلى فتُحـ رَمَ ذا وذا يا ذلة الحرمان
إن اختيارك للسمع النازل الـ أدنى على الأعلى من النقصان
حيث جاءت المقابلة بين المقطعين: " لا تؤثر الأدنى على الأعلى - واختيارك الأدنى على
الأعلى "، ونظيره أيضاً:

سجن يضيق بصاحب الإيمان لـ كن جنة المأوى لذي الكفران
فأورد المقابلة بين " صاحب الإيمان، وذي الكفران "، وبين السجن وهي الدنيا وجنة المأوى.
وقوله أيضاً: (٣)

ثقل الكتاب عليهم لما رأوا تقييده بشرائع الإيمان
واللهو خف عليهم لما رأوا ما فيه من طرب ومن ألحان
فأورد التقابل بين البيتين السابقين، فقال: " ثقل الكتاب عليهم، وقوله: واللهو خف عليهم"
والمقابلة بين الكتاب الذي يعني شرائع الإيمان، واللهو الذي يعني الطرب والألحان، وبين الثقل
والخفة، ويقول في وصفه ليوم المزيد وما أعد الله تعالى لعباده من كرامات عظيمة: (٤)

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩١.

سبقٌ بسبقٍ والمؤخر هاهنا متأخرٌ في ذلك الميدان
قربٌ بقربٍ والمباعد مثله بعدٌ ببعدهِ حكمةِ الديان

فقد جاء التقابل بين الألفاظ: " سبقٌ بسبقٍ - والمؤخر والمتأخر " ، وبين: " قربٌ بقربٍ - وبعدهِ ببعدهِ " .

٣- اللف والنشر:

" هو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحدٍ من المتعدد من غير تعيين، اعتماداً على تصرف السامع في تمييز ما لكل واحدٍ منها، وردّه إلى ما هو له" (١).

اللف والنشر المفصل:

ويقول السيد المدني في أنوار الربيع:

" يكون اللف والنشر على ضربين، والأول هو الأكثر والأشهر" (٢).

١- أن يكون النشر على ترتيب اللف: وذلك كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣]، " فقد جمع الليل والنهار بواو العطف ثم ذكر لكلٍ منهما ما يختص به، فذكر ما يختص بالليل وهو " لتسكنوا فيه " لأن فيه النوم والراحة، ثم ذكر ما يختص بالنهار وهو " لتبتغوا من فضله " لما فيه من الكد والعمل" (٣).

ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في وصف أهل الجنة وهم ينظرون إلى أزواجهم بإعجابٍ ولهفة، فيقول: (٤)

فالطرف منه وقلبه ولسانه في الدهش والإعجاب والسبحان

فإذا تتبنا المعاني الواردة في هذا البيت نجد أن اللف قد جاء في الشطر الأول المتمثل في قوله: فالطرف والقلب واللسان، ثم أورد النشر في الشطر الثاني من البيت في قوله: الدهش

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للقرظيني، ص ٣٦٦، وانظر: جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٣١٠.

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني، (١١٢٠هـ)، تحقيق: شاعر هادي

شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط ١، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م، ج ١/٣٤١.

(٣) مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٤٢٥، وانظر: علوم البلاغة للمراغي، ص ٣٣٠.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٤.

والإعجاب والسبحان، وقد جاء النشر على ترتيب اللف، فالدهش للطرف، والإعجاب للقلب، والتسبيح للسان، أما في وصفه لنساء الدنيا ناقصات العقل والدين، فقال: (١)

ما هاهنا إلا النكار وسيئ الـ أخلاق مع عيبٍ ومع نقصان
همٌ وغمٌّ دائمٌ لا ينتهي حتى الطلاق أو الفراق الثاني

حيث أورد اللف في البيت الأول على النحو التالي: فذكر النكار وسوء الأخلاق، ثم أرفد بالنشر في قوله: مع عيب ومع نقصان، وقد جاء اللف والنشر في البيت الأول مرتباً على النحو التالي: فالعيب للنكار، والنقصان لسوء الأخلاق، وأما في البيت الثاني فكان على النحو التالي: فذكر اللف في قوله: همٌ وغمٌّ، ثم ذكر ما يلائمه بالنشر وذلك في قوله: الطلاق أو الفراق الثاني، فجاء النشر متناسقاً مع الطلاق والهم، وجاء الفراق الثاني وهو الموت متلائماً مع الغم الدائم. وقوله أيضاً: (٢)

وهي التي عند الجماع تزيد في حركاتها للعين والأذنان
لطفاً وحسن تبعلٍ وتغنّجٍ وتحببٍ تفسيرٍ ذي العرفان

حيث ذكر متعدد وهو العين والأذان على جهة التفصيل، وقد عطف الأذان على العين بواو العطف وهو ما يسمي اللف، ثم ذكر النشر وهو اللطف والحسن والتبعل والتغنّج والتحبب، وقد جاء النشر ملائماً لللف، فاللطف وحسن التبعل هو الذي يتناسب مع حركة العين، والتغنّج والتحبب هو الذي يلائم حركة الأذن. وقوله أيضاً:

يمحو ويثبت ما يشاء بحكمةٍ وبعزةٍ وبرحمةٍ وحنان

فذكر متعددين في الفعل هما: " يمحو ويثبت "، وذلك على جهة التفصيل، فقد عطف الفعل يثبت على الفعل يمحو، وهو ما يسمي باللف، ثم ذكر ما يلائم الفعل الأول وهو الحكمة والعزة، فالله تعالى بحكمته وعزته يمحو الذنوب عن العباد التائبين، وذكر الرحمة والحنان اللتين تتلاءمان مع تحقيق المغفرة والرضوان للعبد من ربه تبارك وتعالى.

ونظير ذلك أيضاً في قوله رحمه الله: (٣)

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨١.

والجيدُ ذو طولٍ وحسنٍ في بياضٍ واعتدالٍ ليس ذا نكران

حيث أورد اللف في الشطر الأول المتمثل في قوله: "والجيد ذو طول وحسن"، ثم أورد النشر بعد ذلك في قوله: "بياض واعتدال"، وقد جاء النشر على ترتيب اللف، فالبياض للجيد وهو عنق الحوراء والاعتدال للطول والحسن.

وكقوله أيضاً: (١)

وسعيت جهدك في وصال نواعمٍ وكواعبٍ بيضٍ الوجوه حسان

فقد أورد اللف في الشطر الأول من البيت، وذلك في قوله: "نواعمٍ وكواعبٍ"، ثم أورد النشر بعده وهو المتمثل في قوله: "بيض الوجوه حسان"، فالبيض للنواعم والحسان للكواعب.

٢- أن يكون النشر على غير ترتيب اللف، أو ما يسمى "المشوش" (٢)، وذلك كقوله تعالى في اللف: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، والنشر كقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ﴾، فقد جاء النشر على غير ترتيب اللف، فالأول يعود على الثاني في اللف، والثاني في النشر يعود على الأول في اللف (٣).

ونظير ذلك في وصفه لسوق الجنة الذي ينصرفون إليه بعد جلوسهم مع ربهم تبارك وتعالى، فقال رحمه الله: (٤)

وتجّاره من ليس تلهيه تجا

رات ولا يبيع عن الرحمن

أهل المروءة والفتوة والتقى

والذكر للرحمن كل أوان

فقد ذكر متعدد وهو: التجارة والبيع، على جهة التفصيل حيث عطف البيع على التجارة بواو العطف، وهذا يسمى "اللف"، ثم ذكر "النشر" وهو: أهل المروءة والفتوة والتقى والذكر وأن هؤلاء الناس أصحاب تلك الصفات هم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وطاعته.

وأما اللف والنشر المجل: وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣]، فقد ذكر متعدد على جهة الإجمال وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، ثم أورد النشر

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٧.

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ٢٩٤.

(٣) من بلاغة القرآن، ص ٢٦٨.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٣.

مفصلاً وهو جزء هؤلاء الناس المتمثل في باقي الآية الكريمة، ونظير هذا ما أورده ابن القيم في وصف نساء الجنة وهنّ يتمايلن في حللهن، فيقول: (١)

وإذا بدت في حلةٍ من لبسها وتمايلت كتمايل النشوان
تهتز كالغصن الرطيب وحملته وردّ وتفاحٍ على رمان

حيث ذكر التمايل والاهتزاز للغصن الرطيب المحمل بجميع أنواع الثمار اللذيذة بطريقة مجملة وهو عبارة عن اللف، ثم أورد النشر في الشطر الثاني في صورة تفصيلية، فالورد الذي يهتز على غصنه، والتفاح الرطيب اللذيذ، والرمان المحمل على تلك الأغصان.

٤ - أسلوب الحكيم:

" هو تلقي المخاطب بغير ما يترقبه أو يتوقعه إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد، إشارةً إلى أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى" (٢)، وذلك كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]، فقد سألوا عن حقيقة ما ينفقون فكانت الإجابة ببيان طرق الإنفاق ولمن ينبغي أن تكون النفقة، تنبيهاً على أن هذا هو الأجدر بالسؤال عنه" (٣)، ونظير هذا في قوله رحمه الله تعالى: (٤)

يا عاشق الدنيا تاهب للذي قد ناله العشاق كل زمان
أو ما سمعت بلى رأيت مصارع الـ عشاق من شيب ومن شبان

فالمخاطب كان متوقفاً للإجابة على ما ورد في مسألة السماع، فإذا به يجد نفسه أمام مشهد آخر وهو مشهد الرؤية لمصارع العشاق الذين فتنوا بالدنيا وزينتها الزائفة.

وكقوله أيضاً: (٥)

فيضمها وتضمه أرييت معـ شوقين بعد البعد ينتقيان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٢) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٣١٩، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٧٣.

(٣) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ٢٨٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٤.

فبعد أن وصف المشهد الرائع لحظة عناق الزوجة لزوجها في الجنان، فإذا به ينتقل بنا فجأة للسؤال عن مشهد آخر وهو حال لقاء العشاق بعد الفراق والبعد الذي وقع بينهما في الدنيا. وفي قوله: (١)

لما قضى رب العباد الغرس قاً ل تكلمي فتكلمت ببيان
قد أفلح العبد الذي هو مؤمنٌ ماذا ادخرت له من الإحسان

فيظهر في هذا المشهد أسلوب الحكيم بطريقة جلية ورائعة، فقد ذكر خطاب رب العالمين للجنة وتكليمها له أن المؤمن الذي حافظ على دينه في الدنيا هو الذي سيدخلها لا غيره، ثم تنقاجاً بسؤالٍ لا يخطر على بال الإنسان، وهو ماذا ادخرت من الإحسان.

٥- تأكيد المدح بما يشبه الذم:

وهو عند ابن الناظم: " أن تنفى عن الممدوح وصفاً معيباً، ثم تعقبه بالاستثناء فتوهم أنك ستثبت له ما يذم به، فتأتي بما من شأنه أن يذم به ويكون للمبالغة في المدح" (٢). ويكون على ضربين:

الأول: " وهو أن يذكر صفة ذم منفية، ثم يأتي بالاستثناء أو الاستدراك فيتوهم السامع أنه يريد أن يستثني من هذا المنفي شيئاً يذم به الممدوح، ذلك لأن المستثنى يخالف المستثنى منه" (٣)، ونظيره في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا * إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٥- ٢٦]، فقد جاء بصفة ذم منفية، ثم أعقبها بأداة استثناء لتوهم السامع أن ما سيأتي بعدها صفة ذم أخرى، فإذا هي صفة مدح أخرى تؤكد المدح السابق.

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في قصيدته، فقال: (٤)

لا الظهر يلحقها وليس ثديها بلواحق للبطن أو بدوان
لكنهن كواعبٌ ونواهدٌ فثديهن كاللطف الرمان

حيث أورد صفة ذم منفية، ثم أردفها بصفة مدح تالية لها لتؤكد صفة المدح الأولى.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٨.

(٢) المصباح في المعاني والبيان والبديع، ابن الناظم، ص ٢٣٩.

(٣) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ٢٨٧.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨١.

وكقوله أيضاً: (١)

أتراب سن واحد متمائل سن الشباب لأجمل الشبان
بكر فلم يأخذ بكارتها سوى الـ محبوب من إنسٍ ولا من جان
فقد أورد صفة الذم المنفية في قوله: فلم يأخذ بكارتها، ثم تلاها بالاستثناء ليؤكد صفة المدح بعد المدح، فإن نساء الجنة كلهن أبقاراً، كلٌّ منهن لا يفتض بكارتها إلا محبوبها الذي اختصه الله بها، وكقوله أيضاً: (٢)

وكذا فقير ذو عيالٍ ليس بالـ ملحاح بل ذو عفةٍ وصيان
فذكر صفة ذم منفية عن الرجل الفقير الصابر والمحتسب المتعفف والذي لا يسأل الناس إلحافاً، ثم جاء بالتأكيد لصفة مدح ثانية لتأكيد الصفة الأولى.
الثاني: أن يثبت للشيء صفة مدح يعقبها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى.
ونظير ذلك ما جاء في وصف النساء داخل الخيام، فقال:

فتيمموا تلك الخيام فأنسوا فيهن أقماراً بلا نقصان
من قاصرات الطرف لا تبغى سوى محبوبها من سائر الشبان
فقد توهم للسامع بعد أداة الاستثناء "سوى" والتي أعقبت صفة المدح أنه سيذكر صفة ذم، إلا أنه خالف ذلك وأورد صفة مدح أخرى، فكان مدحاً بعد مدح.
وقوله في وصف نعيم رؤية وجه الله عز وجل، فقال:

فلهم نعيم عند رؤيته سوى هذا النعيم فحبذا الأمران
فقد أثبت صفة المدح لأهل الجنة وهو يتمتعون بلذة النظر لوجه الله الكريم، ثم ذكر صفة أخرى تدل على المدح لتأكيد تلك الصفة.

٦- تأكيد الذم بما يشبه المدح: ويكون على ضربين أيضاً:

الأول: وهو "أن يستثنى صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم أخرى بتقدير دخولها فيها" (٣)، وذلك كقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حِيمًا وَعَسَاقًا﴾ [النبأ: ٢٥- ٢٦]، حيث ذكر صفة مدح منفية، ثم أعقبها بأداة استثناء وأورد صفة ذم أخرى فتأكد الذم، فأصبح ذمًا بعد ذم.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٧.

(٣) من بلاغة القرآن، ص ٢٧٣.

ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في قوله: (١)

ما هاهنا واللّه ما يسوى قلا مة ظفر واحدة تُرى بجنان
ما هاهنا إلا النّقار وسيّ الـ أخلاق مع عيبٍ ومع نقصان

حيث ذكر صفة مدح منفية وهي أن نساء الدنيا ونعيمها الفاني لا يساوي قلامة أظافر الحور العين في الجنان، ثم أعقب هذه الصفة بأداة الاستثناء، وجاء بصفة ذم أخرى وهي النّقار وسوء الأخلاق والعيب والنقصان لنساء الدنيا فتأكد الذم، لأن نفي المدح ذم.

الثاني: أن يثبت للشئ صفة ذم ثم يعقبها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى، وذلك كالذي أورده ابن القيم في وصف نساء الدنيا القبيحات المائلات المميلات والمنكرات للجميل والمعروف مع أزواجهن، فقال: (٢)

إن قصّر الساعي عليها ساعة قالت وهل أوليت من إحسان
أو رام تقويماً لها استعصت ولم تقبل سوى التعويج والنقصان

فقد أثبت صفة الذم لهذا الصنف من النساء فلا أمانة لهن ولا وفاء ولا صبر ولا رضى ولا طاعة ولا تواضع، فهن قبيحات الفعال، يخضعن ويملن لمن يهوهن من الأندال والأردال، ثم أعقب هذه الصفات بأداة استثناء لتأكيد صفة الذم الأخرى وهي التعويج والنقصان.

٧- تجاهل العارف:

وهو لغةً: "والجهل نقيض العلم، وقد جهله فلان جهلاً وجهالةً، وجهل عليه وتجاهل أظهر الجهل وأرى من نفسه الجهل وليس به" (٣).

وفي الاصطلاح: "هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقةً تجاهلاً منه ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم أو لقصد التعجب أو التوبيخ أو التقرير" (٤).

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٩.

(٣) معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ج ٢/٣٦.

(٤) جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٣٢٢، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٧٧، وانظر البلاغة العربية للميداني،

وقال السكاكي في اعتراضه على هذا التعريف: " هو سوقُ المعلوم مساق غيره، ولا أحب تسميته بالتجاهل... " (١)، وذلك لوروده في كلام الله تعالى، فلا يليق بجلال الله سؤال تجاهل العارف أو أن نصف ربنا بأنه يتجاهل وهو من الأدب مع الله عز وجل.

الأغراض البلاغية المتضمنة لتجاهل العارف:

١- التوبيخ: وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَابُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [هود: ٨٧]، ونظير هذا ما أورده ابن القيم، فقال:

أَتَلَوُّهُ أَنْ صَارَ ذَا شَغْلٍ بِهِ لَا وَالَّذِي أُعْطِيَ بِلا حَسْبَانَ

حيث جاء الاستفهام في هذا المشهد توبيخاً لمن يلوم أهل الجنة على ما هم فيه من النعيم المقيم في الجنان، وتمتعهم بأزواجهم وكمال لذتهم التي لا تتقطع، فلا ينكر على أهل الجنة شغلهم بأزواجهم وقد تمكنوا من وصالهم بعد طول الغيبة، فإن العاشق الصبّ من أهل الدنيا إذا غاب عن محبوبه في بلاد بعيدة وأصبح يكابد لواعج الفراق ويتجرع مرارة الأشواق وينتظر بفارغ الصبر يوم التلاق، ثم أب إليه ووافاه بعد هذا الغياب الطويل وصار وصاله في الإمكان بعد ما كان أشبه بالمستحيل، فمن ذا يلومه إذا أقبل على محبوبه يطفئ نار أشواقه بالعناق والتقبيل.

ومنه قوله أيضاً:

ولسوف تعلم حين ينكشف الغطا ماذا أضعت وكنيت ذا إمكان

فقد ورد السؤال في هذا المشهد توبيخاً لذاك الإنسان الذي فرط في حق الله تعالى، ومنى نفسه باللحاق مع القعود وراحة البدن والروح ومع إيثار الراحة والسلامة على مشقة السعي والانطلاق، ولسوف يعلم عاقبة تخلفه حين ينكشف له الغطاء ويعضّ بنان الندم على ما ضيّع.

ويقول أيضاً: (٢)

أرأيت لو عطلت أرضك من غرا س ما الذي تجني من البستان

حيث ورد الاستفهام للتوبيخ في حق من أهمل الغرس لنفسه في أيام قدرته وإمكانه وضع على نفسه أعظم فرصة لدخول الجنان والنظر إلى وجه الكريم المنان.

(١) مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٤٢٧.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٦.

قال الهراس: " فمن يؤمن إيماناً جازماً بأنه سيجني هناك ما قدم لنفسه هنا ثم لا يسعى لذلك سعيه ولا يهتم له اهتمامه بأمر دنياه، قل لي بريك كيف يجتمع إيمان وإهمال، أرايت لو كان لك بستان فعطلته من الغراس هل كنت تجني منه شيئاً، وكذلك لو كان لك أرض فعطلتها من البذر، فهل كنت ترجو أن تغل لك غلة كثيرة؟" (١).

٢- المبالغة في المدح:

وذلك كقول ابن القيم في قصيدته: (٢)

والفرش من إستبرقٍ قد بُطنت ما ظنكم بظاهرةٍ لبطان

فقد ورد الاستفهام في هذا المشهد مبالغةً في الوصف والمدح لتلك الفرش، فإن ظواهرها أعلى وأحسن من بطائنها، لأن بطائنها تلي الأرض، وظواهرها للجمال والزينة والمباشرة، ويقول رحمه الله تعالى: (٣)

حتى إذا ما واجهته تقابلا أرايت إذ يتقابل القمران

حيث أورد الاستفهام مبالغةً في المدح لتلك الحوراء الجميلة، وكأنها البدر ليلة تمامه بين النجوم المتألثة. ويقول أيضاً: (٤)

قالوا لهم أهلاً ورحباً ما الذي أعطيتم من ذا الجمال الثاني

فذكر الاستفهام للمبالغة في جمال الأزواج في الجنان، فإن أهل الجنة حين يرجعون إلى أهلهم بعد زيارة ربهم تبارك وتعالى يقولون لهم أهلاً ومرحباً بحبنا، ما هذا الجمال الذي أضفي عليكم فوق ما كنتم عليه قبل مفارقتنا، لقد ازددتم في أعيننا جمالاً وحسناً وبهاءً.

٣- المبالغة في الذم:

ونظيره من القصيدة الكافية الشافية: (٥)

لا يُرتجى منها الوفاء لصبها أين الوفا من غادرٍ خوآن

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢/٤٣٨.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩٣.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٥٩.

فقد أورد الاستفهام في هذا البيت مبالغةً في ذم الدنيا الغدرة الخائنة المهلكة، وأنها لا تعدل عند الله جناح بعوضة.

ويقول أيضاً: (١)

يا من يقرّ بذنا ولا يسعى له بالله قل لي كيف يجتمعان
حيث أورد الاستفهام في هذا المشهد مبالغةً في ذم من أهمل نفسه ولم يخرس لها ذلك
الغراس الطيب وهو سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.
ويقول رحمه الله: (٢)

أو ما سمعت بلى رأيت مصارع الـ عشاق من شيبٍ ومن شبان
فقد ورد الاستفهام مبالغةً في ذم الحياة الدنيا، لأنها دار لا يؤمل منها الوفاء لعشاقها الذين
أغرّموا صباغةً بها وكيف يُنتظر الوفاء ممن طبيعته الغدر والإخلاف، فيا عشاق الدنيا وخطأها
انتظروا غدرتها بكم ووثبتها عليكم كما فعلت بعشاقها قبلكم، فلقد سمعتم من أخبار صرعاها
الغابرين ورأيتم من مصائر قتلاها الكثيرين ما فيه عبرة لكم إن كنتم من المستبصرين.
٤ - التعجب:

وذلك كقوله رحمه الله تعالى: (٣)

فتراه يعجب وهو موضع ذاك من ليلٍ وشمسٍ كيف يجتمعان
حيث ذكر الاستفهام متعجباً من اجتماع الليل والشمس في وجهها، فالله سبحانه قد جمع
فيها بين الليل والنهار، فالشمس تجري في محاسن وجهها، والليل تحت ذوائب شعرها الفاحم
الجميل، فيا عجباً لشمسٍ وليلٍ كيف يجتمعان.
ويقول رحمه الله تعالى: (٤)

هل يستوي هذا ومبصر رشده الله أكبر كيف يستويان
حيث أورد الاستفهام في موضعين في هذا البيت متعجباً من حال الرجل الضال المضل،
ومن ألهمه الله رشده ويمشي على هدىً من الله ونور، فهل يستويان أبداً في عقل المتأمل البصير.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨٩.

وقوله أيضاً: (١)

من منطقٍ رقت حواشيه ووجـه كـم به للشمس من جريان

فقد جاء بالاستفهام متعجباً من سحرها وجمال كلامها الخلاب، وقد امتلأت من الفنون والسر الحلال عيناه وأذناه حين يسمع منطقها الرخيم وأنغامها الحلوة التي تترى بأجمل الألحان وحين توجه إليه ألفاظها العذبة وتنبه أشواقها وحبها، وحين يرى وجهها المضيء كأن الشمس تجري في صفحته.

وقوله في التفريق بين قوت الأبدان والقلوب:

قوت النفوس وإنما القرآن قو ت القلب أنى يستوي القوتان

حيث أورد الاستفهام متعجباً ممن أحلّ الغناء وجعله قوتاً للقلب بدلاً من القرآن، فإن الله والغناء غذاء النفوس المريضة الأمانة بالسوء، ولكن القرآن هو قوت القلوب ولا يمكن أن يستوي القوتان.

٥- التحقير:

ونظير ذلك في قوله رحمه الله تعالى: (٢)

إن قصّر الساعي عليها ساعة قالت وهل أوليت من إحسان

حيث ذكر الاستفهام تحقيراً لتلك المرأة المطبوعة على الغدر ونكران العشير وعدم الحفاظ عليه والوفاء بحقه، حتى لو أن الرجل أحسن إليها الدهر كله ثم رأت منه شيئاً لا يعجبها ولو مرة واحدة قالت له: ما رأيت منك خيراً قط.

وقوله أيضاً: (٣)

إن قلت قال الله قال رسوله فيقول جهلاً أين قول فلان

حيث أورد الاستفهام تحقيراً لذلك الإنسان الذي يقدم رأيه وهو على قول الله تعالى وقول رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فهو يظن أنه على شيء من العلم فيمشي تيهياً وتكبراً يخال في حل جهله وهذيانه.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٩٦.

٦- الإيناس:

ونظير ذلك ما جاء في القصيدة الكافية الشافية، فيقول: (١)

فيقول جَلّ جلاله هل أنتم راضون قالوا نحن ذو رضوان

حيث ورد الاستفهام في هذا الموضع إيناساً من الله تبارك وتعالى لعباده الكرام في الجنة وتكليمه لهم تكليماً خاصاً بالتحية والتكريم، وقوله أيضاً: (٢)

هل تذكر اليوم الذي قد كنت في — مبارزاً بالذنب والعصيان

فقد ذكر الاستفهام إيناساً لأهل الجنة، فالله سبحانه وتعالى يقول لهم: سلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك، فيقول قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولديّ مزيد.

٧- التعريض: هو ما يفهم عند اللفظ لا به.

ونظيره من القصيدة في قوله رحمه الله تعالى: (٣)

والساعة الأخرى إلى هذي السما ء يقول هل من تائب ندمان

فقد ورد الاستفهام تعريضاً بأهل الدنيا الذين لم يتوبوا إلى ربهم تبارك وتعالى وينيبوا إليه، فالله عز وجل ينزل في الساعة الأخيرة من الليل ويعرض مغفرته ورضوانه على عباده التائبين. وقوله أيضاً: (٤)

أو ما سمعت بأنها القيعانُ فاغ — رس ما تشاء بذا الزمان الفاني

فقد أورد الاستفهام في هذا البيت تعريضاً لمن سمع عن غراس الجنة وأنها قيعان، فليغرس هذا الإنسان ما استطاع في ذاك الزمان الفاني.

وتعليقاً على هذا الضرب من المحسنات المعنوية، فقد أورد فضل عباس قولاً أحببنا أن نورده في طيات رسالتنا وهو: " والحق أن هذا الضرب حريٌّ به أن يكون في علم المعاني، فهو إلى أبوابه أقرب وبموضوعه ألصق" (٥).

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩٦.

(٥) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ٢٩٣.

المبحث الثاني المحسنات اللفظية

أولاً: الجناس:

لغة: "جانسه يعني شاكله، والجناس الاتحاد في الجنس، أي اشترك معه في جنسه"^(١).

أما في الاصطلاح: "هو تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى، ويسمى التجانس والتجنيس"^(٢).

وهو عند ابن الناظم: "أن تأتي في غير رد العجز على الصدر بلفظين بينهما تماثل في الحروف وتغاير في المعنى"^(٣).

وهذا شيخ البلاغة وإمامها يتحفنا بقوله في التجنيس: "فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً"^(٤).

ويقول أيضاً: "إن ما يعطى التجنيس من الفضيلة أمرٌ لم يتم إلا بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن ولما وجد فيه إلا معيب مستهجن ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به، وذلك أن المعاني لا تدين في كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه، إذ الألفاظ خدم المعاني والمصرفة في حكمها، وكانت المعاني هي المالكة لسياستها، المستحقة طاعتها، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته، وأحاله عن طبيعته وذلك مظنة الاستكراه، وفيه فتح أبواب العيب والتعرض للشين"^(٥).

ويقول الميداني: "والجناس فن بديع في اختيار الألفاظ التي توهم في البدء التكرير، لكنها تفاجئ بالتأسيس واختلاف المعنى، ويشترط فيه ألا يكون متكلفاً ولا مستكراً استكراهاً، وأن يكون مستعذباً"^(٦).

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٦/٤٣.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ج ٢/٤١٤.

(٣) المصباح في المعاني والبيان والبديع، ابن الناظم، ص ١٨٣.

(٤) أسرار البلاغة للجرجاني، ص ٧.

(٥) المصدر السابق، ص ٨.

(٦) البلاغة العربية للميداني، ج ٢/٤٨٥.

أقسام الجناس:

١ - الجناس التام المماثل:

" وهو أن يتفق اللفظان في أنواع الحروف وعددها وهيئاتها وترتيبها "(١).

يقول السيد المدني في أنوار الربيع: " وهو ما تماثل ركناه لفظاً وخطاً واختلفا معنىً من غير تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركاتهما، وهذا الجناس من أكمل أصناف التجنيس وأرفعها رتبةً نحو قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِئُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [الروم: ٥٥]، فقد ورد الجناس بين لفظتي: " الساعة، وساعة " فالأولى بمعنى القيامة، والثانية بمعنى الزمن "(٢).

ونظير ذلك في القصيدة الكافية الشافية ما أورده ابن القيم، فقال:

وكلامها يسبى العقول بنغمةٍ زادت على الأوتار والعيان (٣)
وكذاك لم تمنع ولم تحتج إلى أن ترتقي للفتو في العيان (٤)

حيث أورد الجناس التام في هذا المشهد، وذلك في قوله: " العيان - العيدان "، فكانت الأولى بمعنى آلة العزف والموسيقى، أما الثانية فكانت تعني أغصان الأشجار وعيدانها.

ويعتبر لفظ " العيدان " في هذا المشهد أيضاً من باب المشاكلة التحقيقية، حيث تشاكل اللفظان ووقعا في صحبة بعضهما البعض تحقيقاً لا تقديراً، " وذلك كما ورد في قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾، أي أنه أهملهم، فذكر الإهمال بلفظ النسيان لوقوعه في صحبته "(٥).

وقوله أيضاً: (٦)

هربوا من الرقّ الذي خلقوا له فبأبوا برقّ النفس والشيطان
فجاء الجناس التام بين: الرق والرق، فالأولى بمعنى طاعة الله تبارك وتعالى والعبودية له، وحملت الثانية المعنى المجازي وهو اتباع الهوى والشيطان والذي هو بمعنى الاسترقاق.

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للقريني، ص ٣٩٣.

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد المدني، ج ١/٤٨١.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٢.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧٢.

(٥) المصباح في المعاني والبيان والبديع، ابن الناظم، ص ١٩٦، وانظر: جواهر البلاغة للهاشمي، ص ٣٠٩.

(٦) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٩.

٢- الجناس غير التام: " الناقص "

" وهو أن تكون إحدى الكلمتين مشتملة على لفظ الآخر، وزيادة مصدرّة أو مؤخرّة، أو اختلاف اللفظين في عدد الحروف، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَالْتَمَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٩-٣٠]، فالجناس بين " الساق والمساق "، حيث زادت الثانية عن الأولى بحرف في أول الكلمة" (١).

ونظير هذا ما ورد في القصيدة في قول ابن القيم رحمه الله:

فتثير أصواتاً تلذ لمسمع الـ إنسان كالنغمات بالأوزان (٢)
كالزبد ليناً في نعومة ملمسٍ أصداف درّ دورت بـوزان (٣)

فأورد الجناس بين اللفظتين: " أوزان - وزن "، حيث زادت اللفظة الأولى على الثانية بحرف واحد في أول الكلمة.
وقوله أيضاً:

ونصيفٌ إحداهنّ وهو خمارها ليست له الدنيا من الأثمان (٤)
كملت خلأفها وأكمل حسنها كالبدر ليل الست بعد ثمان (٥)

حيث جاء الجناس الناقص في قوله: " أثمان - ثمان "، وقد زادت الأولى على الثانية بحرف في أول الكلمة.
وفي قوله أيضاً:

أو كنت تدري أين مسكنها جعلت السعي منك لها على الأجان (٦)
والله لم تخرج إلى الدنيا للذّة عيشها أو للحطام الفاني (٧)

فقد أورد الجناس الناقص بين لفظين هما: " أجان - فان "، وقد زاد أحدهما على الآخر بحرفين في أول الكلمة.

(١) المصباح في المعاني والبيان والبديع، ابن الناظم، ص ١٨٧.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨١.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧٦.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٨٠.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٥٨.

(٧) المصدر السابق، ص ٢٧٩.

وقد تكون الزيادة في وسط الكلمة، وذلك كقوله رحمه الله تعالى: (١)

كـدحاً وكـدأً لا يفتّر عنـهم ما فيه من غمٍ ومن أحزان

فأورد الجناس بين لفظتين هما: كدحاً - كدأً "، وقد زادت إحداهما على الأخرى بحرفٍ في وسط الكلمة.

وقد تكون الزيادة في طرف الكلمة، وذلك كقوله: (٢)

بل لا منيِّ ولا منيَّةً هـذا يروي سليمان هو الطبراني

حيث ذكر الجناس الناقص في قوله: " منيِّ - منيَّة "، وقد جاءت الزيادة في طرف الكلمة.

ويقول الدكتور محمد علوان: " ويسمى هذا النوع من الجناس الناقص بالمطرف، لأن الزيادة وردت في طرف الكلمة ونهايتها " (٣).
ومنه قوله أيضاً:

ويزيد كل منهما حباً لصا حبه جيداً سائر الأزمان (٤)

لأنه لاثم ذلك الثغر الذي في لثمه إدراك كل أمان (٥)

فذكر الجناس بين " الأزمان - أمان "، وهو جناس ناقص وجاءت الزيادة في إحداهما في وسط الكلام.

ونظير ذلك أيضاً: (٦)

أشجارها نوعان منها ماله في هذه الدنيا مثال دان

هذا وظل السدر من خير الظلا ل ونفعه التبريح للأبدان

حيث ورد الجناس الناقص بين لفظتين هما: " دان - أبدان "، وقد زادت الثانية على الأولى بحرفين في وسط الكلمة.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٦.

(٣) من بلاغة القرآن، ص ٢٨٣.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٤.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٨٠.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٧١.

وقد يكون الجناس الناقص في وسط الكلمة ولكن دون زيادة أو نقصان، وذلك كقوله: (١)

حورٌ حسان قد كملن خلائقاً ومحاسناً من أجمل النسوان
والطرف يشرب من كؤوس جمالها فتراه مثل الشارب النشوان

حيث ورد الجناس الناقص في قوله: " النسوان - النشوان " وقوله أيضاً: (٢)

وكلاهما مرآة صاحبه إذا ما شاء يبصر وجهه يريان
فيقال هذا ضوء ثغرٍ ضاحكٍ في الجنة العليا كما تريان
ريانة الأعطاف من ماء الشبا ب فغصنها بالماء ذو جريان

فقد أورد الجناس الناقص في قوله: " يريان - تريان - جريان "، وجميعها مختلف في حرف واحد.

ونظير ذلك أيضاً: (٣)

شبههما بغمامتين وإن تشأ بغيايتين هما إذا مثلان
حيث جاء الجناس الناقص في قوله: " غماتين - وغيايتين ".

٣- الجناس من حيث الاختلاف في أنواع الحروف: وهو على قسمين:

الأول: الجناس المضارع:

" وهو ما اختلف فيه اللفظان المتشابهان في نوع واحدٍ منهما مع تقاربهما في المخرج، سواءً في الأول أو الوسط أو الآخر " (٤)، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣]، حيث ورد الجناس بين حرفين متقاربين وهما الضاد والطاء.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٩٥.

(٤) البلاغة العربية للميداني، ج ٢/٤٩٤.

ونظير ذلك ما أورده الإمام ابن القيم في ذمه لنساء الدنيا المسافحات والمتخذات أخدان، فقال رحمه الله تعالى: (١)

تَقَادُ لِلأَنْذَالِ والأَرْدَالِ هَمٌّ أَكْفَاؤُهَا مِنْ دُونَ ذِي الإِحْسَانِ

فقد ذكر الجنس الناقص بين كلمتين وهما: " الأندال - الأردال "، وقد جاء حرف النون والراء متقاربين في المخرج. وقوله أيضاً: (٢)

هَمٌّ وَغَمٌّ دَائِمٌ لَا يَنْتَهِي حَتَّى الطَّلَاقِ أَوْ الفِرَاقِ الثَّانِي

فأورد الجنس الناقص في قوله: " هم - غم "، وحرف الهاء والغين متقاربين في المخرج، فكلاهما يخرج من الحلق. الثاني: الجنس اللاحق:

وهو ما اختلف فيه اللفظان المتشابهان في نوع حرف واحدٍ منهما غير متقاربين في المخرج، في الأول أو الوسط أو الآخر، وذلك كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الِئِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]، حيث ورد الجنس الناقص بين كلمتي " تقهر - تنهر "، وجاء الاختلاف في القاف والنون وهما متباعداً في المخرج.

ونظير ذلك في وصف الخيام في الجنان، فقال: (٣)

وَرَأَوْا عَلَيَّ بَعْدَ خِيَاماً مَشْرِفَا تِ مَشْرِقَاتِ النُّورِ وَالبِرْهَانِ

فقد أورد الجنس بين لفظتي: " مشرفات - مشرقات "، وجاء الاختلاف بين الفاء والقاف، وكلاهما متباعداً في المخرج. وقوله أيضاً: (٤)

يُعْطَى المَجَامِعُ قُوَّةَ المَائَةِ التِّي اجِدُ تَمْتَعُ لِأَقْوَى وَاحِدِ الإِنْسَانِ

ويكون أقوى منه ذا نقصٍ من الـ إِيْمَانِ والأَعْمَالِ والإِحْسَانِ

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨٣.

حيث جاء الجنس بين الإنسان والإحسان، وبين حرفي النون والحاء تباعداً في المخرج.

ثانياً: السجع:

لغةً: هو الكلام المقفى والجمع أسجاع وأساجيع، وكلام مسجع تسجيحاً وسجع الحمام هديله وترجيحه لصوته^(١).

وفي الاصطلاح: " هو أن تتفق الفاصلتان في الحرف الأخير "^(٢).

ويقول القزويني في الإيضاح: " هو تواطؤ الفاصلتين من النثر والشعر على حرف واحد ويكون على ثلاثة أضرب، مطرف ومتوازي ومرصع "^(٣).

١ - السجع المطرف:

" وهو اتفاق الفواصل في الحروف واختلافها في الوزن "^(٤)، كقوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦ - ٧]، حيث وردت كلمة " مهاداً - أوتاداً "، وقد اتفقتا في حرف الروي واختلفتا في الوزن، فالأولى على وزن فعلاً، والثانية على وزن أفعالاً. ونظير هذا ما أورده ابن القيم في قوله:^(٥)

لو ساوت الدنيا جناح بعوضةٍ لم يسق منها الربُّ ذا الكفران
لكنها والله أحقرُّ عنده من ذا الجناح القاصر الطيران

حيث جاء بالسجع المطرف في كلمتين هما: " الكفران - الطيران " وكلاهما متفق في القافية ومختلف في الوزن، فالأولى على وزن فعلان بتسكين العين، والثانية على وزن فعلان بفتح العين. ومثل ذلك أيضاً في قوله:^(٦)

هي جنةٌ طابت وطاب نعيمها فنعيمها باقٍ وليس بفان
فالدار دار سلامةٍ وخطابهم فيها سلام واسم ذي الغفران

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٨/ ١٥٠.

(٢) البلاغة فنونها وأبنائها، فضل عباس، ص ٣٠٣.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص ٤٠٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٠٣.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٩.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٦٠.

حيث ورد السجع مطرفاً، فذكر لفظ: " فان - غفران "، وهما فاصلتان متفتقتان في القافية ومختلفتان في الوزن، فالأول وزنها " فاعل"، والثانية وزنها " فعلان".
ونظير هذا أيضاً في ذمه لذوى الأهواء الباطلة فقال: (١)

قد آثروا الدنيا ولذة عيشها الـ فاني على الجنات والرضوان
صحبوا الأماني وابتلوا بحظوظهم ورضوا بكل مذلة وهوان

فقد جاء بالفصلتين متفتقتين في القافية في قوله: " رضوان - هوان"، ومختلفتين في الوزن، فكلمة رضوان على وزن " فعلان"، وكلمة " هوان" على وزن فعال.

٢- السجع المتوازي:

وهو ما اتفقت فيه الفقرتان وزناً وتقنية^(٢)، كقوله تعالى: ﴿وَأَكْرَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ [الغاشية: ١٤- ١٥].

فاتفقت كلمة " موضوعة - مصفوفة" في الوزن والتقنية.

وذلك كما في قوله في وصف محاسن نساء الجنة وأزواجهن: (٣)

فيرى محاسن وجهه في وجهها وترى محاسنها به بعيان
ففي قوله: " يرى محاسن وجهه - وترى محاسنها به"، حيث جاءت الفقرتان متفتقتان وزناً وتقنية، وهذا على سبيل السجع المتوازي، ونظير ذلك أيضاً في قوله:

حمرُ الخدودِ ثغورهن لآلئِ سودُ العيونِ فواترُ الأجفانِ

حيث أورد السجع المتوازي في قوله: " حمر الخدود لآلئ - سود العيون فواتر"، وكانت العبارتان متفتقتين وزناً وتقنية، وفي وصف ابن القيم لمشهدين متناقضين في القصيدة النونية بين نساء الدنيا الخبيثات المائلات، ونساء الجنة الطاهرات العفيفات، حيث أورد السجع المتوازي بطريقة فنية رائعة في قمة الحسن والبهاء والسبك، فقال رحمه الله تعالى في المشهد الأول:

قُبِحَتْ خلائقُها وقُبِحَ فعلُها شيطانة في صورة الإنسان (٤)

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٩.

(٢) من بلاغة القرآن، ص ٢٨٨.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧٩.

وفي المشهد الثاني:

كَمَلتْ خَلائِقُهَا وَأَكْمَل حَسْنُهَا كالبدر ليل الست بعد ثمان^(١)
فقد أورد جملة " قبحت خلائقها وقبح فعلها "، وجملة " كملت خلائقها وأكمل حسنها "،
وكلتا الجملتين متفتتان مع بعضهما وزناً وتقفيةً.
وقوله أيضاً:^(٢)

مَا تَمَّ مِنْ دِينٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا خُلِقَ وَلَا خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
حيث أورد عبارات متعددة متفقة في الوزن والقافية.
وقوله كذلك:^(٣)

وَسَلَّ الْمَتِيمَ كَيْفَ عَيْشَتُهُ إِذَا وَهَمَّا عَلَى فَرَشَيْهِمَا خُلُوان
وَسَلَّ الْمَتِيمَ كَيْفَ مَجْلِسُهُ مَعَ الْـ مَحْبُوبٍ فِي رُوحٍ وَفِي رِيحَان
فإذا نظرنا إلى الشطر الأول من البيت الأول والشطر الأول من البيت الثاني وجدنا أن
المقطعين متفتان وزناً وتقفيةً.
وقوله رحمه الله تعالى:^(٤)

وَيَذْكَرُ الرَّحْمَنُ وَاحِدَهُمْ بِمَا قَدْ كَانَ مِنْهُ سَالِفَ الْأَزْمَانِ
وَيَسَلِّمُ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ حَقّاً عَلَيْهِمْ وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ
حيث أورد السجع المتوازي في قوله: " ويذکر الرحمن - ويسلم الرحمن "، وقد جاءت
الجملتان متفتتين في الوزن والقافية.

٣- السجع المرصع:

" وهو اتفاق الألفاظ في الوزن والقافية "^(٥)، وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ
الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٤]، فالأبرار والفجار اتفتتا وزناً وتقفيةً، وكذلك " نعيم وجحيم ".

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩١.

(٥) علوم البلاغة للمراغي، ص ٣٦١، وانظر: من بلاغة القرآن، ص ٢٨٧.

ونظير ذلك ما أورده ابن القيم في القصيدة، فقال: (١)

هذا وقد كتب اسمه مذ كان في الـ أرحام قبل ولادة الإنسان
بل قبل ذلك هو وقت القبضتيـ من كلاهما للعدل والإحسان

حيث جاءت اللفظتان " الإنسان - الإحسان "، متفتقتان في الوزن والقافية، وكلاهما على وزن " إفعال ".

ونظير ذلك في تعظيمه لجلال الله تعالى فقال:

سبحان ذي الجبروت والملكوت والـ إجلال والإكرام والسبحان
والأمر من قبلٍ ومن بعدٍ له سبحانك اللهم ذا السلطان

حيث ورد السجع المرصع في قوله: " الجبروت - الملكوت " وكلاهما متفق في الوزن والقافية، و " السُّبحان - السُّلطان "، وكلا اللفظين متفق في الوزن والقافية، وهما على وزن فُعْلان، وأيضاً في قوله: " من قبل - من بعد "، فكلاهما متفق في الوزن والقافية، فهما على وزن فَعْل.

وقوله في وصف أشجار الجنة وثمارها وظلالها: (٢)

كالسدر أصل النبق مخضود مكا ن الشوك من ثمر ذوي ألوان
أو أنه شجر البوادي موقراً حملاً مكان الشوك في الأغصان

فذكر السجع المرصع في قوله: " ألوان - أغصان "، وكلاهما متفق في الوزن والقافية، وهما على وزن أفعال.

ثالثاً: رد العجز على الصدر: أو التصدير.

" وهو أن يكون أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بالتجانس في آخر البيت والآخر في صدر المصراع أو حشوه أو آخره أو صدر المصراع الثاني " (٣).

ونظير هذا ما ورد في القصيدة النونية في قول ابن القيم رحمه الله: (٤)

سكانها أهل الجهالة والبطا لة والسفاهة أنجس السكان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧١.

(٣) مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٤٣١، وانظر: المصباح في المعاني والبيان والبديع لابن الناظم، ص ١٦٦.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٨.

حيث وردت لفظة " سكان " في صدر مصراع البيت وعجزه، فجاءت الكلمة الأخيرة رداً على الكلمة التي وردت في الصدر.
ومنه قوله كذلك: (١)

أسنانه الأعمال وهي شرائع الـ إسلام والمفتاح بالأسنان
فأورد كلمة أسنان في صدر مصراع البيت وعجزه.
وقوله أيضاً: (٢)

أبدانهم أجداث هاتيك النفوس س اللائي قد قبرت مع الأبدان
حيث ذكر كلمة الأبدان في صدر البيت وعجزه.
وكقوله أيضاً: (٣)

ذكر وأنتى والذي هو ضده وكذلك من أنتى بلا ذكران
فقد ذكر كلمة " ذكر " في صدر البيت والتي تكررت في عجز البيت.
وكذلك في قوله: (٤)

سبحان ذي الجبروت والملكوت والـ إجلال والإكرام والسبحان
فأورد لفظة " سبحان " في صدر البيت وعجزه مكررة.
وكقوله أيضاً: (٥)

ثنتان خالص حقه سبحانه وعبيده أيضاً لهم ثنتان
فذكر كلمة " ثنتان " في صدر البيت ثم ختم بها البيت.
ومنه كذلك في قوله: (٦)

صقى المقرّب سعيه فصفا له ذاك الشراب فتلك تصفيتان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦١.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٦.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٦٢.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٧٠.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٧٥.

حيث وردت كلمة " صفى " في صدر البيت، وختم البيت بمشتقاتها وهي " تصفيتان ".
وكذلك قوله أيضاً: (١)

حتى يحار الطرف في الحسن الذي قد ألبست فالطرف كالحيران
حيث وردت كلمة " يحار " في حشو المصراع الأول، بينما وردت الكلمة الأخيرة في البيت
وهي " الحيران " رداً على الكلمة التي وردت في حشو المصراع الأول.
ونظير ذلك أيضاً: (٢)

أتراهما ضجرين من ذا العيش لا وحياء ربك ما هما ضجران
حيث وردت كلمة " ضجرين " في حشو المصراع الأول، وورد البيت مختوماً بذات الكلمة،
رداً من عجز البيت على حشو الصدر.
وقوله كذلك: (٣)

والله قد جعل النساء عوانياً شرعاً فأضحى البعل وهو العاني
حيث أورد كلمة " عوانياً " في آخر المصراع الأول، وختم البيت بما بلائهما، فردّ العجز
على الصدر.
وقوله أيضاً: (٤)

ويقول لما أن يشاهد حسنها سبجان معطي الحسن والإحسان
فذكر لفظة " حسنها " والتي وردت في آخر المصراع الأول، ثم ختم البيت بها راداً العجز
على الصدر.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨٠.

الفصل الرابع أثر الاشارات البلاغية في بناء النص

ويشتمل على مبحثين:

- المبحث الأول: الصورة البصرية وأثرها في بناء النص.
- المبحث الثاني: الصورة السمعية وأثرها في بناء النص:

الفصل الرابع أثر الإشارات البلاغية في بناء النص

لقد ظهر أثر الإشارة البلاغية في بناء النص من جانب الاستعارة، حيث أدت الاستعارة في بناء الصورة البصرية دوراً مهماً ورائعاً أسهم في رسم صورة الاستعارة من خلال عذوبة الألفاظ وقوتها وجمال وصفها لتلك المشاهد المرئية المنتجة في النص.

وقد جاءت الإشارة البلاغية من خلال الكناية، فعبرت عن موصوفٍ من نوع خاص من النعيم الدائم المقيم في الجنان، هذا النعيم يفوق تصور البشر من رؤية وسماع وفهم، ولكن مع وضع شرط لمن يستحق ذلك النعيم والتلذذ به، فإنهم سينالون ما لم يروه في حياتهم الدنيا قط، فإله تبارك وتعالى أعد لعباده في الجنان ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فجاءت الكناية في وصف الجنة بنعيمها الذي لا يزول ولا ينتهي من لذائذ حسية تُرى بالعين، فهذا نعيم تستلذ به وتقر بمشاهدته العين وتستأنس به وتستطيبه، لأنه عنوان السعادة الأبدية.

لقد ظهر التناغم في الإيقاع الصوتي والموسيقي في انسياب وتآلف بين حروف القصيدة، حيث كانت الكلمات متوازنة والألفاظ بما تحمله من دلالات في المعنى وإيقاع متناسق بصورة عامة متلاقياً في أرجاء القصيدة بإيقاع متوالٍ منظوم لتلك العبارات والألفاظ الرائعة المستخدمة في وصف الجنة، وخاصة أنها مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، واللذان هما أساس البيان والفصاحة، فكانت الألفاظ ذات معنى عميق ظهر من خلاله الأداء التصويري للصورة البصرية والسمعية، والذي نفذ للقلب وهزه وللوجدان فرقعه.

وقد تآلفت المعاني مع الألفاظ من خلال الصورة البصرية، والتي أظهرت الجوانب الجمالية المتكاملة بين اللفظ والمعنى في حلة جميلة ورائعة، فالتقت الألحان في انسجام تام وتوازن، وكأن الألفاظ جاءت مؤاخيةً للألفاظ، وكأن الألفاظ قطعت لها وسويت على حجمها.

وقد اتّسمت الصورة البصرية والسمعية في القصيدة النونية بالحركة والحياة والتدفق، حيث كانت مشاهد وصف الجنة متلاحمة و متمازجة غير منفصلة عن بعضها البعض، مكونة حركةً وصورة دلالية لمشاهد الرؤية البصرية والسمعية في إيقاع منسجم، وقد توفر للصورة المرئية المشاهدة جميع عناصر الجمال التعبيري بصدق ودقة وجمال فني رائع.

وقد تجلت دلالة الصورة البديعية الرائعة كإشارة بلاغية مؤثرة في بناء النص، فورد معنا في هذه القصيدة مشهد المقابلة الرائع في حال ذهاب أهل الجنة لزيارة ربهم تبارك وتعالى ورجوعهم إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً وبهاءً غير الذي كانوا عليه من قبل، وهو ما يسمى بيوم المزيد، حيث قال رسول الله ﷺ "إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثو في

وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً" (١).

وذلك كما وصف ابن القيم أهل الجنة ورجوعهم إلى أهلهم ومنازلهم، فقال: (٢)

فإذا هم رجعوا إلى أهلهم	بمواهبٍ حصلت من الرحمن
قالوا لهم أهلاً ورحباً ما الذي	أعطيتم من ذا الجمال الثاني
والله لازددتم جمالاً فوق ما	كنتم عليه قبل هذا الآن
قالوا وأنتم والذي أنشأكم	قد زدتم حسناً على الإحسان

فيعرض هذا المشهد مقابلةً بديعيةً بين موقفين لأهل الجنة، وذلك عندما تهب ريح الشمال فيكونون في أعلى درجات الحسن والبهاء والجمال، وبعد رجوعهم إلى أهلهم فيكونون على زيادة من الحسن والجمال، حيث تقابلت الصورتان المرئيتان قبل رجوعهم إلى أهلهم، وبعد رجوعهم إليهم، وذلك لتأكيد ما عليه أهل الجنان من السعادة والراحة الأبدية، فضلاً عن جمالهم وحسنهم الذي من الله عليهم به، فوردت المقابلة لزيادة الحسن والجمال والبهاء وإضفاء مشهدٍ يعجز وصفه في الحياة الدنيا.

ويقول الصباغ في كتابه التصوير الفني في الحديث النبوي: " فانظر إلى تلك الصورة الرائعة، فالناس في الجنة يزدادون حسناً وجمالاً، وقد جاءت الصورة تمثل حركة الذهاب إلى السوق وإتيانه والرجوع منه وهبوب الريح وصور الأهل الذين ينتظرون أزواجهم في القصور، فهناك مفاجأة القوم بأهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً وذلك حتى تتم السعادة، فلا ينظر المرء في الجنة إلا إلى جميل، وقد جاء التكرار في كلمتي " الحسن والجمال "، مما يجعل الصورة الجميلة في تمام الروعة التي لا يكاد المرء أن يشبع من ترديدها والنظر فيها" (٣).

وظهر أثر الإشارة البلاغية في بناء النص من خلال المشاهدة البصرية المرئية عن طريق الطباق البديعي، حيث وصف لنا مشهداً مقتبساً من حديث رسول الله ﷺ أنه قال: "جنتان من ذهب أنيتهما وحليتهما وما فيهما، وجنتان من فضة أنيتهما وحليتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن" (٤).

(١) رواه مسلم، ج ٤/٢١٧٨، باب فيمن يود رؤية النبي ﷺ .

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٣.

(٣) التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٨ م، ص ١٦٤.

(٤) رواه البخاري ج ٦/٢٧١٠، ومسلم ج ١/١٦٣.

ونظير ذلك من القصيدة النونية، في قوله: (١)

ذهبتان بكل ما حوتاه من حلي وآنية ومن بنيان
وكذاك أيضاً فضةً ثنتان من حلي وبنيان وكلّ أوان

حيث ورد الطباق بين الألوان المرئية البصرية في قوله: " جنتان من ذهب، وجنتان من فضة "، من خلال الرؤية الحسية، فالجنتان الأوليان من ذهب بمكوناتهما جميعاً، وكذلك الجنتان الأخريان من فضة بمكوناتهما جميعاً، فالمتمأل لما تعطيه الأوصاف من المغايرة في اللون الذهبي والفضي المرئيان يتلمس جمالية الوصف لذاك المكان من خلال الوصف المشاهد والمرئي لتلك الألوان، والتي يختلف أحدهما عن الآخر عن طريق الرؤية الحسية.

ثم تتجلى الإشارة البلاغية من خلال الجناس واشتقاقاته مؤثرة في بناء النص بطريقة إبداعية، وذلك كما في قوله رحمه الله تعالى: (٢)

أو ما سمعتَ بذبحه للموت بي — من المنزليين كذب كبش الضان

لقد جاءت صورة الموت من خلال الصورة البيانية التشبيهية على هيئة الكبش الأملح ووقوفه أمام الناس شاخصاً.

ويقول الصباغ: " لقد عرض المشهد في مشهدٍ رائع، فوضع أمام الناس ورآه الفريقان، ويسأل الناس عنه يوم القيامة، ففي هذا صورة متحركة، وهي إتيان الموت ووقوفه والمناداة على أهل الجنة وأهل النار، فيشرئبون وينظرون إليه، ويذبح أمامهم فيزداد أهل الجنة فرحاً ويزداد أهل النار حزناً" (٣).

وقد اشتمل هذا المشهد على نموذجين من جناس الاشتقاق هما: "ذبحه، كذبح"، "منادي، مناديهم"، وهذا الجناس أعطى لمسةً جماليةً للنص من خلال التقارب بين الجناسين في نداء أهل الجنة لدخولها، ونداء أهل النار لدخولها جزاءً بما كانوا يعملون.

وأما في حديثه عن عدد درجات الجنة وما بين الدرجتين، فيقول رحمه الله: (٤)

درجاتها مائة وما بين اثنتي — من فذاك في التحقيق للحسبان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩٤.

(٣) التصوير الفني للصباغ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٠.

مثل الذي بين السماء وبين هذي الأرض قول الصادق والبرهان
لكن عاليها هو الفردوس مسـ قوف بعرش الخالق الرحمن
وسط الجنان وعلوها فلذاك كما نت قبة من أحسن البنيان

ويقول الهراس: " فالجنة منازلها كثيرة ومتفاوتة بحيث لا يعلم عظمها وتباهاها إلا الله تعالى، فهم درجات عند ربهم" (١).

لقد جاءت الصورة من خلال وصف تلك الدرجات وأعلاهن ووسط الجنة وقبابها وما بين تلك الدرجات من مسافة لا يعلم بها إلا الذي أودعها.

ويقول الصباغ: " ولنتصور الدرجات الكثيرة التي وردت من خلال التشبيه والكناية عن فضل الجهاد في سبيل الله، فهو جوّ سمح مليء بالحنان والرحمة والفضل والإكرام" (٢).

ويصف الإمام ابن القيم صفوف أهل الجنة بطريقة رائعة، فيقول: (٣)

هذا وإن صفوفهم عشرون مع مائة وهذي الأمانة الثلثان
إذ قال أرجو أن تكونوا شطرهم هذا رجاء منه للرحمن

فانظر لتلك الصورة الجميلة، حيث جاءت جلية من خلال التشبيه والوصف، فالمؤمنون في الجنة كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو الشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض.

أما في وصفه لطول قامات أهل الجنة وعرضهم، فيقول: (٤)

والطول طول أبيهم ستون لـ كن عرضهم سبع بلا نقصان

إنها صورة تثير العجب والدهشة، حيث جاءت تلك الصورة بوصفها الدقيق بطول وعرض قامات أهل الجنة من خلال الوصف والتشبيه لآدم عليه السلام، وإن هذا الوصف الدقيق الذي يتغلغل إلى أعماق النفس ليصور لنا درجة الإحساس بذاك النعيم الذي لا يضاهاه نعيم آخر.

وفي وصفه لألوان أهل الجنة ولحاهم، فقال: (٥)

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢ / ٣٣٥.

(٢) التصوير الفني للصباغ، ص ١٦١.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٦٤.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٦٥.

ألوانهم بيضٌ وليس لهم لحيٌ جعد الشعور مكحلّو الأجفان
 هذا كمال الحسن في أبشارهم وشعورهم وكذلك العينان

حيث جاءت الصورة مركبة من عدة صور جميلة وكلها في تمام الروعة والدقة، فقد جاء الوصف للصورة رائعاً من خلال وصف الألوان، فانظر لبياض وجوههم، وألوان شعورهم وأجفانهم وبشرة الوجه وعيونهم الرائعة وألوانها الجميلة، فبرزت الصورة في تمام الوضوح والبيان. وقوله في وصف أرض الجنة وتربتها، فقال: (١)

والأرض مرمرةٌ كخالص فضةٍ مثل المرآة تناله العينان

فأبرزت لنا هذه الصورة تمام الصنعة والإبداع لتلك الأرض، وذلك من خلال صورة التشبيه لها بالفضة، والعين ناظرة مثلذذة بتلك الصورة الجديدة، فهو صنع الله الذي أتقن كل شيء. وفي وصف لذة النظر لطعام أهل الجنة، فيقول: (٢)

وانظر إلى جعل اللذذة للعيو ن وشهوةٍ للنفس في القرآن
 للعين منها لذةٌ تدعو إلى شهواتها بالنفس والأمران
 سبب التناول وهو يوجب لذة أخرى سوى ما نالت العينان

حيث ذكر في المشاهد السابقة الصورة البصرية المختصة بالعين دون غيرها من الحواس، وهذا من تمام اللذة والنعيم لما يراه الإنسان في الجنان، فإنه يتلذذ بالنظر للطعام واللحوم والفواكه وصحاف الذهب قبل أن يتناول شيئاً منها.

ويقول ابن عيسى في توضيح المقاصد وتصحيح القواعد: " فانظر إلى اللذذة التي تحصل بالعيون بسبب النظر إلى ألوان الذين هم كاللؤلؤ المنثور وشهوة النفس لما في الصحاف التي يطوفون بها، فاجتمع لهم لذة النظر ولذة الشهوة لما في الصحاف، وذلك يوجب لذة أخرى فتكمل لهم اللذة والله أعلم" (٣).

وفي وصفه لباس أهل الجنة، فقال: (٤)

وهم الملوك على الأسرة فوقها تيك الرؤوس مرصع التيجان
 ولباسهم من سندسٍ خضرٍ ومن إسْتَبْرِقٍ نوعان معروفان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٥.

(٣) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج ٢ / ٥٣٠ - ٥٣١.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٦.

فانظر لصورة أهل الجنة وهم كالملوك فيها متكئين على أسرّتهم وتيجانهم مرصعة فوق رؤوسهم، يلبسون أجمل الثياب وأطهرها، إنها صورة مرئية تتمتع العين بالنظر إليها. فأبي صورة أجمل من تلك الصورة لك أيها المؤمن، فإن لك عند الله تعالى ما اشتهدت نفسك ولذت عينك.

ويقول سيد قطب: " وهذه السرر مشبكة بالمعادن الثمينة متكئين عليها متقابلين في راحة وخلو بالٍ واطمئنان، ولنشاهدهم الآن في جلستهم الهادئة المريحة التي لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً، منعمون تعلوهم ثيابٌ من السندس والإستبرق وحلي الفضة، يشربون شراباً طهوراً يزيد عن قيمته أن ربهم تبارك وتعالى هو الذي سقاهم إياه" (١).

ويقول الهراس: " يلبس الله أهل الجنة تاج الملوك ويكسوهم من حلة الكرامة" (٢).

وأما في وصفه لثمار الجنة، فقال: (٣)

وثمارها ما فيه من عجمٍ كأم	ثال القلال فجَلَّ نو الإحسان
لكن لبهجتها ولذة طعمها	أمرٌ سوى هذا الذي تجدان
فيلذها في الأكل عند منالها	وتلذها من قبله العينان

قال الصباغ: " لقد شبه رسول الله ﷺ تلك الثمار بالقلال، وهي الجرة العظيمة التي تسع قربتين أو أكثر، وقد أعطى معاني الحسن والجمال لتلك الصورة، فلا يستطيع أحدٌ من خلق الله أن يصفها من شدة حسنها" (٤).

وأقول: لقد أورد الإمام ابن القيم مشاهد مزدحمة بالمناظر الحية والحركات المتتابعة، حيث التقى وصف الجنة المرئي بالحوار ورسم الألوان وسماع الأصوات الندية، فجاء النسق المصور للنعيم الذي يلقاه عباد الله المخلصون في تمام الروعة والدقة المتناهية، فظهر معنا في هذه القصيدة صور النعيم المادي والمعنوي وقد استمتعت به النفس وطاب هواها.

(١) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، ص ١٢٨-٢٥٥.

(٢) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢ / ٣٨١.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧١-٢٧٢.

(٤) التصوير الفني للصباغ، ص ١٤٨.

المبحث الأول الصورة البصرية وأثرها في بناء النص

يدرس التشكيل البصري علاقة حاسة الإبصار بالصياغة الشعرية، وكيفية التعامل معها بصرياً لاستنتاج دلالتها الفنية في النص، عن طريق العناية بتحليل الأبعاد الجمالية والمكانية لمفردات التشكيل الشعري، تحليلاً يربط الشكل بالمضمون والموسيقى والصور الفنية والوسائل البديعية، ثم علاقة حاسة الإبصار خاصة بالصياغة الشعرية، وكيفية التعامل معها بصرياً لاستنتاج دلالتها الفنية.

وإذا تتبعنا قول إمام البلاغة وشيخها في الصورة البصرية، فيصف المشهد ويقول: " وإنّ مما يقتضى كون الشيء على الذكر وثبوت صورته في النفس أن يكثر دورانه على العيون ويدوم تردده في مواقع الأبصار وأن تدركه الحواس في كل وقت أو في أغلب الأوقات وبالعكس وهو أن من سبب بُعد ذلك الشيء عن أن يقع ذكره بالخاطر وتعرض صورته في النفس قلة رؤيته، وأنه مما يحس بالفينة بعد الفينة وفي الفُرت بعد الفُرت وعلى طريق الندرة، وذلك أن العيون هي التي تحفظ صورَ الأشياء على النفوس وتجددُ عهداً بها، وتحرسها من أن تُدثر وتمنعها أن تزول، ولذلك قالوا من غاب عن العين فقد غاب عن القلب" (١).

لقد ظهر جمال الأسلوب الأدبي والخيال الرائع والتصوير الفني الدقيق في القصيدة النونية لدرجة إظهار الصورة المعنوية في صورة حسية مرئية بالعين فتمثلت الصورة البصرية في القصيدة بطريقة إبداعية رائعة، وقد اقتصرَت الصورة البصرية في هذه القصيدة على مشاهد الرؤية الموجودة داخل الجنة، والتي أخبرنا بها ربنا سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم ورسولنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وذلك مما رآه ليلة الإسراء والمعراج عندما نظر لأهل الجنان وهم يتعمون وما أخبره به جبريل عليه السلام، فأورد الإمام ابن القيم لنا صورةً بصريةً في تمام الدقة والروعة أحببنا أن نفرّد لها مبحثاً في رسالتنا.

ويقول سيد قطب في كتابه التصوير الفني في القرآن: " وهذه الصورة هي التي يعبر بها عن الصورة المحسّنة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور الذي يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة والحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة أو مشهداً، فتصبح تلك المشاهد شاخصة حاضرة فيها الحياة والحركة" (٢).

(١) أسرار البلاغة للجرجاني، ص ١٦٥.

(٢) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية السادسة عشر، ١٤٢٣هـ،

٢٠٠٢م، ص ٣٦.

ومن الصور البصرية التي وردت في القصيدة الكافية الشافية، قوله رحمه الله تعالى في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلا، فقال: (١)

ويرى الذين بذيلها من فوقهم مثل الكواكب رؤية بعيان

لقد جاءت الصورة البصرية في هذا البيت في قمة الروعة والبيان، حيث قدم مشهداً رائعاً بالصورة التشبيهية لمشهد من مشاهد الغيب، وهو رؤية أهل الدرجات العلا في الفردوس الأعلى لمن هم أدنى منهم منزلةً، وهو أمرٌ غيبي أخبرنا به الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام، فالمشهد البصري تجسد في فعل الرؤية " يرى "، والذي أعطى حركةً وإثارةً تصويريةً لطرفين هما أهل الجنة وأهل الغرف، فأهل الجنة في منزلةٍ أدنى من أهل الغرف، فهم يتطلعون إليهم ويرفعون رؤوسهم إلى جمال تلك المنزلة المضيئة البهية، وهم يتلهفون للرؤية، فالرائي في الجنة يرى صاحب الغرفة برؤية الرائي للكوكب الدرّي المستضيء الباقي في جانب الشرق أو الغرب في الاستضاءة مع السعداء وأهل الغرف ينظرون إلى أهل الجنة بحكم العلو الذي هم فيه.

وقد ظهر معنا أثر الإشارة البلاغية في بناء النص، وذلك من خلال الصورة التشبيهية، حيث كانت الصورة التشبيهية لأهل الجنة في غاية الجمال من خلال النظر إلى الكوكب الدرّي الغابر في الأفق، وقد جاء حرف التشبيه " الكاف، ومثل " لوصف مشهد رائع من مشاهد الجنة، وكان له دلالاته وتأثيره في بناء النص، حيث ورد ليعبر عن تراءي الكوكب الدرّي كصورة بصرية وهم في مكانهم العالي ينظرون، مما يجعل نفوسهم مليئة بالأنس والمحبة.

ويقول **الصباغ**: " لقد جاءت الصورة المرئية من خلال التشبيه، حيث إنهم يرونهم كما يرون في الدنيا الكوكب في كبد السماء سواءً كان في الأفق الشرقي أو الغربي، ولكن الصورة عبّرت بفعلٍ يدل على المشاركة وهو " يتراءون "، فكما أن أهل الجنة يرونهم من أي موضع في الجنة فكذلك سكان هذه الغرف يرون أهل الجنة، فهذه الغرف هي منازل الأنبياء ورجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين" (٢).

ويقول أيضاً: " وقد تكون الصورة على طريق التشخيص والحوار والوصف بالتشبيه والموازنة والتصوير" (٣).

إن الصورة البيانية وسيلة الأديب إلى إيقاظ الشعور وبعث الانفعال وإحياء الوجدان وتشكيل التجربة الذي من شأن ذلك كله أن يضع المعنى ضمن تجربة تنقله من الجمود إلى الحيوية، ومن النمطية إلى الفاعلية ومن الفكرة إلى المبدأ والقيمة والموقف، لذا ينبغي التعامل مع الصورة في بناء النص وفق التحامها اللغوي والموضوعي والفكري والشعوري، بكمال انسجامها وتناسقها وتماسكها.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٣.

(٢) التصوير الفني للصباغ، ص ١٦١.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٠٢ - ٢١٥.

وإذا تتبعنا فعل الرؤية البصرية ومشتقاته التي ورد فيها نجد أن هذا الفعل قد أعطى صورة دقيقة في وصف الألوان والحركات وإثارتها ورسمها بطريقة ابداعية راقية، حيث وصف وجوه أول زمرة تدخل الجنة كأنها البدر المكتمل ليلة أربعة عشر، فقال: (١)

هَذَا وَأَوَّلُ زَمْرَةٍ فُوجِـهُوا وَهَمَّ كَالْبَدْرِ لَيْلِ السَّيْتِ بَعْدَ ثَمَانِ

وقد رسم صورة بصرية أخرى للزمرة الثانية وهي أضواء كوكب في الأفق يمكن للإنسان أن ينظر إليه ويتمتع بلذة النظر إليه، فقال: (٢)

وَالزَّمْرَةُ الْآخَرَى كَأضْوَاءِ كَوْكَبٍ فِي الْأَفْقِ تَنْظُرُهُ بِهِ الْعَيْنَانِ

ففي هذا المشهد التصويري تنفذ صورة الزمرة الثانية إلى القلب وتهزه وترققه، بعدما تتمتع العين وهي ناظرة لذلك المشهد الخلاب، وقد ورد فعل الرؤية لإضفاء معنى التجدد والاستمرارية والحيوية لتلك الرؤية الجميلة الوداعة.

أما في وصفه لمساكن الجنة ومنازلها فقد أورد صورة جميلة عن منازل الجنة وغرفاتها العالية وما فيها من أثاث فاخر وأوانٍ ذهبية فضية ناهيك عن الحدائق والبساتين، وبيّن أن أرض الجنة وحجارتها كلها من الجواهر واللؤلؤ، هذا بالنسبة للمتعم والملاذات المادية المحسوسة التي يمكن للإنسان أن يراها ببصره.

وفي وصفه لغرفات الجنة، فقال: (٣)

غُرَفَاتُهَا فِي الْجَوِّ يُنظَرُ بِظُئْهَا مِنْ ظَهْرِهَا وَالظَّهْرُ مِنْ بَطْنَانِ

وفي هذا المشهد يرسم صورة بصرية رائعة لما ورد عن الصادق المصدوق ﷺ فقال: "إن في الجنة غرفاً ترى ظهورها من بطونها، ويطونها من ظهورها، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: " لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام" (٤).

وتصديق ذلك من كتاب الله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّيْنَةً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠]، وقوله أيضاً: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥].

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٠.

(٤) رواه الترمذي ج ٣/٤٢٢، باب ما جاء في قول المعروف.

أما في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم، فأورد قولاً رائعاً: (١)

هذا وأعلاهم فناظر ربه في كل يوم وقته الطرفان

حيث ظهرت الصورة البصرية في حلةٍ بهيةٍ ورائعة، والتي أعطت حركةً متناسقةً لذلك المنظر المليء بالحركة والحيوية والنشاط، وفي وصفه لمُلك أهل الجنة وعظمتها، فقال:

فيرى بها أقصاه حقاً مثل رؤيته لأدناه القريب الداني

حيث أورد فعل الرؤية ومصدره ولهما إيقاعٌ خاص ومؤثر، استطاع أن يهز القلب البشري ويوقظه وهو يتأمل في ذلك الملك والنعيم الأبدي في الجنان.

وذلك تصديق لما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: " إن أدنى أهل الجنة منزلةً لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوةً وعشية " ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ** ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] (٢).

فإذا تتبعنا مشهد الرؤية في البيتين نجد أن فعل الرؤية والنظر قد أعطى معنىً رائعاً في الإثارة والتشويق لما أعده الله تعالى لعباده المكرمين في الجنة، وذلك تصديق لما جاء به خير البرية رسول الله ﷺ حيث قال: " إن أدنى أهل الجنة منزلةً يُنظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه... " (٣).

فأي إثارة وأي اشتياق لذاك الملك والنعيم، فالله تعالى سيجزي عباده أحسن الجزاء على أعمالهم في الدنيا بأن يدخلهم جنات عدن عالية جداً في مقام أمين ومنزلة كريمة تليق بعباد الله وصفوة خلقه.

وينطلق بنا الإمام ابن القيم في رسم الصورة البصرية في الجنة من خلال فهمه لحديث رسول الله ﷺ الذي رواه عن ربه تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " فاقروا ما شئتم ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخِيئَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [السجدة: ١٧] (٤).

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٤.

(٢) رواه الترمذي ٢٦٩/٤، باب ما جاء في صفة الجنة .

(٣) رواه أحمد في مسنده، ٢٤٠/٨ رقم الحديث: ٤٦٢٣

(٤) رواه البخاري ج ٣/١١٨٥.

وذلك كقوله رحمه الله: (١)

فيها الذي واللّه لا عين رأت كلا ولا سمعت به الأذنان

ونحن في هذا المشهد أمام صورة محسوسة نرى فيها بعين البصر ونتأمل ذلك النعيم الأبدى في الفردوس الأعلى، حيث كَوّن فعل الرؤية حركةً وصورةً دلاليةً لمشاهد الرؤية البصرية في إيقاع منسجم ومتناسق، فاتسمت هذه الصورة بمشاهد متلاحمة ومتمازجة غير منفصلة عن بعضها البعض لجميع تلك المشاهد التي تخطر على البشر والتي لم تخطر بعد، فإن الإنسان يعجز عن وصف ذلك النعيم مهما تأمل ونظر ببصره وبصيرته.

ولقد اعتنيتُ بالصورة البصرية وجمالها لما لها من أثر في النفس وتحريك للمشاعر والانفعال الوجداني، وكان المغزى من ذلك توضيح مشاهد نعيم الجنة وبيان أثرها وتذوقها الجمالي لزيادة الشحنة الإيمانية لدى المسلم والعمل على علو همة للتشمير للجنة والتجهيز لها، فالرسول الكريم يصف لنا الجنة وكأننا ننظر إليها رأي العين، فظهرت لطائف الوصف المرئي المشاهد ما عجز عن وصفه أساطين البيان، فأظهر لنا الجمال التعبيري الذي هز أبصارنا وأشغلها بالتطلع لما أعده الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين في الجنان، فاهتزت العواطف وتحركت الأحاسيس والمشاعر للوصول إلى دار الكرامة والنعيم المقيم.

وفي وصفه لخمار الحور العين ونصيفها في الجنة وحلها الشفافة والتي يرى مخ ساقها من ورائها، فلنتأمل تلك الصورة المشاهدة الحية المثيرة للانتباه والنفس، فيقول: (٢)

ونصيفُ إحداهن وهو خمارها ليست له الدنيا من الأثمان
سبعون من حلٍ عليها لا تعو ق الطرفَ عن مخٍ ورا السيقان
لكن تراه من ورا ذا كلِّه مثل الشراب لدى زجاج أوان

لقد استطاع أن يرسم لنا صورة الحور العين كأنها أمامنا في هذه اللحظة، ونحن نمعن النظر إليها، تارةً لنصيفها وهو على شعرها الفاحم المسدل على كتفيها، وتارةً لسيقانها المركبة من اللؤلؤ والمرجان وما ترتديه من حلٍ بهية وهي تختال في جنات الرضوان.

ويقول الصباغ في هذا المشهد: " لقد جاءت الصورة المرئية من خلال التشبيه والوصف، فجوهم تشع بالنور والضياء، حيث وصف الزوجة في الجنة بالشفافية التي تجعل مخ سوقها يبدو من وراء اللحم، إنه شيءٌ عجيب حقاً" (٣).

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٦.

(٣) التصوير الفني للصباغ، ص ١٦٧.

وفي مشهدٍ مشابهٍ يقول ابن القيم أيضاً: (١)

أقدامها من فضة قد ركبت من فوقها ساقان ملتفان
والساقُ مثل العاج ملموم يُرى مَخُّ العظام وراءه بعيان
والريحُ مسكٌ والجسوم نواعمٌ واللون كالياقوت والمرجان

حيث ظهرت صورة مثيرة مليئة بالحيوية والنشاط، فقد ظهرت ألوان تلك الصورة وهي في غاية البياض والصفاء، كالياقوت والمرجان، فلها أجمل السيقان الناعمة التي لا يرى بها تشقق ولا خشونة ولا بيوسة.

وفي وصفه لأعضائها وأطرافها وحسنها، فيقول رحمه الله تعالى: (٢)

والمعصمان فإن تشأ شبههما بسبيكتين عليهما كفان
كالزبد ليناً في نعومة ملمسٍ أصداف درّ دورت بـوزان
والصدر متسعٌ على بطن لها حفت به خصران ذات ثمان
وعليه أحسنُ سرّة هي مجمع الـ خصرين قد غارت من الأعمان

إنها صورة تشبيهية حسية مرئية مليئة بتمام اللذة والجمال، فانظر إلى جمال المعصمين والصدر والسرّة والخصر، وألوان تلك الأعضاء التي يعجز العقل البشري أن يستحضر عظمتها وجمالها وبهائها.

ويقول الصباغ: " إن النعيم الذي أعده الله لأهل الجنة لا يمكن أن يوصف، لأن مصادر المعرفة البشرية هي الرؤية والسمع والتفكير والخيال، ولأن في الجنة أمور لا تقع تحت وسيلة من تلك الوسائل" (٣).

وفي وصفه لعرائس الجنة وحسنهن وجمالهن ولذة اللقاء بهن ووصالهن، فيورد بياناً في قمة الروعة، فقال: (٤)

ورأوا على بُعدٍ خياماً مشرفاً تـ مشرقاتِ النور والبرهان
فتيمّموا تلك الخيام فأنسوا فيهن أقماراً بلا نقصان

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨١.

(٣) التصوير الفني للصباغ، ص ١٥٨.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٨.

من قاصراتِ الطرف لا تبغى سوى محبوبها من سائر الشبان
 قصرت عليه طرفها من حسنه فالطرف في ذا الوجه للنسوان
 أو أنها قصرت عليه طرفه من حسنها فالطرف للذكران

فانظر إلى تلك المقطوعة الفنية الرائعة، وكيفية ورود مشهد الرؤية المثير للنفس حال وصول الأزواج إلى خيام زوجاتهم، مع انبثاق النور المشرق من وجوههم وكأنهم أقمارٌ في ليلة البدر، فإن تلك القاصرات لا ينظرن لغير أزواجهن لأنهن عفيفات طاهرات، فطرفها ونظرها مُصان لزوجها لا لغيره، وقد وردت الصورة البصرية في تمام الروعة من خلال التصوير الفني البديعي للمطابقة والمقابلة بين طرف الرجل لزوجته وطرفها له وحسنه لها وحسنها له.

ويقول سيد قطب: " فهن عفيفات النظر والملمس، لا يمددن بأبصارهن، ولم يمسهن إنسٌ ولا جان، وليس هذا وحده، فهن نضرات لامعات ثمينات كأنهن الياقوت والمرجان" (١).

ويكمل وصفه لمشاهد الرؤية البصرية فيقول: (٢)

حتى يحار الطرف في الحسن الذي قد ألبست فالطرف كالحيران
 ويقول لما أن يشاهدَ حسنها سبحان معطي الحسن والإحسان
 والطرف يشرب من كؤوس جمالها فتراه مثل الشارب النشوان
 كملت خلقتها وأكمل حسنها كالبدر ليل الست بعد ثمان
 والشمس تجري في محاسن وجهها والليل تحت نوائب الأغصان
 فتراه يعجب وهو موضع ذاك من ليلٍ وشمسٍ كيف يجتمعان

لقد ظهرت ملامح التصوير البصري في مشاهد الجنة جلية، وخاصة مشاهد الحور العين مع أزواجهم حيث ورد تجسيم النعيم تجسيماً مادياً ملموساً، وكأنك تلمسه بأصابعك وتحسه بنفسك، وأنت مشتاق لذلك الحزن الدافئ فيتحول المشهد إلى قطعة مصورة من الجمال الذي لا يوصف، ومن هذه المقاطع الجمالية المصورة أيضاً مقطع أهل الجنة وهم يتلذذون بالنظر لأزواجهن الرائعات وحسنهن الخلاب، فجعل من هذه الصورة مشهداً حياً تشناق إليه النفوس في كل لحظة، وخاصة حين يستقرون على سررهم التي نُسجت أطرافها بالذهب نسجاً بديعياً يشرح الصدر، فأبي صورة

(١) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، ص ٢٥١.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٠.

تحجب نور الشمس والقمر أمام ذاك الوجه الناعم المكون جزاءً لهم بما كانوا يعملونه في الدنيا من أعمال صالحة، فأبي نعيم مقيم بعد هذا النعيم.

ويقول **الصباغ**: " وتأتي أفعال الرؤية بصيغة المضارع للمبالغة في إضفاء الواقعية حتى تبدو أحداثها وكأنها تجري الآن" (١).

فكانت القصيدة كالعقد المنظوم من الدرر الفريدة وحببات اللؤلؤ، كيف لا وهي تصف ما في الجنان من كرامات لم تخطر على قلب البشر، فجاءت تلك المشاهد الممتلئة بالحركة والحيوية والمتفاعلة مع الحاضر والمستقبل.

وفي وصفه لصورة الأزواج أيضاً، فيقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (٢)

وكلاهما مـرآة صاحبه إذا	ما شاء يبصر وجهه يريان
فيرى محاسن وجهه في وجهها	وترى محاسنها به بعيان
حمر الخدود تغورهن لآلى	سود العيون فواتر الأجفان
والبرق يبدو حين يبسم ثغرها	فيضيء سقف القصر بالجدران

فالرجل ينظر بعينه في وجه زوجته، فهي مرآته إذا ما شاء أن يرى وجهه في وجهها رآه، فهو يرى محاسن وجهه في وجهها، فيرى حمرة الخدود، والتي هي أصفى من لون الورود، وينظر إلى ثغرها حين تبسم كأنها لؤلؤ منضود يسطع منه البرق فيضيء جوانب القصر وسقفه، فأبي حركة دائبة مثيرة لتلك الرؤية المتناسقة.

وفي رسمه لصورة أهل الجنة وهم ينظرون إلى وجه ربهم الكريم، فإنه يقول: (٣)

ويرونه سبحانه من فوقهم	نظر العيان كما يرى القمران
------------------------	----------------------------

فالمؤمنون في الجنة يرون ربهم سبحانه من فوقهم رؤية حقيقية بأبصارهم كما يرى الشمس والقمر.

ثم ينتقل بنا لوصف لحظة خروج الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين وسلامه عليهم، فيقول: (٤)

بينما هم في عيشتهم وسرورهم	ونعيمهم في لذة وتهاني
----------------------------	-----------------------

(١) التصوير الفني للصباغ، ص ٢٠٤.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨١.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨٨.

وإذا بنور ساطعٍ قد أشرفت
رفعوا إليه رؤوسهم فرأوه نو
وإذا بربهم تعالي فوقفهم
قال: السلام عليكم فيرونه
منه الجنان قصيها والبداني
ر الرب لا يخفى على إنسان
قد جاء للتسليم بالاحسان
جهرأ تراه منهم العيان

حيث رسم صورة مرئية لحديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه والذي قال فيه: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربعة عشر فقال: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا" ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠] (١).

ويشير أيضاً إلى قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، ويبين أن صلاة الفجر والعصر من أعظم العبادات التي تكون سبباً لرؤية الله تعالى في الجنة، وأن الجنة لا قيمة لها دون لذة النظر إلى وجه الله الكريم، لأنه أعلى النعيم في الجنة، وأن أشد العذاب على أهل النار احتجاب الله عليهم، فنقطع قلوبهم من الحرمان، ويمكثوا في آلامهم وحسراتهم مدي الأزمان، فلننظر جميعاً إلى تلك الصورة البهية المشرقة من الجنان حين يخرج الكريم المنان علينا فنرفع رؤوسنا ناظرين متمتعين نسلّم على ربنا ونصافحه في جنة عرضها السموات والأرض.

ويقول الصباغ: "وقد يأتي المشهد الحي مستكماً لجميع عناصر الحيوية، فصورة الحوار مثيرة، والمفاجآت الضخمة والتشبيهات الرائعة، فرؤية الله مشابهة لرؤيتنا القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب في الوضوح وزوال المشقة" (٢).

وقوله في رؤية وجه الله عز وجل: (٣)

شوقاً إليه ولذة النظر التي
تلتذ بالنظر الذي فازت به
والله ما في هذه الدنيا ألد
وكذاك رؤية وجهه سبحانه
بجلال وجه الرب ذي السلطان
دون الجوارح هذه العينان
من اشتياق العبد للرحمن
هي أكمل اللذات للإنسان

(١) رواه البخاري ٢٠٩/١، ورواه مسلم ج ٤٣٩/١.

(٢) التصوير الفني للصباغ، ص ٢١٩.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٠.

حيث تمثلت الصورة البصرية المرئية دون غيرها من الحواس، وهذا من تمام اللذة والنعيم، فلا شيء أذ للقلب ولا أبهج للنفس من لذة النظر لوجه الله الكريم.

ويقول سيد قطب: " لقد سار تصوير المشهد على نسقٍ خاص، حيث جاءت الرؤية وكأنها حاضرة الآن، وقد رأينا صورة النعيم ترتسم على الوجوه وتبدو في القسمات، تلك وجوه أهل النعيم"^(١).

وقوله كذلك:^(٢)

وَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ نَسُوا الَّذِي
فَإِذَا تَوَارَى عَنْهُمْ عَادُوا إِلَى
فَلَهُمْ نَعِيمٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ سَوِيٌّ
هَمٌّ فِيهِ مِمَّا نَالَتِ الْعَيْنَانِ
لذَاتَهُمْ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ
هَذَا النِّعِيمِ فَحَبِذَا الْأَمْرَانِ

حيث رسم صورة بصرية في قمة الإبداع من خلال فعل الرؤية واشتقاقه، فالله يتجلى بوجهه الكريم لعباده المؤمنين في الجنة، فإذا رآه بأعينهم نسوا ما هم فيه من النعيم، ووجهوا أبصارهم نحوه متمتعين مستأنسين بلذة النظر لوجهه الكريم، ونعيم الرؤية هو أجل النعيم وأشرفه.

وهناك نعيم غير مادي يحسه الإنسان بجوارحه وقلبه، يتمثل بالسعادة والهناء والسرور الذي يشعر به أهل الجنة نتيجة تمتعهم بنعيمها وملذاتها ومتعة الفوز بالجنة ولذة النظر لوجه العزيز الجبار، والراحة من الدنيا وأوصابها ومشاكلها بالاستقرار في الجنة ومتعة الأمن والسلام من الخوف والفرحة بالنجاة من النار ودخول الجنة، وهناك نعمة لا تعادلها نعمة وفضل عظيم هو رضا الله سبحانه ورضوانه عن عباده من الصالحين المتقين الذين يدخلهم جنته.

وقوله أيضاً:^(٣)

وَاللَّهُ لَوْلَا رُؤْيَا الرَّحْمَنِ فِي الْـ
أَعْلَى النِّعِيمِ نَعِيمٌ رُؤْيَا وَجْهِهِ
جَنَاتٍ مَا طَابَتْ لَذِي الْعُرْفَانِ
وَخَطَابِهِ فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ

يقول الهراس في هذا المشهد: " ففي يوم القيامة ينلذذ المؤمن بالنظر إلى وجه الله الكريم الذي هو حظ العين من دون الجوارح ، والحقيقة أنه ليس في الآخرة لذة تعدل لذة النظر إلى وجهه

(١) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، ص ٨٠.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٩.

سبحانه وتعالى، وقد أضاف الرؤية إلى الوجه الذي هو محل الرؤية، إذ هو مشتمل على العينين اللتين تقع بهما، مما ينفي كل توهم ويزيل كل لبس^(١).
وفي قوله أيضاً:^(٢)

فَيَرَوْنَ رَبَّهُمْ تَعَالَى جَهْرَةً نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ

إنها صورة تحفز الإنسان أن يسأل ربه لذة النظر إلى وجهه والشوق إلى لقائه، فإن هذه الرؤية من أكمل اللذات لك يا أيها المؤمن الكريم على الله تعالى.
وقوله في مشهدٍ مشابهٍ أيضاً:^(٣)

إِنَّ الْعِبَادَ يَرَوْنَهُ سَبْحَانَهُ رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ

ويورد الصباغ قوله في هذا المشهد فيقول: " هنا تكون المفاجأة، فالذي يرونه في الجنة لم تره عين، فيكشف الله الحجاب فينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى فتصغر أمام هذه النعمة الجليلة الجديدة كل هاتيك النعم، وقد جاءت الصورة عن طريق الوصف^(٤).
وفي وصفه للأزواج وهم في الخيام المجوفة من اللؤلؤ، فيقول:^(٥)

لِلْعَبْدِ فِيهَا خِيْمَةٌ مِنْ لَوْلُؤٍ قَدْ جُوفَتْ هِيَ صِنْعَةَ الرَّحْمَنِ
سِتُونَ مِيلاً طَوْلُهَا فِي الْجَوْ فِي كُلِّ الزَّوَايَا أَجْمَلِ النَّسْوَانِ
يَغْشَى الْجَمِيعَ فَلَا يَشَاهِدُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَهَذَا لِاتِّسَاعِ مَكَانِ

يقول الصباغ: " إنها صورة في غاية الروعة، فيالله ما أوسعها، إنها خيمة ليست كالخيام، إنها لؤلؤة واحدة مجوفة، فلا يرى سكانها بعضهم بعضاً لتباعد ما بين أطرافها وسعتها العظيمة، ففي هذه الصورة لوحة فنية بيانية من خلال الكناية عن الثواب الكبير الذي أعده الله تبارك وتعالى للمؤمنين، ففي الجنة قصور وغرف وخيام، فما أجمل تلك الصورة^(٦).

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢/٤١٣-٤٢١.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٩.

(٤) التصوير الفني للصباغ، ص ١٦٥.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٠.

(٦) التصوير الفني للصباغ، ص ١٦٢.

وفي رسمه لمشهد الولدان المخلدون الذين يطوفون على أهل الجنة، فيقول: (١)

وتدور كاساتُ الرحيقِ عليهما بأكفِ أقمارٍ من الولدان

ويقول سيد قطب في هذا المشهد: " ثم نشاهد الغلمان المخلدين، فلا يفعل فيهم الزمن ولا تؤثر فيهم السن، وهم في نضارة وبهجة إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً، ثم يمتد بنا السياق بأبصارنا إلى المشهد كله، وإلى ما وراء تلك الجزئيات، فإلى هنالك حيثما اتجه النظر نعيم عظيم وملك كبير" (٢).

أما في وصفه الرائع في مقابلة الحوراء لنور الشمس والقمر، وطمس نورها لهما، فيقول: (٣)

ما في الخيام سوى التي لو قابلت للنيرين لقلت منكسفان

خيراتُ أخلاقٍ حسانٍ أوجهاً فالحسنُ والإحسان متفقان

لقد رسم صورة جليةً مشاهدَةً في تمام الروعة والبيان حين تقابل الحور العين زوجها في الجنان وما تحدثه من كسوف لنور الشمس والقمر.

وفي رسم مشاهد الحلي والأساور ولباس الحرير، فيقول: (٤)

والحليُّ أصفى لؤلؤٍ وزبرجدٍ وكذلك أسورةٌ من العقيان

حيث يقول سيد قطب في رسم صورة هذا المشهد: " لقد تكشف المشهد عن نعيم مادي ملموس، ونعيم نفسي محسوس، فهم يُحلّون فيها من أساورٍ من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباس الحرير، وهذا بعض المتاع المادي الذي يلبي رغبة الترف في كثير من النفوس وبجانبه ذلك الرضا والأمن والاطمئنان، فاجتمع لهم في هذا الجو جميع اليسر والراحة والنعيم" (٥).

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٨٤.

(٢) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، ص ٢٥٥.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧٧.

(٥) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، ص ١١٧.

المبحث الثاني الصورة السمعية وأثرها في بناء النص

وهي الصورة التي سنقدم من خلالها ما أخبرنا به الصادق المصدوق ﷺ، وذلك مما سمعه من كلام ربه تبارك وتعالى من القرآن الكريم وما أخبره به جبريل عليه السلام.

أثر الصورة الذهنية في تشكيل الصورة السمعية:

إنّ الصورة المتخيلة أو المتصورة تحاكي صورة الأشياء في الوجود والتصور أو التخيل لتكوين الصورة، لذلك لا بد أن يُعتمد الفكر شرطاً لتحقيق هذا الوجود، وهكذا فإن الصورة الفنية لا بد أن تمر بثلاثة مراحل هي:

أولاً: الصورة : هي الأصل المنظور أو المتخيل من عناصر لها أصل في الحقيقة.

ثانياً: التصور: وهو عمل ذهني يقوم الشاعر من خلاله بجمع عناصر الصورة مطابقة لرؤية بصرية سابقة، أو لرؤى من خياله و فكره قد تستند إلى عناصر الواقع، أو تبدع عالماً يشبه الواقع حتى نستطيع إدراكه.

ثالثاً: التصوير: وهو النتيجة المتحصلة من المرحلتين السابقتين يبرزها الشاعر للوجود بواسطة اللغة الشعرية المعبرة.

وفي تفسير تلك الصورة الذهنية، يقول **حازم القرطاجني:** " إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذهن، فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق ما أدرك منه، فإذا عبّر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك، أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم، فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ"^(١).

ويقول **سيد قطب:** " يكون التصوير باللون وتصوير بالحركة وتصوير بالتخييل وتصوير بالنغمة والوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور تتملأها العين والأذن والحس والخيال والوجدان"^(٢).

ونظير هذا القول ما أورده ابن القيم في صفة الجنة التي أعدها الله ذو الفضل والمنّة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة:^(٣)

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق محمد بن الحبيب الخوجة، مطبعة دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٦٦م، ص ١٨-١٩.

(٢) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص ٣٧.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

فاسمع إذاً أوصافها وصفات ها
 تيك المنازل ربة الإحسان
 هي جنة طابت وطاب نعيمها
 فنعيمها باقٍ وليس بفان
 دار السلام وجنة المأوى ومن
 زلُ عسكر الإيمان والقرآن
 فالدار دار سلامةٍ وخطابهم
 فيها سلامٌ واسم ذي الغفران

فاعلم أنها جنة طيبة قد تمحض طيبها، فلا يلحقها خبث ولا أذى، وطاب نعيمها فهو باقٍ لا يبيد ولا يفنى، وهو صافٍ من كل شوب فلا يمازجه كدرٌ ولا يعرض له عطب ولا عفن، ولا تبلى جدته ولا تندبل نضارته.

ولأن الجنة طيبة كانت دار الطيبين، فلا يدخلها إلا من صلح وطاب، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

وقد رسم لنا صورة سمعية في قمة الروعة والبيان، وذلك من خلال ما أخبرنا به رسولنا الكريم ﷺ في عدد درجات الجنة وأبوابها ومقدار المسافة بين مصراعيها ومفاتيحها ومنشور الجنة الذي يوقعه رب العالمين لأهل الجنان، وصفوف أهل الجنة ومنازلهم وآخر من يدخلها من المؤمنين وما يعطيه رب العالمين لعباده المؤمنين، وسنّ أهل الجنة وريح الجنة ومسيرها وأسبق الناس دخولاً لها من الفقراء والمساكين ومراتب الأنبياء وأسبق أهل الجنة من باقي الخلق المكرمين، وفي سماع واهتزاز أغصانها وريحها، ولذاذة ذلك السماع الذي فاق سماع النغمات والأوزان، وسماع أصوات الحور العين وهنّ يغنينّ لأزواجهنّ ويتحببنّ لهم بأحلى الكلام قائلات: نحن النواجم والخوالد كاملات الحسن والإحسان وكلام تلك الأزواج الذي يسبي العقول وتحببهن وتغنجن وحسن تبطنهن وملاحظتهن، وفي تكليم رب العالمين لعباده في الجنان وسماع صوته ولذيد خطابه وهو يتلو الفرقان عليهم، ورد السلام عليهم، وسماع منادي الإيمان وهو ينادي على أهل الجنة بأن لهم حياة سرمدية بلا موت وعافية دون سقم ونعيم ما به بؤس ولا شقاء، وشباب ما به هرم وإخبارهم بموعد اللقاء مع ملك الملوك جل في علاه، وإحلال رضوانه ورحمته على عباده المكرمين، وفي يوم المزيد وما أعدّه الله تبارك وتعالى لأهل الجنة من تلك الكرامات والهدايا والقربات، وسماع خبر ذبح الموت بين الجنة والنار، وتسبيح العباد لربهم تبارك وتعالى وأن هذا التسبيح والذكر يأتي شفيحاً لأصحابه لمن كان ملفوفاً في أكفانه داخل القبر، وإخباره أن الجنة قيعان وأن غراسها هو التسبيح والتحميد والتكبير والاستغفار إلى غير ذلك من اللذات والنعماء الكريمة.

ففي ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم، يقول رحمه الله: (١)

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٤.

أو ما سمعت بأن آخر أهلها يعطيه ربُّ العرش ذو الغفران
أضعاف دنيانا جميعاً عشر أمثال لها سبحان ذي الإحسان

حيث وردت الصورة السمعية من خلال ما أخبرنا به رسولنا الكريم ﷺ أن موسى عليه السلام سأل ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له ادخل الجنة، فيقول رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول رضىتُ رب، فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضىت رب، قال رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين غرستُ كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر. وكقوله أيضاً: (١)

فيها الذي والله لا عين رأت ولا سمعت به الأذنان

ونلتقي في هذا البيت مع الشطر الثاني والذي يختص بالصورة السمعية، فالله تبارك وتعالى أعد لعباده المؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من ذاك النعيم، فضلاً عن ذلك فإن هناك نعيماً غير مادي، يحسّه الإنسان بجوارحه وقلبه، يتمثل بالسعادة والهناء والسرور الذي يشعر به أهل الجنة نتيجة تمتعهم بنعيمها وملاذاتها ومتعة الفوز بالجنة، والراحة من الدنيا وأوصابها ومشاكلها بالاستقرار في الجنة ومتعة الأمن والسلام من الخوف والفرحة بالنجاة من النار ودخول الجنة وهناك نعمة لا تعادلها نعمة وفضل عظيم هو رضا الله سبحانه ورضوانه عن عباده من الصالحين المتقين الذين يدخلهم جنته.

" وهذا التصوير الحيّ منتزع من عالم الأحياء، ليس مجرد ألوان مجردة أو خطوط جامدة أو مقاييس وأبعاد، بل تصوير بالإحساس والوجدان" (٢).
وفي ذكره لسن أهل الجنة، فقال: (٣)

هذا وسنهم ثلاث مع ثلاثا
وصغيرهم وكبيرهم في ذا على
ثين التي هي قوة الشبان
حدٍ سواء ما سوى الولدان

" فإن أهل الجنة جميعاً على تفاوت أسنانهم في الدنيا يكونون على هذه السن الواحدة التي هي وقت اكتمال الشباب وعنفوانه وهي ثلاث وثلاثون سنة، ولا يستثنى من ذلك إلا الولدان الذين

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٩.

(٢) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص ٣٧-٣٨.

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٤.

هم خدم الجنة، وهذا ما أورده الصادق المصدوق مما سمعه من أمين السماء جبريل عليه السلام أن أهل الجنة يبعثون على صورة آدم في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرداً مرداً مكحلين ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم" (١).

وفي رسمه للصورة السمعية لأسبق الناس دخولاً للجنة، فقال: (٢)

هذا وأولهم دخولاً خيرُ خلق
والأنبياء على مراتبهم من التـ
ق الله من قد خصّ بالقرآن
فضيل تلك مواهب المنان
هذا وأمة أحمد سُبَّاق با
قي الخلق عند دخولهم بجنان

يقول الهراس: " فالنبي ﷺ أول من يقرع باب الجنة، فهو أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وهو خطيبهم إذا أنصتوا، وقائدهم إذا وفدوا وشافعهم إذا حبسوا، ومبشرهم إذا أيسوا، فإن لواء الحمد بيده ومفاتيح الجنة يومئذ بيده، وهو أكرم ولد آدم على ربه ولا فخر" (٣).

والأنبياء بعد ذلك على درجاتهم في الفضل عند الله، وتصديق ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَأَيُّنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥]، ثم أمة محمد المكرمة، فهم الآخرون في الخلق والسابقون لدخول الجنة.

أما في هذه الصورة، فيرسم مشهداً فنياً رائعاً حين يعلو صوت منادي الإيمان وهو يخبرنا عن دوام صحة أهل الجنة ونعيمهم وشبابهم واستحالة موتهم ونومهم، فقال: (٤)

أو ما سمعت منادي الإيمان يخـ
لكم حياة ما بها موتٌ وعا
بر عن مناديتهم بحسن بيان
فيه بلا سقمٍ ولا أحزان
ولكم نعيمٌ ما به بوؤسٍ وما
لشبابكم هرمٌ مدى الأزمان

" ففي هذا المشهد تتكشف آفاق وراء آفاق من التناسق والاتساق، فمن نظم صحيح إلى سرد عذب مترابط، إلى نسق متسلسل، إلى تعبير مصور، إلى تصوير مشخص، إلى تخيل مجسم، إلى موسيقى منغمة، إلى اتساق في الأجزاء وتناسق في الموسيقى، فيتم الإبداع" (٥).

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢/٣٤٩.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٦٦.

(٣) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢/٣٥٤.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٤.

(٥) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص ١٢٤.

وقد أورد الصورة السمعية ومنادي الإيمان ينادي بصوتٍ تسمعه الخلائق جميعاً، ثم رد السلام من الملك الجبار جل في علاه ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

أما في وصفه سماع أهل الجنة، فقال: (١)

قال ابن عباسٍ ويرسل ربنا ريحاً تهزُّ ذوائبَ الأغصان
فتثير أصواتاً تلذ لمسمع الـ إنسان كالنغمات بالأوزان
يا لذة الأسماع لا تتعوضي بلذذة الأوتار والعيودان

إن أهل الجنة حين يشتهون السماع ويذكرون لهو الدنيا وهم تحت شجرة طوبى يرسل الله إليهم ريحاً تهز أفران الشجرة فتنتلق منها أنغام وأصوات هي ألد في السمع من كل أنغام الدنيا وألحانها.

وكقوله أيضاً: (٢)

أو ما سمعت سماعهم فيها غنا ء الحور بالأصوات والألحان

ويقول ابن عيسى: " إن أهل الجنة في روضة يُحبرون، والحبرة هي اللذة والسماع، فلذة الأذن بالسماع من الحبرة والنعم " (٣).

فالحور العين يغنين في كل صباح بأعذب الألحان، حيث إنهن يجتمعن في الجنة فيرفعن أصواتهن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها.

ويصف ابن القيم مشهداً سماعياً في قمة الروعة، فيقول: (٤)

وهاً لذياك السماع فإنه مُئت به الأذنان بالإحسان
وهاً لذياك السماع وطيبه من مثل أقمارٍ على أغصان
وهاً لذياك السماع فكم به للقلب من طربٍ ومن أشجان
وهاً لذياك السماع ولم أقل ذياك تصغيراً له بلسان

ويقول الهراس في هذا المشهد: " فوا لهفتا على ذلك السماع التي تمتلئ منه الآذان لذةً

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٣.

(٣) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج ٢/٥١٨.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٣.

ونشوة، ووا لهفتا لذلك السماع وطيبه حين تتطلق به حناجر الحور الحريرية الناعمة وتتمايل عنده رؤوسهن كأنها أقمارٌ على أغصان، ووا لهفتا لذلك السماع الذي ملأ القلوب طرباً وشجناً، ولم أقل بذيالك بصيغة التصغير تحقيراً له وتهويناً من شأنه، فما ظنك بأطيب صوتٍ في أعذب لحنٍ يخرج من أجمل امرأة، لا شك أنه قد اجتمعت له كل عناصر اللذة والإمتاع^(١).

ويقول في حديث الحور العين لأزواجهن، ويقول:^(٢)

نحن النواعم والخوالد خيرًا ت كاملات الحسن والإحسان

لسنا نموت ولا نخاف وما لنا سخط ولا ضغف من الأضغان

حيث إن الحور العين يغنين أزواجهن بأحلى الكلام وطيبه، فيقلن: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الأمئات فلا نخاف، ونحن المقيمات فلا نظعن، وقد جاءت الصورة السمعية لهذا المشهد واصفة لأصوات تلك الأوانس الجميلات وسماع أهل الجنة لغنائهن.

وقوله في إخبار ذلك المنادي وهو ينادي على أهل الجنة ويبشرهم بوعد الله لهم وإنجازهِ لذلك الوعد:^(٣)

أَوْ مَا سَمِعْتَ مَنَادِي الْإِيمَانِ يَخُ بَرَّ عَنِ مَنَادِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ

يَا أَهْلَهَا لَكُمْ لَدَى الرَّحْمَنِ وَعَد دٌ وَهُوَ مَنجَزُهُ لَكُمْ بِضَمَانِ

قَالُوا أَمَا بَيِّضْتَ أَوْجَهَنَا كَذَا أَعْمَالَنَا أَثْقَلْتَ فِي الْمِيزَانِ

وَكَذَاكَ قَدْ أَدْخَلْتَنَا الْجَنَاتِ حَيْ مِنْ أَجْرْتَنَا مِنْ مَدْخَلِ النَّيْرَانِ

فَيَقُولُ عِنْدِي مَوْعِدٌ قَدْ آَنَّ أَنْ أَعْطَيْكُمْـوَهُ بِرَحْمَتِي وَحَنَانِي

لقد رسم لنا صورةً سمعية في أبهى حللها، حيث أخبر عن سماع صوت ذلك المنادي في جنات النعيم وهو ينادي على أهل الجنان بصوت تسمعه جميع الخلائق، فيقول: يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحيّ على زيارته، فيقولون سمعاً وطاعة وينهضون إلى الزيارة مبادرين فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعداً وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحداً، أمر الله تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤٍ ومنابر من زبرجدٍ ومنابر من ذهبٍ ومنابر من فضةٍ وجلس أدناهم على كئبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢/٣٧٢.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٩.

استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادي: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار، فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرفت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني؟ فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي هذا يوم المزيد فاسألوني، فيجتمعون على كلمة واحدة أرنا وجهك ننظر إليه، فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم، فيغشاهم من نوره ما لو أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى أنه ليقول له يا فلان: أتذكر يوم فعلت كذا وكذا...؟ فما أجمل ذاك المشهد وأهل الجنة يتمتعون بلذة سماع رب العالمين ومحاضرتهم وحواره معهم، وإحلال رضوانه عليهم. وفي وصفه لتكليم رب العالمين لعباده في الجنة قبل كشف الحجاب، وتلاوة القرآن عليهم فيقول رحمه الله: (١)

ويسلم الرحمن جلّ جلاله حقاً عليهم وهو في القرآن
وكذاك يسمعهم لذيذ خطابهم سبحانه بتلاوة الفرقان

حيث يقول سيد قطب في هذا المشهد: "لقد جاءت صورة الجنة هادئة ساكنة، فلا فضول في الحديث ولا ضجة ولا جدال، وإنما يُسمع فيها صوت واحد يناسب هذا الجو الحالم الراضي هو صوت السلام" (٢).

فإنه تبارك وتعالى يخرج على عباده في الجنة ويسلم عليهم ثم يسمعهم لذيذ صوته بتلاوة القرآن، فما يسمع أهل الجنة أروع ولا أجمل من ذلك الصوت الذي تعلق به القلوب شوقاً وإجلالاً وحباً. "وقد أدى تصوير الجنة غرضاً بيانياً رائعاً، مما جعل السامع يتجاوب مع النص بطريقة رائعة" (٣). وفي وصفه لغراس الجنة وهو الكلم الطيب والعمل الصالح، فقال: (٤)

أو ما سمعت بأنها القيعانُ فاغـ رس ما تشاء بذا الزمان الفاني

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩١.

(٢) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، ص ١١٩.

(٣) التصوير الفني للصبغ، ص ١٤٨.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩٦.

وغيراسها التسبيح والتكبير والتـــ حميد والتوحيد للرحمن

حيث ظهرت الصورة السمعية من خلال حديث رسول الله ﷺ والذي قال فيه: " لقيتُ إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد: أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " (١).

ويقول الهراس: " إن أرض الجنة مستوية ليس فيها غراس، وأن الإنسان بسعيه وعمله في أيام عمره يغرس لنفسه ما يشاء من تسبيح وتهليل وذكر لله " (٢).

" لقد جاءت مشاهد القيامة وصور النعيم في منطقٍ يلمس الحسّ ويوقظ الخيال، فيلمس البصيرة ويوقظ الوجدان ويهيئ النفس للاقتناع والإذعان " (٣).

أما في رسمه لصورة من عشق سماع الأغاني في الدنيا، فقال: (٤)

نزه سماعك إن أردت سماع ذيـــــــاك الغنا عن هذه الألحان
لا تؤثر الأدنى على الأعلى فتحـــــــرم ذا وذا يا ذلة الحرمان
إن اختيارك للسمع النازل الـــــــأدنى على الأعلى من النقصان

فإن أردت أن تحظى بسماع ذلك الغناء فنزه سمعك عن هذه الألحان المدنسة المنطلقة بسعار الشهوة، ولا تؤثر هذا الأدنى الخسيس على الأعلى الشريف النفيس، فيكون مالك أن تحرمهما جميعاً، وما أقسى الحرمان وما أصعبه، وإن إيثارك هذا السماع الدنيء المنحط على السماع العلوي الكريم من أمارات نقصانك في عقلك وإيمانك، فكيف يؤثر عاقل لذة حقيرة تفوت وتذهب على لذة عالية تبقى وتخلد.

وقوله أيضاً: (٥)

والله إن سماعهم في القلب والـــــــإيمان مثل السم في الأبدان
والله ما انفك الذي هو دأبهـــــــأبداً من الإشراك بالرحمن

ويقول الهراس: " والله إن سماع هذه الألحان لأشد فتكاً بالقلب والإيمان من فتك السموم بالأبدان، وأن الذي يجعل هذا السماع ديدنه ويغرم به لا ينفك أبداً من الإشراك بالرحمن،

(١) رواه الترمذي، ج ٥/٣٨٧.

(٢) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢/٤٣٧.

(٣) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص ٢٣٠.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٣.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٧٣.

فإن القلب هو بيت الرب جل جلاله ووعاء محبته ومعرفته والإخلاص له^(١).

وقد جاءت الصورة الفنية السمعية حاضرة من خلال تشبيه تلك الأغاني وعملها في القلب كالسموم القاتلة التي تفتك بالإنسان.

وفي قوله أيضاً:^(٢)

فالقلب بيت الرب جل جلاله حباً وإخلاصاً مع الإحسان
فإذا تعلق بالسمع أصاره عبداً لكل فلانة وفلان

ويقول ابن عيسى: " لقد استزلهم الشيطان واستغوى عقولهم في حب الأغاني واللهو وسماع الطقطقة والتغبير، وأقل شيء في هذا الغناء أنه من شعار الفساق وشاربي الخمر، وقد اشتمل سماع الأغاني على كل مفسدة وكل محرّم"^(٣)، وقد تجلت لنا الصورة السمعية في أعلى مراتبها من خلال إبرازها عن طريق الصورة التشبيهية والاستعارة، والتي رسمت ذاك المشهد السمعي الرائع.

أما فيما أورده عن يوم المزيد وما أعده الله لعباده من الكرامات والهدايا، فيقول رحمه الله:^(٤)

أو ما سمعت بشأنهم يوم المزيد د وأنه شأن عظيم الشأن
هو يوم جمعنا ويوم زيارة الـ رحمن وقت صلاتنا وأذان

حيث أورد الصورة السمعية في هذا المشهد لتشويقنا وعلو همتنا للوصول لتلك الكرامة التي منّ الله على عباده، " فالله تعالى يسلمّ عليهم ويحاضرهم ويعاتبهم ويذكرهم بذنوبهم ويحلّ عليهم رضوانه ويمنحهم الهدايا والكرامات، فقَرَّ أعينهم بسماع صوته، فلم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن ولا أجمل من ذلك الصوت النديّ، ثم ينصرفون لرحالهم ناعمين قد قرّت أعينهم لمثل ذلك السماع من الغد"^(٥).

فالسابقون لأعمال الخير والبر في الدنيا هم الأولى في زيارة الرحمن وسماع صوته، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله سبحانه وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وحفّت تلك المنابر بمنابر من ذهبٍ مكلّلةً بالياقوت.

(١) شرح القصيدة النونية للهراس، ج ٢/٣٧٣.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٧٣.

(٣) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج ٢/٥٢٢-٥٢٤.

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص ٢٩١.

(٥) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ج ٢/٥٨٣، نقل بتصرف.

خاتمة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه الأطروحة هي دراسة بلاغية تحليلية وصفية لمستويات البلاغة وفنونها في نونية ابن القيم في وصف الجنة، والأداء البياني والبديعي والتصوير الخيالي وتضمنين القيمة الفنية والجمالية للصورة البصرية والسمعية والذهنية وموسيقى النص واللغة، والقيمة الفنية في عرض المعاني والأساليب، وقد اعتمدت في هذه الدراسة والتحليل على ذوقي الخاص أولاً، وما ثبت من أسس بلاغية في مجالاتها المتعددة، ومن خلال دراستي للقصيدة النونية توصلت لبعض النتائج والتوصيات منها:

١- لقد مثلت القصيدة النونية المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، نصاً بلاغياً أدبياً في غاية الروعة والجمال بمعنى الكلمة، حيث تعددت الإبداعات واللمسات البلاغية وتشكّلت في جميع جوانبها الثلاثة، وذلك في المعاني والبيان والبديع، بالإضافة إلى الصورة السمعية والبصرية والذهنية والنسق الموسيقي الذي أدته القصيدة بدرجة عالية وممتاهية في الدقة والروعة والبيان، وخاصة في وصف المشاهد الخلابة للجنة ونعيمها ولذة النظر لوجه الله الكريم في الفردوس الأعلى، وهذا ما يتمناه كلّ مسلم يحيا على هذه الأرض، فوردت تقنية اللمسات الجمالية والإبداعية في ذلك الوصف.

٢- لقد قام هذا البحث على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة تمثلت في:

- الإشارات البلاغية في وصف الجنة في علم المعاني مشتملة على عدة مباحث كالخبر والإنشاء والتقديم والتأخير والإيجاز والإطناب والمساواة، والوصل والفصل والقصر.

- ثم انتقلت للحديث عن الإشارات البلاغية في علم البيان من حيث دلالة الصور البيانية المتمثلة بالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز بالإضافة إلى مصادر التصوير البياني من القرآن والسنة النبوية المشرفة، وقد تبين لي أن الصور البيانية لها نصيب الأسد في تلك الدراسة لأن الإمام ابن القيم أبدع في الوصف البياني ورسم الصور الشاخصة المليئة بالحياة والنشاط.

- والانتقال بعد ذلك للإشارات البلاغية في علم البديع ودلالاته، والمتمثل في التجنيس بأنواعه والطباق والمقابلة وتأكيد المدح بما يشبه الذم ورد العجز للصدر والمشاكله وأسلوب الحكيم وغير ذلك من دلالات بديعية معنوية ولفظية.

- وكان الحديث في الفصل الرابع متعلقاً بحديث رسول الله ﷺ والذي رواه عن ربه تبارك وتعالى " أعددت لعبادي الصالحين في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على

قلب بشر"، حيث جلى هذا الفصل حقيقية الرؤية البصرية لأهل الجنان ولذة نعيمهم الذي لا ينقطع ولا يزول، بالإضافة للمشهد السمعي الرائع من غناء الحور العين لأزواجهن في الجنة ولذة سماع الأغاني ثم لذة سماع الملك الجبار جل في علاه وهو يخاطب عباده ويؤنسهم ويعاتبهم ويحلّ عليهم رضوانه، ثم لا يسخط عليهم أبداً.

– اهتم الباحث في هذه الدراسة البلاغية بوصف الجمال الحسى والمعنوي لجميع لذات النعيم، من خلال الوصف الدقيق والتحليل والاستنباط لعذوبة اللفظ ورشاقة المعنى والتناغم الموسيقي المتعدد والنظرات الجمالية المؤثرة في الإحساس الصادق لمن أراد أن يكون من أهل الفردوس الأعلى من المؤمنين بموعود الله يوم القيامة.

– لقد أظهر البحث جمالية وصف الجنة والإحساس بها، من خلال تقديم لغة راقية فاقت الفنون والظنون، لأنها نابعة من قلب صادق يغار على الدين ويذود عن حوض الاسلام بكل ما أوتي من قوة.

– لقد قام هذا البحث على أساس عملية الوصف والذي من خلاله تم تقديم أجمل صورة لذاك المكان الذي لم يطؤه أحدٌ بعد، حيث ظهرت الملامح الخارجية والداخلية المتناغمة لذاك المكان وأهله، وظهرت حقيقة العلاقة بين الإنسان وذاك المكان بألوانه وظلاله ومشاهده من خلال الوصف واللغة الإبداعية المتناثرة في أرجاء النص، ولذلك فإني أنصح طلاب العلم والبلاغة أن يهتموا بدراسات ابن القيم وخاصة ما أورده في قصائده لوصف الجنة، لأن كل إنسان يسعى جاهداً للوصول لذاك المكان المطهر.

وقد ذيلت هذه الدراسة بملحق القصيدة الكافية الشافية المختصة بوصف الجنة، والتي قام بتحقيقها الدكتور محمد العريفي، وناصر الحنيني، وعبد الله الهذيل، وفهد المساعد، وذلك تحت إشراف بكر أبو زيد، وقد شملت الدراسة في هذه القصيدة الأبيات من (٤٩٣١ - ٥٦٤٣)، والتي بدأت بفصلٍ فيما أعد الله تعالى في الجنة لأولياته المتمسكين بالكتاب والسنة، وختمت الدراسة بفصلٍ في إقامة المآتم على المتخلفين عن رفقة السابقين.

وخلصت في خاتمة البحث إلى أن القصيدة النونية عند ابن القيم قد سارت وفق أداء بلاغي راقٍ وعالٍ جداً ذات مستوى أسلوبى وبياني وأدبي وجمالي مؤثر، وقد عكست القصيدة النونية مدى صدق هذا العالم الرياني وعمق صورة شخصيته العقائدية والفكرية والنفسية والعاطفية، والحقيقة أن هذه الدراسة توصي بتعميق البحث البلاغي بجميع مستوياته في نتاج ابن القيم الأدبي والبلاغي والفني والجمالي، وبعد فإله أسأل السداد والتوفيق، وهو من وراء القصد.

فهرس المصادر والمراجع

• القرآن الكريم.

- ١- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.
- ٢- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، (٤٧١هـ)، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، ١٩٩١ م.
- ٣- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي الزركلي، (١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١، ٢٠٠٢ م.
- ٤- أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني، (١١٢٠هـ)، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٨ هـ، ١٩٦٨ م.
- ٥- البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.
- ٦- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، (١٢٥٠هـ) وضع الحواشي خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٧- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية.
- ٨- البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م.
- ٩- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري، (٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٠- التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٨ م.
- ١١- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية السادسة عشر، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م.
- ١٢- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.

- ١٣- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي
الدمشقي، (٧٠٠-٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢،
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- ١٤- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري
الخرجي شمس الدين القرطبي، (٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار
الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- ١٥- تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، (٤٠٤هـ)، تحقيق: علي محمود مقلد،
دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٤ .
- ١٦- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم ابن
عيسى، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٤هـ .
- ١٧- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار
ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ١٨- الجامع الكبير- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد
معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م .
- ١٩- الجمان في تشبيهات القرآن، عبد الله بن الحسين بن نايقا، (٤٨٥هـ) تحقيق وضبط ومراجعة:
محمد حسن الشيباني، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .
- ٢٠- الجنة في القرآن الكريم، أوصافها. أهلها. نعيمها، سليمان حسن رطروط، مكتبة المنار،
الأردن، الزرقاء، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م .
- ٢١- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د.
يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت .
- ٢٢- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، المجلد
الأول، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٨هـ .
- ٢٣- خلاصة المعاني، للحسن بن عثمان بن الحسين المفتي، (١٠٥٩هـ) تحقيق: د. عبد القادر
حسين، الناشر: العرب، الرياض .
- ٢٤- الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، تحقيق: أحمد بن محمد آل نبعة، جمعية إحياء التراث
الإسلامي، ط٤، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م .

- ٢٥- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (٨٥٢هـ) تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، دائرة المعارف العثمانية.
- ٢٦- دلائل الإعجاز، الإمام الشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، (٤٧١هـ) قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
- ٢٧- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الريان، ط٣، الجزء الأول، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
- ٢٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، (١٠٨٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٩- شرح القصيدة النونية، د. محمد خليل هراس (١٣٩٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.
- ٣٠- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، الحافظ جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، وبهامشه حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للشيخ أحمد الدمنهوري، دار الفكر، بيروت.
- ٣١- الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: محمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- ٣٢- طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: أحمد بن شعبان بن أحمد، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- ٣٣- علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- ٣٤- علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- ٣٥- علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م.
- ٣٦- علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
- ٣٧- فن البديع، عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م.
- ٣٨- فن البلاغة، د. عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٤.

- ٣٩- فن التشبيه، بحث، أدب، نقد، على الجندي، كلية دار العلوم، جامعة فؤاد الأول، الطبعة الأولى، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ١٩٥٢م
- ٤٠- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة التاسعة والثلاثون، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.
- ٤١- القرآن والصورة البيانية، د. عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- ٤٢- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، تحقيق: محمد العريفي، وناصر الحنيني، وعبد الله الهذيل، وفهد المساعد، إشراف بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، المجلد الأول، ط١، ١٤٢٨هـ.
- ٤٣- الكتاب، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، (١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.
- ٤٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، شرح وضبط يوسف الحمادي، دار مصر للطباعة.
- ٤٥- لسان العرب، جمال الدين بن منظور الأنصاري (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
- ٤٦- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق وتعليق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.
- ٤٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٤٨- مسند الإمام الشافعي، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٤٩- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥٠- مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

- ٥١- المصباح في المعاني والبيان والبديع، بدر الدين بن مالك " ابن الناظم "، تحقيق: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية .
- ٥٢- مفتاح العلوم، للإمام محمد بن علي السكاكي(٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م.
- ٥٣- من بلاغة القرآن، المعاني . البيان . البديع، د. محمد شعبان علوان، د. نعمان شعبان علوان، ط٥، ١٤٣٢هـ ، ٢٠١١م.
- ٥٤- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني(٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، مطبعة دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٦٦م.
- ٥٥- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية، تحقيق: أحمد بن شعبان بن أحمد، القاهرة ط١، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م.
- ٥٦- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفي، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	آية قرآنية
ب	إهداء
ت	شكر وتقدير
ث	ملخص الدراسة باللغة العربية
ج	ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية
١	المقدمة
٥	التمهيد: حياة ابن القيم ووفاته
٩	التعريف بالقصيدة
الفصل الأول الإشارات البلاغية في علم المعاني	
١٦	أولاً: الخبر
١٦	الأغراض البلاغية للخبر
٢١	أضرب الخبر
٢٦	ثانياً: الإنشاء
٢٦	الإنشاء غير الطلبي
٢٩	الإنشاء الطلبي
٢٩	١. الأمر
٣٤	٢. النهي
٣٨	٣. الاستفهام
٥٠	٤. التمني
٥٣	٥. النداء
٥٩	ثالثاً: التقديم والتأخير
٧٠	رابعاً: الإيجاز والإطناب والمساواة

الصفحة	الموضوع
٧٠	الإيجاز
٧٤	الإطناب
٨٣	المساواة
٨٦	خامساً: الوصل والفصل
٨٧	مواضع الوصل
٩١	مواضع الفصل
٩٨	سادساً: القصر
٩٩	طرق القصر
١٠٥	أقسام القصر
الفصل الثاني	
الإشارات البيانية في وصف الجنة	
١١١	أولاً: مصادر التصوير البياني في النونية من القرآن والسنة النبوية
١٥٧	ثانياً: التشبيه
١٥٩	التشبيه باعتبار الطرفين
١٦٤	التشبيه باعتبار الأفراد والتركيب والتعدد
١٦٥	أدوات التشبيه
١٦٦	أقسام التشبيه باعتبار الأداة
١٧٠	أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه
١٧٣	أنواع التشبيه
١٧٣	١- التشبيه الضمني
١٧٤	٢- التشبيه المقلوب
١٧٥	٣- التشبيه التمثيلي

الصفحة	الموضوع
١٧٨	الأغراض التي تعود إلى المشبه
١٨٣	ثالثاً: الاستعارة
١٨٤	أقسام الاستعارة
١٨٤	١- الاستعارة المكنية
١٨٩	٢- الاستعارة التصريحية
١٩١	٣- الاستعارة الأصلية
١٩٢	٤- الاستعارة التبعية
١٩٤	إجراء الاستعارة
١٩٦	مكانة الاستعارة من البلاغة
١٩٧	رابعاً: الكناية
١٩٧	أقسام الكناية
٢٠٦	خامساً: المجاز
٢٠٦	أقسام المجاز
الفصل الثالث	
الإشارات البلاغية في علم البديع	
٢١٩	أولاً: المحسنات المعنوية
٢١٩	١- الطباق
٢٢٦	٢- المقابلة
٢٢٩	٣- اللف والنشر
٢٣٢	٤- أسلوب الحكيم
٢٣٣	٥- تأكيد المدح بما يشبه الذم
٢٣٤	٦- تأكيد الذم بما يشبه المدح

الصفحة	الموضوع
٢٣٥	٧. تجاهل العارف
٢٤١	ثانياً: المحسنات اللفظية
٢٤١	١. الجناس
٢٤٢	الجناس التام المماثل
٢٤٣	الجناس الناقص
٢٤٥	الجناس من حيث الاختلاف في أنواع الحروف
٢٤٧	٢. السجع
٢٤٧	السجع المطرف
٢٤٨	السجع المتوازي
٢٤٩	السجع المرصع
٢٥٠	٣. رد العجز على الصدر " التصدير "
الفصل الرابع	
أثر الإشارات البلاغية في بناء النص	
٢٦٠	١. الصورة البصرية وأثرها في بناء النص
٢٧٢	٢. الصورة السمعية وأثرها في بناء النص
٢٧٢	أثر الصورة الذهنية في تشكيل الصورة السمعية
٢٨١	الخاتمة: النتائج والتوصيات
٢٨٣	فهرس المصادر والمراجع
٢٨٨	فهرس الموضوعات
٢٩٢	ملحق أبيات القصيدة

ملحق أبيات القصيدة

بعنوان:

الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

وتبدأ من فصل

فيما أعد الله تعالى في الجنة

لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

وتنتهي حتى فصل

في إقامة المآثم على المتخلفين عن رفقة السابقين



مطبعات الجمع

آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال

(٨)

الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية

(٦٩١ - ٧٥١)

تمقيمه وتعليقه

محمد بن عبد الرحمن العريفي - ناصر بن يحيى الجيني

عبد الله بن عبد الرحمن الهذيل - فهد بن علي المساعد

تنسيق

محمد أجمل الإصلاحي

إشراف

بكر بن عبد الله الجوزي

تصوير

مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية

دار الفوائد
للنشر والتوزيع



فصل

فيما أعدَّ اللهُ تعالى في الجنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

- ٤٩٣١ - يَا خَاطِبَ الْخُورِ الْحَسَانِ وَطَالِباً
٤٩٣٢ - لَوْ كُنْتَ تَدْرِي مَنْ خَطَبْتَ وَمَا طَلَبَ
٤٩٣٣ - أَوْ كُنْتَ تَعْرِفُ أَيْنَ مَسَكْنُهَا جَعَلْتُ
٤٩٣٤ - وَلَقَدْ وَصَفْتُ طَرِيقَ مَسَكْنِهَا فَإِنْ
٤٩٣٥ - أَسْرَعُ وَحَثَّ السَّيْرَ جَهْدَكَ إِنَّمَا
٤٩٣٦ - فَاغْشَقْ وَحَدِّثْ بِالْوِصَالِ النَّفْسَ وَإِ
٤٩٣٧ - وَاجْعَلْ صِيَامَكَ دُونَ لُقْيَاهَا وَيَوْ
٤٩٣٨ - وَاجْعَلْ نُعُوتَ جَمَالِهَا الْحَادِي وَسِرْ
٤٩٣٩ - لَا يُلْهِيَنَّكَ مَنْزِلٌ لِعِبْتٍ بِهِ
٤٩٤٠ - فَلَقَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُ كُلُّ مَسْرَّةٍ
٤٩٤١ - سِجْنٌ يَضِيقُ بِصَاحِبِ الْإِيمَانِ لَ
٤٩٤٢ - سُكَّانِهَا أَهْلُ الْجَهَالَةِ وَالْبَطْأِ
٤٩٤٣ - [وَأَلذُّهُمْ عَيْشاً فَأَجْهَلُهُمْ بِحَقِّ م
٤٩٤٤ - عَمَرَتْ بِهِمْ هَذِي الدِّيَارُ وَأَفْقَرَتْ
- لِوَصَالِهِنَّ بِجَنَّةِ الْحَيَوَانِ
تَ بَدَّلَتْ مَا تَحْوِي مِنَ الْأَثْمَانِ
تَ السَّعْيِ مِنْكَ لَهَا عَلَى الْأَجْفَانِ
رُمْتَ الْوِصَالَ فَلَا تَكُنْ مُتَوَانِي
مَسْرَاكَ هَذَا سَاعَةً لِزَمَانِ
ذُلِّ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانِ
مَ الْوِصَالِ يَوْمَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ
تَلَقَّ الْمَخَافِ وَهِيَ ذَاتُ أَمَانِ
أَيْدِي الْبِلَى مُذْ سَالَفِ الْأَزْمَانِ
وَتَبَدَّلَتْ بِالْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ
بِكُنْ جَنَّةُ الْمَأْوَى لِذِي الْكُفْرَانِ
لَةَ وَالسَّفَاهَةِ أَنْجَسُ الشُّكَّانِ
اللَّهُ ثُمَّ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ
مِنْهُمْ رُبُوعِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

- ٤٩٤٥ - قَدْ آثَرُوا الدُّنْيَا وَلَذَّةَ عَيْشِهَا أَلْ
٤٩٤٦ - صَحِبُوا الْأَمَانِي وَأَبْتَلُوا بِحُطُوبِهِمْ
٤٩٤٧ - كَذْحَا وَكَذَا لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ
٤٩٤٨ - وَاللَّهِ لَوْ شَاهَدْتَ هَاتِيكَ الصُّدُ
٤٩٤٩ - وَوَفُودَهَا الشَّهَوَاتِ وَالْحَسْرَاتِ وَالْ
٤٩٥٠ - أَبْدَانَهُمْ أَجْدَاثُ هَاتِيكَ التُّفُ
٤٩٥١ - أَرْوَاحُهُمْ فِي وَخْشَةٍ وَجُسُومُهُمْ
٤٩٥٢ - هَرَبُوا مِنَ الرَّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ
٤٩٥٣ - لَا تَرْضَ مَا اخْتَارُوهُ هُمْ لِنُفُوسِهِمْ
٤٩٥٤ - لَوْ سَاوَتْ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
٤٩٥٥ - لَكِنَّهَا وَاللَّهِ أَحْقَرُ عِنْدَهُ
٤٩٥٦ - وَلَقَدْ تَوَلَّكَ بَعْدُ عَنْ أَصْحَابِهَا
٤٩٥٧ - لَا يُزَنِّجِي مِنْهَا الْوَفَاءَ لِصَبِّهَا
٤٩٥٨ - طُبِعَتْ عَلَى كَدْرِ فَكَيْفَ يَنَالُهَا
٤٩٥٩ - يَا عَاشِقَ الدُّنْيَا تَاهَبْ لِلَّذِي
٤٩٦٠ - أَوْ مَا سَمِعْتَ بَلَى رَأَيْتَ مَصَارِعَ أَلْ



فصل

[في صفة الجنة التي أعدّها الله ذو الفضل والمنّة
لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة]

- ٤٩٦١ - فَاسْمَعْ إِذَا أَوْصَافَهَا وَصِفَاتِهَا تَيْكَ الْمَنَازِلِ رَبَّةِ الْإِحْسَانِ

- ٤٩٦٢ - هِيَ جَنَّةٌ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا فَنَعِيمُهَا بَاقٍ وَلَيْسَ بِفَانٍ
 ٤٩٦٣ - دَارُ السَّلَامِ وَجَنَّةُ الْمَأْوَى وَمَنْ دَارُ السَّلَامِ وَجَنَّةُ الْمَأْوَى وَمَنْ
 ٤٩٦٤ - فَالِدَارُ دَارُ سَلَامَةٍ وَخَطَابُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَاسْمُ ذِي الْعُفْرَانِ

فصل

في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين

- ٤٩٦٥ - دَرَجَاتُهَا مِائَةٌ وَمَا بَيْنَ اثْنَتَيْ
 ٤٩٦٦ - مِثْلُ الَّذِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنَ هـ
 ٤٩٦٧ - لَكِنَّ عَالِيَهَا هُوَ الْفِرْدَوْسُ مَنْ
 ٤٩٦٨ - وَسَطَ الْجَنَانِ وَعُلُوُّهَا فَلِذَلِكَ كَمَا
 ٤٩٦٩ - مِنْهُ تَفَجَّرُ سَائِرُ الْأَنْهَارِ فَالْ
- بِذَلِكَ فِي التَّحْقِيقِ لِلْحُسْبَانِ
 لِمَا فِي الْأَرْضِ قَوْلُ الصَّادِقِ الْبُرْهَانِ
 قُوفٌ بِعَرْشِ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ
 نَتِ قُبَّةً مِنْ أَحْسَنِ الْبُنْيَانِ
 مَنبُوعٌ مِنْهُ نَازِلٌ بِجَنَانِ

فصل

في أبواب الجنة

- ٤٩٧٠ - أَبْوَابُهَا حَقٌّ ثَمَانِيَةٌ أَتَتْ
 ٤٩٧١ - بَابَ الْجِهَادِ وَذَلِكَ أَعْلَاهَا وَبِأ
 ٤٩٧٢ - وَلِكُلِّ سَعْيٍ صَالِحٍ بَابٌ وَرَبُّ م
 ٤٩٧٣ - وَلَسَوْفَ يُدْعَى الْمَرْءُ مِنْ أَبْوَابِهَا
 ٤٩٧٤ - مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصَّديقُ ذَا
- فِي النَّصِّ وَهِيَ لِصَاحِبِ الْإِحْسَانِ
 بَابُ الصَّوْمِ يُدْعَى الْبَابُ بِالرَّيَّانِ
 السَّعْيِ مِنْهُ دَاخِلٌ بِأَمَانِ
 جَمْعاً إِذَا وَقَى حُلَى الْإِيمَانِ
 لَكَ خَلِيفَةُ الْمُبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

فصل

في مقدار ما بين الباب والباب منها

- ٤٩٧٥ - سَبْعُونَ عَاماً بَيْنَ كُلِّ اثْنَيْنِ مِنْهَا قُدْرَتْ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ

- ٤٩٧٦ - هَذَا حَدِيثٌ لَقِيَطِ الْمَعْرُوفُ بِأَدِّ حَبْرِ الطَّوِيلِ وَذَا عَظِيمِ الشَّانِ
 ٤٩٧٧ - وَعَلَيْهِ كُلُّ جَلَالَةٍ وَمَهَابَةٍ وَلَكُمْ حَوَاهِ بَعْدُ مِنْ عِرْفَانَ

فصل

في مقدار ما بين مضراعي الباب الواحد

- ٤٩٧٨ - لَكِنَّ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةٌ أَرْبَعِيْنَ نَزَوَاهُ حَبْرُ الْأُمَّةِ الشَّيْبَانِي
 ٤٩٧٩ - فِي مُسْنَدِ الرَّفْعِ وَهُوَ لِمُسْلِمٍ وَقَفَّ كَمَرْفُوعٍ بِوَجْهِ ثَانِ
 ٤٩٨٠ - وَلَقَدْ رَوِي تَفْدِيرُهُ بِثَلَاثَةِ أَلْفِ أَيَّامٍ لَكِنْ عِنْدَ ذِي الْعِرْفَانَ
 ٤٩٨١ - أَغْنِي الْبُحَارِيُّ الرَّضَا هُوَ مُنْكَرٌ وَحَدِيثُ زَاوِيهِ فَذُو نُكْرَانَ

فصل

في مفتاح باب الجنة

- ٤٩٨٢ - هَذَا وَقَفَّحَ الْبَابِ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ إِلَّا بِمِفْتَاحٍ عَلَى أَشْنَانِ
 ٤٩٨٣ - مِفْتَاحُهُ بِشَهَادَةِ الْإِخْلَاصِ وَالْإِيمَانِ
 ٤٩٨٤ - أَشْنَانُهُ الْأَعْمَالُ وَهِيَ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ وَالْمِفْتَاحُ بِالْأَشْنَانِ
 ٤٩٨٥ - لَا تُلْغِيَنَّ هَذَا الْمَثَالَ فَكَمْ بِهِ مِنْ حَلِّ إِشْكَالٍ لِذِي الْعِرْفَانَ

فصل

في منشور الجنة الذي يُوقَعُ به لصاحبها

- ٤٩٨٦ - هَذَا وَمَنْ يَدْخُلُ فَلَيْسَ بِدَاخِلٍ إِلَّا بِتَوْقِيعٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

- ٤٩٨٧ - وَلِذَاكَ يُكْتَبُ لِلْفَتَى لِدُخُولِهِ
٤٩٨٨ - إِحْدَاهُمَا بَعْدَ الْمَمَاتِ وَعَرْضِ أَرْ
٤٩٨٩ - فَيَقُولُ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ
٤٩٩٠ - ذَا الْأَسْمِ فِي الدِّيَّانِ يُكْتَبُ ذَلِكَ دِي
٤٩٩١ - دِيَّانُ عَلِيِّ بْنِ أَصْحَابِ الْقُرْآنِ
٤٩٩٢ - فَإِذَا انْتَهَى لِلْجِشْرِ يَوْمَ الْحَشْرِ يُع
٤٩٩٣ - عُنوانُهُ هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَزِي
٤٩٩٤ - فَدَعْوُهُ يَدْخُلُ جَنَّةَ الْمَأْوَى الَّتِي أَرْ
٤٩٩٥ - هَذَا وَقَدْ كُتِبَ اسْمُهُ مُذْ كَانَ فِي الْ
٤٩٩٦ - بَلِّ قَبْلَ ذَلِكَ وَهُوَ وَقْتُ الْقَبْضَتَيْنِ
٤٩٩٧ - سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْ
٤٩٩٨ - وَاللَّهِ أَكْبَرُ عَالِمِ الْأَسْرَارِ وَالْ
٤٩٩٩ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ السَّمِيعِ لِسَائِرِ الْأ
٥٠٠٠ - وَهُوَ الْمُؤَخِّدُ وَالْمُسَبِّحُ وَالْمُمَجِّدُ
٥٠٠١ - وَالْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِهِ لَهُ



فصل

في صفوف أهل الجنة

- ٥٠٠٢ - هَذَا وَإِنَّ صُفُوفَهُمْ عِشْرُونَ مَع
٥٠٠٣ - يَزُويهِ عَنْهُ بُرَيْدَةُ إِسْنَادُهُ
٥٠٠٤ - وَلَهُ شَوَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ
مَائَةٍ وَهَذِي الْأَمَّةُ الثُّلثَانِ
شَرُوطُ الصَّحِيحِ بِمُسْنَدِ الشَّيْبَانِيِّ
رَةَ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَحَبْرِ زَمَانِ

٥٠٠٥ - أعني ابن عباسٍ وفي إسناده
 ٥٠٠٦ - ولقد أتانا في الصحيح بأنهم
 ٥٠٠٧ - إذ قال أزوجو أن تكونوا شطرهم
 ٥٠٠٨ - أعطاه رب العرش ما يزوجو وزاً
 رَجُلٌ ضَعِيفٌ غَيْرُ ذِي إِثْقَانٍ
 شَطْرٌ وَمَا اللَّفْظَانِ مُخْتَلِفَانِ
 هَذَا رَجَاءٌ مِنْهُ لِلرَّحْمَنِ
 دَمِنَ الْعَطَاءِ فَعَالَ ذِي الْإِحْسَانِ

* * *

فصل

في صفة أول زمرة تدخل الجنة

٥٠٠٩ - هذا وأول زمرة فوجوهم
 ٥٠١٠ - السابقون هم وقد كانوا هنا
 كالبدر ليل السّت بعد ثمان
 أيضاً أولي سبقي إلى الإحسان

* * *

فصل

في صفة الزمرة الثانية

٥٠١١ - والزمرة الأخرى كأضوأ كوكب
 ٥٠١٢ - أمشاطهم ذهب ورشحهم فمسد
 في الأفق تنظره به العينان
 كخالص يا ذلة الحرمان

* * *

فصل

في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى

٥٠١٣ - ويرى الذين بذيلها من فوقهم
 ٥٠١٤ - ما ذاك مختصاً برسول الله بل
 مثل الكواكب رؤية بعينان
 لهم وللصديق ذي الإيمان

فصل

في ذكرِ أعلى أهل الجنة منزلةً وأذنائهم

- ٥٠١٥- هَذَا وَأَعْلَاهُمْ فَنَظَرُ رَبِّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتُهُ الطَّرْفَانِ
٥٠١٦- لَكِنَّ أَدْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ ذَنْبِي م لَيْسَ فِي الْجَنَّاتِ مِنْ نُقْصَانِ
٥٠١٧- فَهُوَ الَّذِي تُلْفَى مَسَافَةٌ مُلْكِهِ بِسِنِينَنَا أَلْفَانَ كَامِلَتَانِ
٥٠١٨- فَيَرَى بِهَا أَقْصَاهُ حَقًّا مِثْلَ رُؤْيَتِهِ لِأَدْنَاهُ الْقَرِيبِ الدَّانِي
٥٠١٩- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ آخِرَ أَهْلِهَا يُعْطِيهِ رَبُّ الْعَرْشِ ذُو الْعُرْفَانِ
٥٠٢٠- أَضْعَافَ دُنْيَانَا جَمِيعاً عَشْرَ أَمْثَالٍ لَهَا سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ

فصل

في ذكرِ سنِّ أهل الجنة

- ٥٠٢١- هَذَا وَسِنَّهُمْ ثَلَاثٌ مَعَ ثَلَاثِ ثَمِينِ الَّتِي هِيَ قُوَّةُ الشُّبَّانِ
٥٠٢٢- وَصَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ فِي ذَا عُلَى حَدْ سَوَاءٍ مَا سِوَى الْوِلْدَانِ
٥٠٢٣- وَلَقَدْ رَوَى الْخُدْرِيُّ أَيْضاً أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ بَعْدَهَا عَشْرَانِ
٥٠٢٤- وَكِلَاهُمَا فِي التَّرْمِذِيِّ وَلَيْسَ ذَا بَتْنَا قُضِ بَلْ هَاهُنَا أَمْرَانِ
٥٠٢٥- حَذْفُ الثَّلَاثِ وَنَيْفِ بَعْدَ الْعُقُودِ وَذِكْرُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ سِيَّانِ
٥٠٢٦- عِنْدَ اتِّسَاعِ فِي الْكَلَامِ فَعِنْدَمَا يَأْتُوا بِتَحْرِيرِ فَبِالْمِيزَانِ

فصل

في طولِ قاماتِ أهل الجنة وعرضهم

- ٥٠٢٧- وَالطُّوْلُ طُولُ أَبِيهِمْ سِتُّونَ لَكِنَّ عَرْضُهُمْ سَبْعٌ بِلَا نُقْصَانِ

- ٥٠٢٨ - الطُّولُ صَحَّ بِغَيْرِ شَكٍّ فِي الصَّحِيحِ حَيْثُ اللَّذَيْنِ هُمَا لَنَا شَمْسَانِ
 ٥٠٢٩ - وَالْعَرُوضُ لَمْ نَعْرِفْهُ فِي إِخْدَاهُمَا لَكِنْ رَوَاهُ أَحْمَدُ الشَّيْبَانِي
 ٥٠٣٠ - هَذَا وَلَا يَخْفَى التَّنَاسُبُ بَيْنَ هَذَا نَذَا الْعَرُوضِ وَالطُّولِ الْبَدِيعِ الشَّانِ
 ٥٠٣١ - كُلُّ عَلَى مَقْدَارِ صَاحِبِهِ وَذَا تَقْدِيرُ مُثَقِّنِ صَنْعَةِ الْإِنْسَانِ

فصل

في حُلاهم وألوانهم

- ٥٠٣٢ - أَلْوَانُهُمْ بِيضٌ وَلَيْسَ لَهُمْ لِحْيٌ جُعِدَ الشُّعُورُ مُكْحَلُو الْأَجْفَانِ
 ٥٠٣٣ - هَذَا كَمَالُ الْحُسْنِ فِي أَبْشَارِهِمْ وَشُعُورِهِمْ وَكَذَلِكَ الْعَيْنَانِ

فصل

في لسان أهل الجنة

- ٥٠٣٤ - وَلَقَدْ أَتَى أَثْرِبَانَ لِسَانَهُمْ بِالْمَنْطِقِ الْعَرَبِيِّ خَيْرِ لِسَانِ
 ٥٠٣٥ - لَكِنَّ فِي إِسْنَادِهِ نَظْرٌ فَفِي هِ رَاوِيَانِ وَمَاهُمَا ثَبَّانِ
 ٥٠٣٦ - أَغْنِي الْعَلَاءَ هُوَ ابْنُ عَمْرٍو ثُمَّ يَخُ يِي الْأَشْعَرِيِّ وَذَانِ مَعْمُورَانِ

فصل

في رِيحِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ مَسِيرَةٍ كَمْ تُوجَدُ

- ٥٠٣٧ - وَالرِّيْحُ تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةٍ أَرْبَعِي نَ وَإِنْ تَشَأْ مِائَةً فَمَرْوِيَانِ

- ٥٠٣٨ - وَكَذَا رُوِيَ سَبْعِينَ أَيْضاً صَحَّ هَذَا
٥٠٣٩ - مَا فِي رِجَالِهِمَا لَنَا مِنْ مَطْعَنِ
٥٠٤٠ - وَلَقَدْ أَتَى تَقْدِيرُهُ مِائَةَ بِخَمْسِ
٥٠٤١ - إِنْ صَحَّ هَذَا فَهُوَ أَيْضاً وَالَّذِي
٥٠٤٢ - إِمَّا بِحَسَبِ الْمُدْرِكِينَ لِرِيحِهَا
٥٠٤٣ - أَوْ بِاخْتِلَافِ قَرَارِهَا وَعُلُوِّهَا
٥٠٤٤ - أَوْ بِاخْتِلَافِ السَّيْرِ أَيْضاً فَهُوَ أَنْ
٥٠٤٥ - مَا بَيْنَ أَلْفَاظِ الرَّسُولِ تَنَاقُضٌ
بَلْ ذَلِكَ فِي الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ

* * *

فصل

في أسبق الناس دخولاً إلى الجنة

- ٥٠٤٦ - وَنَظِيرُ هَذَا سَبَقُ أَهْلِ الْفَقْرِ لِد
٥٠٤٧ - مِائَةَ بِخَمْسِ ضَرْبُهَا أَوْ أَرْبَعِينَ
٥٠٤٨ - فَأَبُو هُرَيْرَةَ قَدْ رَوَى أَوْلَاهُمَا
٥٠٤٩ - هَذَا بِحَسَبِ تَفَاوُتِ الْفُقَرَاءِ فِي الشَّ
٥٠٥٠ - أَوْ ذَا بِحَسَبِ تَفَاوُتِ فِي الْأَعْنِيَا
٥٠٥١ - هَذَا وَأَوْلَاهُمْ دُخُولاً خَيْرُ خُد
٥٠٥٢ - وَالْأَنْبِيَاءِ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ مِنَ التَّ
٥٠٥٣ - هَذَا وَأُمَّةُ أَحْمَدِ سَبَّاقُ بَا
٥٠٥٤ - وَأَحَقُّهُمْ بِالسَّبْقِ أَشْبَقُهُمْ إِلَى ال
٥٠٥٥ - وَلِذَا أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصَّدِيقُ أَسَدُ

- ٥٠٥٦- وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ أَنَّ أَوْلَهُمْ يُصَا
٥٠٥٧- وَيَكُونُ أَوْلَهُمْ دُخُولًا جَنَّةَ أَدَا
٥٠٥٨- فَارْزُقْ دِينَ اللَّهِ نَاصِرُ قَوْلِهِ
٥٠٥٩- لَكِنَّهُ أَتْرُ ضَعِيفٌ فِيهِ مَجْدٌ
٥٠٦٠- لَوْ صَحَّ كَانَ عُمُومُهُ الْمُخْضُوصَ بِالضَّمِّ
٥٠٦١- هَذَا وَأَوْلَهُمْ دُخُولًا فَهُوَ حَمْدٌ
٥٠٦٢- إِنْ كَانَ فِي السَّرَّاءِ أَصْبَحَ حَامِدًا
٥٠٦٣- هَذَا الَّذِي هُوَ عَارِفٌ بِاللَّهِ
٥٠٦٤- وَكَذَا الشَّهِيدُ فَسَبْقُهُ مُتَيَقَّنٌ
٥٠٦٥- وَكَذَلِكَ الْمَمْلُوكُ حِينَ يَقُومُ بِأَدَاءِ
٥٠٦٦- وَكَذَا فَقِيرٌ دُونَ عِيَالٍ لَيْسَ بِأَدَاءِ



فصل

في عدد الجنات وأجناسها

- ٥٠٦٧- وَالْجَنَّةُ اسْمُ الْجِنْسِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ
٥٠٦٨- ذَهَبِيَّتَانِ بِكُلِّ مَا حَوَتْهُ مِنْ
٥٠٦٩- وَكَذَلِكَ أَيْضاً فَضَّةٌ ثِنْتَانِ مِنْ
٥٠٧٠- لَكِنَّ دَارَ الْخُلْدِ وَالْمَأْوَى وَعَدَدُ
٥٠٧١- أَوْصَافِهَا اسْتَدْعَتْ إِضَافَتَهَا إِلَيْهِ
٥٠٧٢- لَكِنَّمَا الْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا وَأَوْ
٥٠٧٣- أَعْلَاهُ مَنْزِلَةٌ لِأَعْلَى الْخَلْقِ مَنْ

- ٥٠٧٤ - وَهِيَ الْوَسِيلَةُ وَهِيَ أَعْلَى رُتْبَةٍ
٥٠٧٥ - وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ تَفْ
٥٠٧٦ - هِيَ أَرْبَعُ ثِنْتَيْنِ فَاضْلَتَانِ ثُمَّ م
٥٠٧٧ - فَالْأَوْلِيَانِ الْفُضْلِيَانِ لِأَوْجِهِ
٥٠٧٨ - وَإِذَا تَأَمَّلْتَ السِّيَاقَ وَجَدْتَهَا
٥٠٧٩ - سُبْحَانَ مَنْ عَرَسَتْ يَدَاهُ جَنَّةَ الْ
٥٠٨٠ - وَيَدَاهُ أَيْضاً أَتَقَنَّتْ لِبِنَائِهَا
٥٠٨١ - هِيَ فِي الْجِنَانِ كَادِمٌ وَكِلَاهُمَا
٥٠٨٢ - لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ لَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ
٥٠٨٣ - وَلَدٌ عَقُوقٌ عَقَّ وَالِدَهُ وَلَمْ
٥٠٨٤ - فَكِلَاهُمَا تَأْتِيرُ قُدْرَتِهِ وَتَأْ
٥٠٨٥ - إِلَّا هُمَا أَوْ نِعْمَتَاهُ وَخَلْقُهُ
٥٠٨٦ - لَمَّا قَضَى رَبُّ الْعِبَادِ الْغُرُوسَ قَا
٥٠٨٧ - قَدْ أَفْلَحَ الْعَبْدُ الَّذِي هُوَ مُؤْمِنٌ
٥٠٨٨ - وَلَقَدْ رَوَى حَقّاً أَبُو الدَّرْدَاءِ ذَا
٥٠٨٩ - يَهْتَرُ قَلْبُ الْعَبْدِ عِنْدَ سَمَاعِهِ
٥٠٩٠ - مَا مِثْلُهُ أَبَدًا يُقَالُ بِرَأْيِهِ
٥٠٩١ - فِيهِ التُّزُولُ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ فِإِخْ
٥٠٩٢ - يَمْحُو وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ بِحِكْمَةٍ
٥٠٩٣ - فَتَرَى الْفَتَى يُمَسِي عَلَى حَالٍ وَيُضْ
٥٠٩٤ - هُوَ نَائِمٌ وَأُمُورُهُ قَدْ دُبِّرَتْ
٥٠٩٥ - وَالسَّاعَةُ الْآخَرَى إِلَى عَدْنٍ مِمَّا
٥٠٩٦ - الرُّسُلُ ثُمَّ الْأَنْبِيَاءُ وَمَعَهُمُ الصُّ
- خَلَصَتْ لَهُ فَضْلاً مِنَ الرَّحْمَنِ
صِيلُ الْجِنَانِ مُفْصَّلاً بِبَيَانِ
يَلِيهِمَا ثِنْتَانِ مَفْضُولَانِ
عَشْرٍ وَيَعْسُرُ نَظْمُهَا بِوَرَانِ
فِيهِ تَلُوحٌ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
فِرْدَوْسٍ عِنْدَ تَكَامُلِ الْبُنْيَانِ
فَتَبَارَكَ الرَّحْمَنُ أَعْظَمُ بَانَ
تَفْضِيلُهُ مِنْ أَجْلِ هَذَا الشَّانِ
ذَا الْفَضْلِ شَيْءٌ فَهُوَ ذُو نُكْرَانِ
يُثَبِّتُ بِذَا فَضْلاً عَلَى الشَّيْطَانِ
ثِيرُ الْمَشِيئَةِ لَيْسَ ثُمَّ يَدَانِ
كُلٌّ بِنِعْمَةٍ رَبِّهِ الْمَثَانِ
لَ تَكَلَّمِي فَتَكَلَّمْتُ بِبَيَانِ
مَاذَا ادَّخَرْتُ لَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ
كَ غُؤْمِرٍ أَثَرًا عَظِيمِ الشَّانِ
طَرِباً بِقَدْرِ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ
أَوْ كَانَ يَا أَهْلًا بِذَا الْعِرْفَانِ
ذَا هُنَّ يَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ الثَّانِي
وَبِعِزَّةٍ وَبِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ
بِحُ فِي سِوَاهَا مَا هُمَا مِثْلَانِ
لَيْلًا وَلَا يَدْرِي بِذَلِكَ الشَّانِ
كِنْ أَهْلُهُ هُمْ صَفْوَةُ الرَّحْمَنِ
دَيْقُ حَسْبُ فَلَا تَكُنْ بِجَبَانِ

- ٥٠٩٧ - فِيهَا الَّذِي وَاللَّهُ لَا عَيْنَ رَأَتْ
٥٠٩٨ - كَلَّا وَلَا قَلْبٌ بِهِ خَطَرَ الْمِثْنَا
٥٠٩٩ - وَالسَّاعَةُ الْأُخْرَى إِلَى هَذِي السَّمَاءِ
٥١٠٠ - أَوْ دَاعٍ أَوْ مُسْتَعْفِرٍ أَوْ سَائِلٍ
٥١٠١ - حَتَّى تُصَلَّى الْفَجْرُ يَشْهَدُهَا مَعَ الْ
٥١٠٢ - هَذَا الْحَدِيثُ بِطَوِيلِهِ وَسِيَّاقِهِ

فصل

في بناء الجنة

- ٥١٠٣ - وَبِنَاؤُهَا اللَّيِّنَاتُ مِنْ ذَهَبٍ وَأَخْ
٥١٠٤ - وَقُضُورُهَا مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ
٥١٠٥ - وَكَذَلِكَ مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ بِهِ
٥١٠٦ - وَالطَّيْنُ مِسْكٌ خَالِصٌ أَوْ زَعْفَرَانٌ
٥١٠٧ - لَيْسَا بِمُخْتَلِفَيْنِ لَا تُنْكِرُهُمَا

فصل

في أرضها وحبائها وتربتها

- ٥١٠٨ - وَالْأَرْضُ مَزْمَرَةٌ كَخَالِصِ فِضَّةٍ
٥١٠٩ - فِي مُسْلِمٍ تَشْبِيهِهَا بِالذَّرْمِكِ الصَّ
٥١١٠ - هَذَا لِحُسْنِ اللَّوْنِ لَكِنْ ذَا لَطِي

- ٥١١١- حَضَبَاؤُهَا دُرٌّ وَيَأْفُوتُ كَذَا كَ لَأَلَىٰ نُشِرَتْ كَثْرَ جُمَانِ
٥١١٢- وَتُرَابُهَا مِنْ زَعْفَرَانٍ أَوْ مِنْ أَلِ مَسِكَ الَّذِي مَا اسْتُلَّ مِنْ غَزْلَانِ

فصل

في صفة عُرفاتها

- ٥١١٣- عُرفاتها في الجوّ يُنظرُ بطنُها مِنْ ظَهْرِهَا وَالظَّهُرُ مِنْ بُطْنَانِ
٥١١٤- سُكَّانُهَا أَهْلُ الْقِيَامِ مَعَ الصَّيَا مِ وَطَيِّبِ الْكَلِمَاتِ وَالْإِحْسَانِ
٥١١٥- ثِنْتَانِ خَالِصُ حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَعَبِيدُهُ أَيْضاً لَهُمْ ثِنْتَانِ

فصل

في خيامِ الجنّةِ

- ٥١١٦- لِلْعَبْدِ فِيهَا خَيْمَةٌ مِنْ لَوْلِي قَدْ جُوفَتْ هِيَ صَنَعَةُ الرَّحْمَنِ
٥١١٧- سِتُّونَ مَيْلًا طَوْلُهَا فِي الْجَوْ فِي كُلِّ الزَّوَايَا أَجْمَلُ النِّسْوَانِ
٥١١٨- يَغْشَى الْجَمِيعَ فَلَا يُشَاهِدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَهَذَا لَا تَسَاعِ مَكَانِ
٥١١٩- فِيهَا مَقَاصِيرُ بِهَا الْأَبْوَابُ مِنْ ذَهَبٍ وَدُرٍّ زِينٌ بِالْمَرْجَانِ
٥١٢٠- وَخِيَامُهَا مَنْصُوبَةٌ بِرِيَاضِهَا وَشَوَاطِئِ الْأَنْهَارِ ذِي الْجَرِيَانِ
٥١٢١- مَا فِي الْخِيَامِ سِوَى الَّتِي لَوْ قَابَلَتْ لِلنَّيِّرِينَ لَقُلْتَ مُنْكَسِفَانِ
٥١٢٢- لِلَّهِ هَاتِيكَ الْخِيَامُ فَكَمْ بِهَا لِلْقَلْبِ مِنْ عُلقٍ وَمِنْ أَشْجَانِ
٥١٢٣- فِيهِنَّ حُورٌ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ خِيَدِ رَاتٍ حِسَانٌ هُنَّ خَيْرُ حِسَانِ
٥١٢٤- خَيْرَاتُ أَخْلَاقٍ حِسَانٌ أَوْجُهًا فَالْحُسْنُ وَالْإِحْسَانُ مَتَّفِقَانِ

فصل

في أرائكها وسررها

- ٥١٢٥- فيها الأرائك وهي من سرر عليه
٥١٢٦- لا تستحق اسم الأرائك دونها
٥١٢٧- بشخانة يدعونها بلسان فا
ههـ الحجال كثيرة الألوان
تيك الحجال وذلك وضع لسان
رس وهو ظهر البيت ذي الأركان

فصل

في أشجارها وظلالها وثمارها

- ٥١٢٨- أشجارها نوعان منها ماله
٥١٢٩- كالسدر أصل التبق مخضود مكا
٥١٣٠- هذا وظل السدر من خير الظلا
٥١٣١- وثمره أيضا ذوات منافع
٥١٣٢- والطلع وهو المؤز منضود كما
٥١٣٣- أو أنه شجر البوادي موقراً
٥١٣٤- وكذلك الرمان والأغتاب والت
٥١٣٥- هذا ونوع ماله في هذه الد
٥١٣٦- يكفي من التعداد قول إلهنا
٥١٣٧- وأتوا به متشابهاً في اللون مخ
٥١٣٨- أو أنه متشابه في الاسم مخ
٥١٣٩- أو أنه وسط خيار كفه
٥١٤٠- أو أنه لثمارنا ذو شبه
٥١٤١- لكن بهجتها ولذة طعمها
في هذه الدنيا مثال دان
ن الشوك من تمر ذوي ألوان
ل ونفحة التزويح للأبدان
من بعضها تفريح ذي الأحزان
نضدت يد بأصابع وبنان
حملاً مكان الشوك في الأغصان
حل التي منها المقطوف دوان
نيا نظير كي يرى بعيان
من كل فاكهة بها زوجان
تلف الطعموم فذاك ذو ألوان
تلف الطعموم فذاك قول ثان
فالفحل فيه ليس ذا ثنيان
في اسم ولون ليس يختلفان
أمر سوى هذا الذي تجدان

- ٥١٤٢ - فَيَلْدُهَا فِي الْأَكْلِ عِنْدَ مَنَالِهَا
- ٥١٤٣ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَا بِالْجَنَّةِ إِلَّا
- ٥١٤٤ - يَعْنِي الْحَقَائِقُ لَا تُمَاتِلُ هَذِهِ
- ٥١٤٥ - يَا طَيْبَ هَاتِيكَ الثُّمَارِ وَعَرَسَهَا
- ٥١٤٦ - وَكَذَلِكَ الْمَاءُ الَّذِي يُسْقَى بِهِ
- ٥١٤٧ - وَإِذَا تَنَاوَلْتَ الثُّمَارَ أَتَتْ نَظِيرَ
- ٥١٤٨ - لَمْ تَنْقَطِعْ أَبَدًا وَلَمْ تَرْقُبْ مَسِيءَ
- ٥١٤٩ - وَكَذَلِكَ لَمْ تُمْنَعْ وَلَمْ تَحْتَجَّ إِلَى
- ٥١٥٠ - بَلْ ذُلَّتْ تِلْكَ الْقُطُوفُ فَكَيْفَ مَا
- ٥١٥١ - وَلَقَدْ أَتَى أَثْرُ بَانَ السَّاقِ مِنْ
- ٥١٥٢ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَهَاتِيكَ الْجُدُو
- ٥١٥٣ - وَمَقَطَّعَاتُهُمْ مِنَ الْكَرْبِ الَّذِي
- ٥١٥٤ - وَثُمَارُهَا مَا فِيهِ مِنْ عَجْمٍ كَأَمْ
- ٥١٥٥ - وَظِلَالُهَا مَمْدُودَةٌ لَيْسَتْ تَقِي
- ٥١٥٦ - أَوْ مَا سَمِعْتَ بِظِلِّ أَضَلِّ وَاحِدٍ
- ٥١٥٧ - مِائَةٌ سِنِينَ قُدِّرَتْ لَا تَنْقُضِي
- ٥١٥٨ - وَلَقَدْ رَوَى الْخُدْرِيُّ أَيْضًا أَنَّ طُورَ
- ٥١٥٩ - تَتَفَتَّحُ الْأَكْمَامُ مِنْهَا عَنْ لَبَا
- وَتَلْدُهَا مِنْ قَبْلِهِ الْعَيْنَانِ
 غُلِيَا سِوَى أَشْمَاءِ مَا تَرِيَانِ
 وَكِلَاهُمَا فِي الْأَسْمِ مَتَّفِقَانِ
 فِي الْمِسْكِ ذَاكَ الثُّرْبُ لِلْبِسْتَانِ
 يَا طَيْبَ ذَاكَ الْوَرْدِ لِلظُّمَّانِ
 رَتْهَا فَحَلَّتْ دُونَهَا بِمَكَانِ
 رَ الشَّمْسِ مِنْ حَمَلٍ إِلَى مِيزَانِ
 أَنْ تُرْتَقَى لِلْقِنُوفِ فِي الْعِيدَانِ
 شِئْتَ انْتَزَعْتَ بِأَسْهَلِ الْإِمْكَانِ
 ذَهَبِ رَوَاهُ التُّرْمُذِيُّ بِبَيَانِ
 عَ زُمُرْدٌ مِنْ أَحْسَنِ الْأَلْوَانِ
 فِيهَا وَمِنْ سَعْفٍ مِنَ الْعَقِيَانِ
 ثَالِ الْقِلَالِ فَجَلَّ ذُو الْإِحْسَانِ
 حَرًّا وَلَا شَمْسًا وَأَتَى دَانَ
 فِيهِ لِسَيْرِ الرَّاكِبِ الْعَجَلَانِ
 هَذَا لِعُظْمِ الْأَضَلِّ وَالْأَقْنَانِ
 بَى قَدْرُهَا مِائَةٌ بِلَا نُقْصَانِ
 سِيَهُمْ بِمَا شَاؤُوا مِنَ الْأَلْوَانِ

فصل

في سماع أهل الجنة

- ٥١٦٠ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَيُرْسَلُ رَبُّنَا رِيحًا تَهْرُزُ ذَوَائِبَ الْأَغْصَانِ

- ٥١٦١- فَثُبِيرُ أَصْوَاتًا تَلْدُ لِمَسْمَعِ الْ
٥١٦٢- يَا لَذَّةَ الْأَسْمَاعِ لَا تَتَعَوَّضِي
٥١٦٣- أَوْ مَا سَمِعْتَ سَمَاعَهُمْ فِيهَا غِنَا
٥١٦٤- وَهَاءُ لِدَيَّاكَ السَّمَاعِ فَإِنَّهُ
٥١٦٥- وَهَاءُ لِدَيَّاكَ السَّمَاعِ وَطَيْبِهِ
٥١٦٦- وَهَاءُ لِدَيَّاكَ السَّمَاعِ فَكَمْ بِهِ
٥١٦٧- وَهَاءُ لِدَيَّاكَ السَّمَاعِ وَلَمْ أَقْلُ
٥١٦٨- مَا ظَنُّ سَامِعَةٍ بِصَوْتِ أَطِيبِ الْ
٥١٦٩- نَحْنُ النَّوَاعِمِ وَالْخَوَالِدِ خَيْرًا
٥١٧٠- لَسْنَا نُمُوتُ وَلَا نَخَافُ وَمَا لَنَا
٥١٧١- طُوبَى لِمَنْ كُنَّا لَهُ وَكَذَلِكَ طُو
٥١٧٢- فِي ذَلِكَ آثَارُ رُوبِنَ وَذَكَرَهَا
٥١٧٣- وَرَوَاهُ يَحْيَى شَيْخُ الْأَوْزَاعِيِّ تَف
٥١٧٤- نَزَّهُ سَمَاعَكَ إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ ذِي
٥١٧٥- لَا تَوَثِّرِ الْأَذَى عَلَى الْأَعْلَى فَتُح
٥١٧٦- إِنَّ اخْتِيَارَكَ لِلْسَّمَاعِ النَّازِلِ الْ
٥١٧٧- وَاللَّهُ إِنْ سَمَاعَهُمْ فِي الْقَلْبِ وَالْ
٥١٧٨- وَاللَّهُ مَا انْفَكَ الَّذِي هُوَ دَابُّهُ
٥١٧٩- فَالْقَلْبُ بَيْتُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
٥١٨٠- فَإِذَا تَعَلَّقَ بِالسَّمَاعِ أَصَارَهُ
٥١٨١- حُبُّ الْكِتَابِ وَحُبُّ الْإِحْسَانِ الْغِنَا
٥١٨٢- ثَقُلَ الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا
٥١٨٣- وَاللَّهُوَ خَفَّ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا

- ٥١٨٤- فُوتُ التُّفُوسِ وَإِنَّمَا الْقُرْآنُ قُو
تُ الْقَلْبِ أُنَى يَسْتَوِي الْقُوتَانِ!
٥١٨٥- وَلِذَا تَرَاهُ حَظًّا ذِي النُّقْصَانِ كَال
جُهَّالِ وَالصُّبْيَانِ وَالنِّسْوَانِ
٥١٨٦- وَالذُّهُمُ فِيهِ أَقْلُهُمْ مِنْ أَل
عَقْلِ الصَّحِيحِ فَسَلِّ أَحَا الْعِرْفَانِ
٥١٨٧- يَا لَذَّةِ الْفُسَّاقِ لَسْتَ كَلَذَّةِ أَل
أَبْرَارِ فِي عَقْلِ وَلَا قُرْآنِ

فصل

في أنهار الجنة

- ٥١٨٨- أَنهَارُهَا مِنْ غَيْرِ أُحْدُودٍ جَرَتْ
سُبْحَانَ مُمْسِكِهَا عَنِ الْفَيْضَانِ
٥١٨٩- مِنْ تَحْتِهِمْ تَجْرِي كَمَا سَأَوْا مَفَجَّةً
رَةً وَمَا لِلنَّهْرِ مِنْ نُقْصَانِ
٥١٩٠- عَسَلٌ مُصَفًّى ثُمَّ مَاءٌ ثُمَّ حَمْدٌ
رُثْمٌ أَنهَارٌ مِنَ الْأَلْبَانِ
٥١٩١- وَاللَّهُ مَا تِلْكَ الْمَوَادُّ كَهَذِهِ
لَكِنْ هُمَا فِي اللَّفْظِ يَجْتَمِعَانِ
٥١٩٢- هَذَا وَبَيْنَهُمَا يَسِيرٌ تَشَابُهُ
وَهُوَ اشْتِرَاكٌ قَامَ بِالْأَذْهَانِ
٥١٩٣- [أَتَظُنُّهَا مَحْلُوبَةً مِنْ بَاقِرٍ
أَوْ نَاقَةٍ أَوْ مَاعِزٍ أَوْ ضَانٍ]

فصل

في طعام أهل الجنة

- ٥١٩٤- وَطَعَامُهُمْ مَا تَشْتَهِيهِ نُفُوسُهُمْ
وَلَحُومٌ طَيْرٍ نَاعِمٍ وَسِمَانِ
٥١٩٥- وَفَوَاكِهِ شَتَّى بِحَسْبِ مَنَاهِمِ
يَا شِبْعَةَ كَمُلْتَ لِذِي الْإِيمَانِ
٥١٩٦- لَحْمٌ وَخَمْرٌ وَالنِّسَاءُ وَفَوَاكِهِ
وَالطَّيْبُ مَعَ رَوْحٍ وَمَعَ رِيحَانِ
٥١٩٧- وَصِحَافُهُمْ ذَهَبٌ تَطُوفُ عَلَيْهِمْ
بِأَكْفٍ خُدَّامٍ مِنَ الْوِلْدَانِ

٥١٩٨ - وَأَنْظُرْ إِلَى جَعَلِ اللَّذَاذَةَ لِلْعُيُورِ
 ٥١٩٩ - لِلْعَيْنِ مِنْهَا لَذَّةٌ تَدْعُو إِلَى
 ٥٢٠٠ - سَبَبُ التَّنَاوُلِ وَهُوَ يُوجِبُ لَذَّةً
 نِ وَشَهْوَةَ لِلنَّفْسِ فِي الْقُرْآنِ
 شَهَوَاتِهَا بِالنَّفْسِ وَالْأَمْرَانِ
 أُخْرَى سِوَى مَا نَأَلَتِ الْعَيْنَانِ

فصل

في شربهم

٥٢٠١ - يُسْقَمُونَ فِيهَا مِنْ رَحِيقِ خَنْمُهُ
 ٥٢٠٢ - مِنْ خَمْرَةٍ لَذَّتْ لِشَارِبِهَا بِإِلَا
 ٥٢٠٣ - وَالخمر في الدنيا فهذا وصفها
 ٥٢٠٤ - وَبِهَا مِنَ الْأَدْوَاءِ مَا هِيَ أَهْلُهُ
 ٥٢٠٥ - فَنفَى لَنَا الرَّحْمَنُ أَجْمَعَهَا عَنِ الْ
 ٥٢٠٦ - وَشَرَابِهِمْ مِنْ سَلْسَبِيلٍ مَرْجُهُ الْ
 ٥٢٠٧ - هَذَا شَرَابُ أُولِي الْيَمِينِ وَلَكِنْ الْ
 ٥٢٠٨ - يُدْعَى بِتَسْنِيمٍ سَنَامُ شَرَابِهِمْ
 ٥٢٠٩ - صَفَى الْمَقْرَبُ سَعْيَهُ فَصَفَا لَهُ
 ٥٢١٠ - لَكِنَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ فَأَهْلُ مَرْ
 ٥٢١١ - مَرْجِ الشَّرَابِ لَهُمْ كَمَا مَرْجُواهُمْ الْ
 ٥٢١٢ - هَذَا وَدُو التَّخْلِيضِ مَرْجَى أَمْرُهُ
 بِالْمِسْكِ أَوْلُهُ كَمِثْلِ الثَّانِي
 غَوْلٍ وَلَا دَاءٍ وَلَا تُقْصَانِ
 تَغْتَالُ عَقْلَ الشَّارِبِ السَّكْرَانِ
 وَيُخَافُ مِنْ عَدَمِ لَذِي الْوُجْدَانِ
 خَمْرٍ الَّتِي فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
 كَأَفْوَرِ ذَلِكَ شَرَابِ ذِي الْإِحْسَانِ
 أَبْرَارٍ مَشْرَبُهُمْ شَرَابُ ثَانِ
 شِوْبِ الْمَقْرَبِ خَيْرَةَ الرَّحْمَنِ
 ذَلِكَ الشَّرَابُ فَتِلْكَ تَضْفِيَّتَانِ
 جِ بِالْمُبَاحِ وَلَيْسَ بِالْعِضْيَانِ
 أَعْمَالِ ذَلِكَ الْمَرْجُ بِالْمِيزَانِ
 وَالْحُكْمُ فِيهِ لِرَبِّهِ الدِّيَانِ

فصل

في مَصْرِفِ طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ وَهَضْمِهِ

٥٢١٣ - هَذَا وَتَضْرِيفُ الْمَأْكَلِ مِنْهُمْ
 عَرَقٌ يَفِيضُ لَهُمْ مِنَ الْأَبْدَانِ

- ٥٢١٤ - كَرَوَائِحِ الْمِسْكِ الَّذِي مَا فِيهِ خُدُّ
٥٢١٥ - فَتَعُوذُ هَاتِيكَ الْبُطُونُ ضَوَامِرًا
٥٢١٦ - لَا غَائِطُ فِيهَا وَلَا بَوْلٌ وَلَا
٥٢١٧ - وَالْهُمُ جُشَاءٌ رِيحُهُ مِسْكَ يَكُو
٥٢١٨ - هَذَا وَهَذَا صَحَّ عَنْهُ فَوَاحِدٌ



فصل

في لباس أهل الجنة

- ٥٢١٩ - وَهُمْ الْمَلُوكُ عَلَى الْأَسْرَةِ فَوْقَ هَا
٥٢٢٠ - وَلِبَاسُهُمْ مِنْ سُنْدُسٍ خُضِرٍ وَمِنْ
٥٢٢١ - مَا ذَاكَ مِنْ دُودٍ بَنَى مِنْ فَوْقِهِ
٥٢٢٢ - كَلًّا وَلَا نُسِجَتْ عَلَى الْمُنَوَالِ نَسْدٌ
٥٢٢٣ - حُلَلٌ تُشَقُّ ثِمَارُهَا عَنْهَا فَتَبْدُ
٥٢٢٤ - بِيضٌ وَخُضْرٌ ثُمَّ صُفْرٌ ثُمَّ حُمْرٌ
٥٢٢٥ - لَا تَقْبَلُ الدَّنَسَ الْمُقَرَّبَ لِلْيَلَى
٥٢٢٦ - وَنَصِيفٌ إِحْدَاهُنَّ وَهُوَ خِمَارُهَا
٥٢٢٧ - سَبْعُونَ مِنْ حُلَلٍ عَلَيْهَا لَا تَعْو
٥٢٢٨ - لَكِنْ تَرَاهُ مِنْ وَرَا ذَا كُلِّهِ

فصل

في فرشهم وما يتبعها

- ٥٢٢٩ - وَالْفُرُشُ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ قَدْ بَطَّنَتْ مَا ظَنُّكُمْ بِظَهَارَةِ لِبَطَانِ

٥٢٣٠ - مَرْفُوعَةٌ فَوْقَ الْأَسِرَّةِ يَتَّكِي
هُوَ وَالْحَبِيبُ بِخَلْوَةٍ وَأَمَانٍ
٥٢٣١ - يَتَحَدَّثَانِ عَلَى الْأَرَائِكِ مَا تَرَى
حَبَّيْنِ فِي الْخَلَوَاتِ يَنْتَجِحِيَانِ
٥٢٣٢ - هَذَا وَكَمْ زُرِّيَّةٍ وَنَمَارِقٍ
وَوَسَائِدٍ صُفَّتْ بِهَا مُحْسَبَانِ

فصل

في خُلَيِّ أَهْلِ الْجَنَّةِ

٥٢٣٣ - وَالْحُلِيِّ أَصْفَى لَوْلِيٍّ وَزَبْرَجِدٍ
وَكَذَلِكَ أُسُورَةٌ مِنَ الْعَقِيَانِ
٥٢٣٤ - مَا ذَلِكَ يَخْتَصُّ الْإِنَاثَ وَإِنَّمَا
هُوَ لِلْإِنَاثِ كَذَلِكَ لِلذُّكْرَانِ
٥٢٣٥ - التَّارِكِينَ لِبَاسِهِ فِي هَذِهِ الدُّ
نِيَا لِأَجْلِ لِبَاسِهِ بِجَنَانِ
٥٢٣٦ - أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ حَلِيَّتَهُمْ إِلَى
حَيْثُ انْتَهَاءُ وُضُوءِهِمْ بِوِرَانِ
٥٢٣٧ - وَكَذَا وَضُوءُ أَبِي هُرَيْرَةَ كَانَ قَدْ
فَازَتْ بِهِ الْعَضُدَانِ وَالسَّاقَانِ
٥٢٣٨ - وَسِوَاهُ أَنْكَرَ دَا عَلَيْهِ قَائِلًا
مَا السَّاقُ مَوْضِعُ حَلِيَّةِ الْإِنْسَانِ
٥٢٣٩ - مَا ذَلِكَ إِلَّا مَوْضِعُ الْكَعْبَيْنِ وَالرِّ
ئَدَيْنِ لَا السَّاقَانِ وَالْعَضُدَانِ
٥٢٤٠ - وَلِذَاكَ أَهْلُ الْفِقْهِ مُخْتَلِفُونَ فِي
هَذَا وَفِيهِ عِنْدَهُمْ قَوْلَانِ
٥٢٤١ - وَالرَّاجِحُ الْأَقْوَى انْتِهَاءُ وُضُوءِنَا
لِلْمِرْفَقَيْنِ كَذَلِكَ الْكَعْبَانِ
٥٢٤٢ - هَذَا الَّذِي قَدْ حَدَّثَهُ الرَّحْمَنُ فِي الْا
قْرَانِ لَا تَعْدِلُ عَنِ الْقُرْآنِ
٥٢٤٣ - وَاحْفَظْ حُدُودَ الرَّبِّ لَا تَتَعَدَّهَا
وَكَذَلِكَ لَا تَجْنَحْ إِلَى التَّقْصَانِ
٥٢٤٤ - وَأَنْظُرْ إِلَى فِعْلِ الرَّسُولِ تَجِدُهُ قَدْ
أَبْدَى الْمُرَادَ وَجَاءَ بِالتَّبْيَانِ
٥٢٤٥ - وَمَنْ اسْتَطَاعَ يُطِيلُ عُرَّتَهُ فَمَوْ
قُوفٌ عَلَى الرَّاويِ هُوَ الْفَوْقَانِي
٥٢٤٦ - فَأَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ دَا مِنْ كَيْسِهِ
فَعَدَا يُمَيِّزُهُ أَوْلُو الْعِرْفَانِ
٥٢٤٧ - وَنُعَيْمُ الرَّاويِ لَهُ قَدْ شَكَ فِي
رَفْعِ الْحَدِيثِ كَذَا رَوَى الشَّيْبَانِي
٥٢٤٨ - وَإِطَالَةُ الْعُرَاتِ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ
أَبْدًا وَذَا فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ

فصل

في صفة عرائس الجنة وحسنهن وجمالهن ولذة وصالهن ومهورهن

- ٥٢٤٩ - يَا مَنْ يَطُوفُ بِكَعْبَةِ الْحُسْنِ الَّتِي
٥٢٥٠ - وَيَظَلُّ يَسْعَى دَائِمًا حَوْلَ الصَّفَا
٥٢٥١ - وَيَرُومُ قُرْبَانَ الْوِصَالِ عَلَى مَنِي
٥٢٥٢ - فَلِذَا تَرَاهُ مُحْرِمًا أَبَدًا وَمَوْ
٥٢٥٣ - يَبْغِي التَّمَتُّعَ مُفْرِدًا عَنْ جِبِّهِ
٥٢٥٤ - فَيَظَلُّ بِالْجَمْرَاتِ يَرْمِي قَلْبَهُ
٥٢٥٥ - وَالنَّاسُ قَدْ قَضَوْا مَنَاسِكَهُمْ وَقَدْ
٥٢٥٦ - وَحَدَّثَ بِهِمْ هَمَمَ لَهُمْ وَعَزَائِمَ
٥٢٥٧ - رُفِعَتْ لَهُمْ فِي الشَّيْرِ أَعْلَامُ الْوِصَا
٥٢٥٨ - وَرَأَوْا عَلَى بُعْدِ خِيَامًا مُشْرِفًا
٥٢٥٩ - فَتَيَمَّمُوا تِلْكَ الْخِيَامَ فَانَسُوا
٥٢٦٠ - مِنْ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَا تَبْغِي سِوَى
٥٢٦١ - قَصْرَتْ عَلَيْهِ طَرْفُهَا مِنْ حُسْنِهِ
٥٢٦٢ - أَوْ أَنَّهَا قَصْرَتْ عَلَيْهَا طَرْفَهُ
٥٢٦٣ - وَالْأَوَّلُ الْمَعْهُودُ مِنْ وَضْعِ الْخِطَا
٥٢٦٤ - وَلَوْ بَمَا دَلَّتْ إِشَارَتُهُ عَلَى الشَّ
٥٢٦٥ - هَذَا وَلَيْسَ الْقَاصِرَاتُ كَمَنْ عَدَتْ
٥٢٦٦ - يَا مُطَلِّقَ الطَّرْفِ الْمَعْدَبِ فِي الْأَلْيِ
٥٢٦٧ - لَا تَسْبِيَّتَكَ صُورَةٌ مِنْ تَحْتِهَا الدَّ

٥٢٦٨ - قَبِحَتْ خَلَائِقُهَا وَقُبِحَ فِعْلُهَا
 ٥٢٦٩ - تَنَقَّادُ لِلْأَنْدَالِ وَالْأَزْدَالِ هُمْ
 ٥٢٧٠ - مَائِمٌ مِنْ دِينٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا
 ٥٢٧١ - وَجَمَالُهَا زُورٌ وَمَضْنُوعٌ فَإِنْ
 ٥٢٧٢ - طُبِعَتْ عَلَى تَرْكِ الْحِفَاطِ فَمَا لَهَا
 ٥٢٧٣ - إِنْ قَصَرَ السَّاعِي عَلَيْهَا سَاعَةٌ
 ٥٢٧٤ - أَوْ رَامَ تَقْوِيمًا لَهَا اسْتَعَصَتْ وَلَمْ
 ٥٢٧٥ - أَفْكَارُهَا فِي الْمَكْرِ وَالْكَيْدِ الَّذِي
 ٥٢٧٦ - فَجَمَالُهَا قَشْرٌ رَقِيقٌ تَحْتَهُ
 ٥٢٧٧ - نَقْدٌ رَدِيءٌ فَوْقَهُ مِنْ فَضَّةٍ
 ٥٢٧٨ - فَالْتَّاقِدُونَ يَرَوْنَ مَاذَا تَحْتَهُ
 ٥٢٧٩ - أَمَا جَمِيلَاتُ الْوُجُوهِ فَخَائِنَاتُ
 ٥٢٨٠ - وَالْحَافِظَاتُ الْغَيْبِ مِنْهُنَّ الَّتِي
 ٥٢٨١ - فَانظُرْ مَصَارِعَ مَنْ يَلِيكَ وَمَنْ خَلَا
 ٥٢٨٢ - وَازْغَبْ بِعَقْلِكَ أَنْ تَبِيعَ الْعَالِي أَلْ
 ٥٢٨٣ - إِنْ كَانَ قَدْ أَغْيَاكَ حَوْذٌ مِثْلُ مَا
 ٥٢٨٤ - فَاخْطُبْ مِنَ الرَّحْمَنِ حَوْذًا ثُمَّ قَدْ
 ٥٢٨٥ - ذَاكَ التَّكَاخُ عَلَيْكَ أَيْسَرُ إِنْ يَكُنْ
 ٥٢٨٦ - وَاللَّهِ لَمْ تَخْرُجْ إِلَى الدُّنْيَا لِلدُّ
 ٥٢٨٧ - لَكِنْ خَرَجْتَ لِكَيْ تُعِدَّ الزَّادَ لِدْ
 ٥٢٨٨ - أَهْمَلْتَ جَمْعَ الزَّادِ حَتَّى قَاتَ بَلْ
 ٥٢٨٩ - وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ سَلِيمَةٌ
 ٥٢٩٠ - لَكِنَّهَا سَكْرَى بِحُبِّ حَيَاتِهَا الدُّ

فصل

- ٥٢٩١ - فَاسْمَعِ صِفَاتِ عَرَائِسِ الْجَنَّاتِ ثُمَّ مِ
 ٥٢٩٢ - حُورٌ حِسَانٌ قَدْ كَمُلْنَ خَلَائِقًا
 ٥٢٩٣ - حَتَّى يَحَارَ الطَّرْفُ فِي الْحُسْنِ الَّذِي
 ٥٢٩٤ - وَيَقُولُ لَمَّا أَنْ يُشَاهِدُ حُسْنَهَا
 ٥٢٩٥ - وَالطَّرْفُ يَشْرَبُ مِنْ كُؤُوسِ جَمَالِهَا
 ٥٢٩٦ - كَمَلَتْ خَلَائِقُهَا وَأُكْمِلَ حُسْنُهَا
 ٥٢٩٧ - وَالشَّمْسُ تَجْرِي فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا
 ٥٢٩٨ - فَتَرَاهُ يَعْجَبُ وَهُوَ مَوْضِعُ ذَلِكَ مِنْ
 ٥٢٩٩ - وَيَقُولُ سُبْحَانَ الَّذِي ذَا صُنْعُهُ
 ٥٣٠٠ - لَا اللَّيْلُ يُدْرِكُ شَمْسَهَا فَتَغِيبَ عِنْدَ
 ٥٣٠١ - وَالشَّمْسُ لَا تَأْتِي بِطَرْدِ اللَّيْلِ بَلْ
 ٥٣٠٢ - وَكِلَاهُمَا مِرْآةٌ صَاحِبِهِ إِذَا
 ٥٣٠٣ - فَيَرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ فِي وَجْهِهَا
 ٥٣٠٤ - حُمْرُ الْخُدُودِ تُغَوِّهُنَّ لِأَلْيَاءِ
 ٥٣٠٥ - وَالْبُرُوقُ يَبْدُو حِينَ يَبْسِمُ ثَغْرَهَا
 ٥٣٠٦ - وَلَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّ بَرُوقًا لَامِعًا
 ٥٣٠٧ - فَيُقَالُ هَذَا ضَوْءُ ثَغْرِ ضَاحِكٍ
 ٥٣٠٨ - لِلَّهِ لَا تُنْمِ ذَلِكَ الثَّغْرَ الَّذِي
 ٥٣٠٩ - رِيَانَةُ الْأَعْطَافِ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ
 ٥٣١٠ - لَمَّا جَرَى مَاءُ النَّعِيمِ بِغُضْنِهَا
 ٥٣١١ - فَالْوَرْدُ وَالثَّقَافُ وَالرُّمَّانُ فِي
 ٥٣١٢ - وَالْقَدُّ مِنْهَا كَالْقَضِيبِ اللَّذَنِ فِي

٥٣١٣ - فِي مَعْرِسٍ كَالْعَاجِ تَحْسَبُ أَنَّهُ
 ٥٣١٤ - لَا الظَّهْرُ يَلْحَقُهُ وَلَيْسَ تُدِيئُهَا
 ٥٣١٥ - لَكِنَّهُنَّ كَوَاعِبٌ وَنَوَاهِدُ
 ٥٣١٦ - وَالجَيْدُ ذُو طُولٍ وَحُسْنٍ فِي بَيَا
 ٥٣١٧ - يَشْكُو الحُلِيِّ بِعَادَهُ فَلَهُ مَدَى الْ
 ٥٣١٨ - وَالْمِعْصَمَانِ فَإِنْ تَشَأْ شَبَّهَهُمَا
 ٥٣١٩ - كَالزُّبْدِ لِيناً فِي نُعُومَةٍ مَلْمَسٍ
 ٥٣٢٠ - وَالصَّدْرُ مُتَّسِعٌ عَلَى بَطْنٍ لَهَا
 ٥٣٢١ - وَعَلَيْهِ أَحْسَنُ سُرَّةٍ هِيَ مَجْمَعُ الْ
 ٥٣٢٢ - حُقِّ مِنَ العَاجِ اسْتَدَارَ وَحَوْلُهُ
 ٥٣٢٣ - وَإِذَا انْحَدَرَتْ رَأَيْتَ أَمْرًا هَائِلًا
 ٥٣٢٤ - لَا الحَيْضُ يَغْشَاهُ وَلَا بَوْلٌ وَلَا
 ٥٣٢٥ - فَخِذَانِ قَدْ حَقَّ بِهِ حِرْسًا لَهُ
 ٥٣٢٦ - قَامَا بِخِدْمَتِهِ هُوَ السُّلْطَانُ بِيَدِ
 ٥٣٢٧ - وَهُوَ الْمُطَاعُ أَمِيرُهُ لَا يَنْتَهِي
 ٥٣٢٨ - وَجَمَاعُهَا فَهُوَ الشُّفَاءُ لِصَبَّهَا
 ٥٣٢٩ - وَإِذَا يُجَامِعُهَا تَعُودُ كَمَا انْتَشَتْ
 ٥٣٣٠ - فَهُوَ الشَّهِيءُ وَغَضُوهُ لَا يَنْثَنِي
 ٥٣٣١ - وَلَقَدْ رَوَيْتَنَا أَنْ شُغِلَهُمُ الَّذِي
 ٥٣٣٢ - شُغِلَ العَرُوسِ بِعَرُوسِهِ مِنْ بَعْدِ مَا
 ٥٣٣٣ - بِاللَّهِ لَا تَسْأَلُهُ عَنْ أَشْغَالِهِ
 ٥٣٣٤ - وَأَضْرَبَ لَهُ مَثَلًا بِصَبِّ غَابٍ عَنْ
 ٥٣٣٥ - وَالشُّوقُ يُزْعِجُهُ إِلَيْهِ وَمَا لَهُ

عَالِي النَّقَا أَوْ وَاحِدُ الكُثْبَانِ
 بِلَوَاحِقِ اللَّبْطَنِ أَوْ بِدَوَانِ
 فَهُوَ ذُهْنٌ كَاللَّطْفِ الرُّمَّانِ
 ضٍ وَاعْتِدَالٍ لَيْسَ ذَا نُكْرَانِ
 أَيَّامٍ وَسَوَاسٍ مِنَ الهِجْرَانِ
 بِسَبِيكَتَيْنِ عَلَيْهِمَا كَفَّانِ
 أَضْدَافٌ دُرٌّ دُوْرَتْ بِـوِرَانِ
 حَقَّتْ بِهِ خُضْرَانِ ذَاتُ ثَمَانِ
 خَضْرَيْنِ قَدْ غَارَتْ مِنَ الأَعْكَانِ
 حَبَّاتُ مِسْكِ جَلَّ ذُو الإِثْقَانِ
 مَا لِلصَّفَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
 شَيْءٍ مِنَ الآفَاتِ فِي النُّسُوانِ
 فَجَنَابُهُ فِي عِرَّةٍ وَصِيَانِ
 نَهْمًا وَحَقٌّ طَاعَةُ السُّلْطَانِ
 عَنْهُ وَلَا هُوَ عِنْدَهُ بِجَبَانِ
 فَالصَّبُّ مِنْهُ لَيْسَ بِالضُّجْرَانِ
 بِكُرًّا بِغَيْرِ دَمٍ وَلَا نُقْصَانِ
 جَاءَ الحَدِيثُ بِذَا بِلَا نُكْرَانِ
 قَدْ جَاءَ فِي «يَسْ» ذُونَ بَيَانِ
 عَبِثْتُ بِهِ الأَشْوَاقُ طُولَ زَمَانِ
 تِلْكَ اللَّيَالِي شَأْنُهُ ذُو شَانِ
 مَحْبُوبِهِ فِي شَاسِعِ البُلْدَانِ
 بِلِقَائِهِ سَبَبٌ مِنَ الإِمْكَانِ

٥٣٣٦ - وَافَى إِلَيْهِ بَعْدَ طُولِ مَغِيْبِهِ
 ٥٣٣٧ - أَتَلُوْمُهُ أَنْ صَارَ ذَا شُعْلِ بِهِ
 ٥٣٣٨ - يَا رَبِّ غَفْرًا قَدْ طَعْتُ أَفْلَامَنَا
 عَنْهُ وَصَارَ الْوَضْلُ ذَا إِمْكَانٍ
 لَا وَالَّذِي أَعْطَى بِلَا حُسْبَانٍ
 يَا رَبِّ مَعْدِرَةً مِنَ الطُّغْيَانِ

فصل

٥٣٣٩ - أَقْدَامُهَا مِنْ فِضَّةٍ قَدْ رُكِبَتْ
 ٥٣٤٠ - وَالسَّاقُ مِثْلُ الْعَاجِ مَلْمُومٌ يُرَى
 ٥٣٤١ - وَالرَّيْحُ مِسْكٌ وَالْجُسُومُ نَوَاعِمُ
 ٥٣٤٢ - وَكَلَامُهَا يَسْبِي الْعُقُولَ بِنِعْمَةٍ
 ٥٣٤٣ - وَهِيَ الْعَرُوبُ بِشَكْلِهَا وَبِدَلِّهَا
 ٥٣٤٤ - وَهِيَ الَّتِي عِنْدَ الْجَمَاعِ تَزِيدُ فِي
 ٥٣٤٥ - لُطْفًا وَحُسْنٍ تَبْعُلُ وَتَعْتُجُ
 ٥٣٤٦ - تِلْكَ الْحَلَاوَةُ وَالْمَلَاخَةُ أَوْجَبَا
 ٥٣٤٧ - فَمَلَاخَةُ التَّصْوِيرِ قَبْلَ غَنَاجِهَا
 ٥٣٤٨ - فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِصَبِّ وَامِقٍ
 مِنْ فَوْقِهَا سَاقَانِ مُلْتَفَّانِ
 مُخَّ الْعِظَامِ وَرِزَاءُهُ بِعِيَانِ
 وَاللُّؤُنُ كَالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ
 زَادَتْ عَلَى الْأُوتَارِ وَالْعِيدَانِ
 وَتَحَبُّبِ الزَّوْجِ كُلِّ أَوَانِ
 حَرَكَاتِهَا لِلْعَيْنِ وَالْآذَانِ
 وَتَحَبُّبِ تَفْسِيرِ ذِي الْعِرْفَانِ
 إِطْلَاقَ هَذَا اللَّفْظِ وَضَحَ لِسَانِ
 هِيَ أَوَّلُ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي
 بَلَعَتْ بِهِ اللَّذَاتُ كُلَّ مَكَانِ

فصل

٥٣٤٩ - أَثْرَابُ سِنٍَّ وَاحِدٍ مُتَمَائِلٍ
 ٥٣٥٠ - بِكُرِّ فَلَمْ يَأْخُذْ بِكَارَتِهَا سِوَى أَلٍ
 ٥٣٥١ - حِضْنٌ عَلَيْهِ حَارِسٌ مِنْ أَعْظَمِ أَلٍ
 ٥٣٥٢ - وَإِذَا أَحْسَنَ بِدَاخِلِ لِلْحِضْنِ وَلَى م
 سِنَّ الشُّبَابِ لِأَجْمَلِ الشُّبَّانِ
 مَحْبُوبٍ مِنْ إِنْسٍ وَلَا مِنْ جَانِ
 حُرَّاسٍ بِأَسْأَسَائْتُهُ دُوشَانِ
 هَارِبًا فَتَرَاهُ ذَا إِمْعَانِ

- ٥٣٥٣ - وَيَعُودُ وَهَنَا حِينَ رَبَّ الْحِضْنِ يَخُ
٥٣٥٤ - وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّهَا
٥٣٥٥ - لَكِنَّ دَرَجَاتِ أبا السَّمْحِ الَّذِي
٥٣٥٦ - هَذَا وَبَعْضُهُمْ يُصَحِّحُ عَنْهُ فِي التَّ
٥٣٥٧ - فَحَدِيثُهُ دُونَ الصَّحِيحِ وَإِنَّهُ
٥٣٥٨ - يُعْطَى الْمُجَامِعُ قُوَّةَ الْمَائَةِ الَّتِي اج
٥٣٥٩ - لَا أَنْ قُوَّتَهُ تُضَاعَفُ هَكَذَا
٥٣٦٠ - وَيَكُونُ أَقْوَى مِنْهُ ذَا نَقْصٍ مِنَ ال
٥٣٦١ - وَلَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّهُ يَغْشَى بِيَوْ
٥٣٦٢ - وَرَجَالُهُ شَرُطُ الصَّحِيحِ رَوَوْا لَهُمْ
٥٣٦٣ - هَذَا دَلِيلٌ أَنْ قَدْرَ نِسَائِهِمْ
٥٣٦٤ - وَبِهِ يَزُولُ تَوْهُمُ الإِسْكَالِ عَنْ
٥٣٦٥ - وَبِقُوَّةِ الْمَائَةِ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ
٥٣٦٦ - وَأَعْفُفُهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ ال
٥٣٦٧ - فَاجْمَعْ قُورَاكَ لِمَا هُنَاكَ وَغَمَّضِ ال
٥٣٦٨ - مَا هُنَا وَاللَّهِ مَا يَسْوَى قُلَا
٥٣٦٩ - مَا هُنَا إِلَّا النُّفَارُ وَسَيِّءُ ال
٥٣٧٠ - هَمٌّ وَغَمٌّ دَائِمٌ لَا يَنْتَهِي
٥٣٧١ - وَاللَّهِ قَدْ جَعَلَ النِّسَاءَ عَوَانِيَاءَ
٥٣٧٢ - لَا تُؤَثِّرُ الأَدْنَى عَلَى الأَعْلَى فَإِنْ

فصل

- ٥٣٧٣ - وَإِذَا بَدَتْ فِي حُلَّةٍ مِنْ لِبْسِهَا وَتَمَايَلَتْ كَتَمَائِلِ النَّشْوَانِ

- ٥٣٧٤ - تَهْتَزُ كَالْغُضَنِ الرَّطِيبِ وَحَمْلُهُ
٥٣٧٥ - وَتَبَخَّرَتْ فِي مَشِيهَا وَيَحِقُّ ذَا
٥٣٧٦ - وَوَصَائِفٌ مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا
٥٣٧٧ - كَالْبَدْرِ لَيْلَةٌ تَمُّهُ قَدْ حُفَّ فِي
٥٣٧٨ - فَالطَّرْفُ مِنْهُ وَقَلْبُهُ وَلِسَانُهُ
٥٣٧٩ - وَالْقَلْبُ قَبْلَ زَفَافِهَا فِي عُرْسِهِ
٥٣٨٠ - حَتَّى إِذَا مَا وَاجَهْتُهُ تَقَابَلَا
٥٣٨١ - فَسَلِ الْمُتَيِّمَ هَلْ يَجِلُّ الصَّبْرُ عَنْ
٥٣٨٢ - وَسَلِ الْمُتَيِّمَ أَيْنَ خَلْفَ صَبْرِهِ
٥٣٨٣ - وَسَلِ الْمُتَيِّمَ كَيْفَ حَالَتُهُ وَقَدْ
٥٣٨٤ - مِنْ مَنْطِقِ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَوَجَدَ
٥٣٨٥ - وَسَلِ الْمُتَيِّمَ كَيْفَ عَيْشَتُهُ إِذَا
٥٣٨٦ - يَتَسَاقَطَانِ لِأَلْمَاءِ مَنْشُورَةً
٥٣٨٧ - وَسَلِ الْمُتَيِّمَ كَيْفَ مَجْلِسُهُ مَعَ الْ
٥٣٨٨ - وَتَدْوُرُ كَأَسَاتِ الرَّحِيقِ عَلَيْهِمَا
٥٣٨٩ - يَتَنَازَعَانِ الْكَأْسَ هَذَا مَرَّةً
٥٣٩٠ - فَيَضُمُّهَا وَتَضُمُّهُ أَرَأَيْتَ مَعَدَّ
٥٣٩١ - غَابَ الرَّقِيبُ وَعَابَ كُلُّ مَنْكَدٍ
٥٣٩٢ - أَتَرَاهُمَا ضَجْرَيْنِ مِنْ ذَا الْعَيْشِ لَا
٥٣٩٣ - وَيَزِيدُ كُلُّ مِنْهُمَا حُبًّا لِصَا
٥٣٩٤ - فَوِصَالُهُ يَكْشُوهُ حُبًّا بَعْدَهُ
٥٣٩٥ - فَالْوَصْلُ مَحْفُوفٌ بِحُبِّ سَابِقِ
٥٣٩٦ - فَرَوْقٌ لَطِيفٌ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ ذَا
- وَرَدُّ وَتُقْفَاحٌ عَلَى رُؤْمَانِ
لِكَ لِمِثْلِهَا فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
وَعَلَى شَمَائِلِهَا وَعَنْ أَيْمَانِ
عَسَقِ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ الْمِيزَانِ
فِي الدَّهْشِ وَالْإِعْجَابِ وَالشُّبْحَانِ
وَالْعُرْسِ إِثْرَ الْعُرْسِ مُتَّصِلَانِ
أَرَأَيْتَ قَطُّ تَقَابُلَ الْقَمَرَانِ؟
ضَمٌّ وَتَقْفِيلٌ وَعَنْ فَلَئَانِ؟
فِي أَيِّ وَاِدِ أَمْ بِأَيِّ مَكَانِ؟
مُلَّتْ لَهُ الْأُذُنَانِ وَالْعَيْنَانِ
إِهْ كَمْ بِهِ لِلشَّمْسِ مِنْ جَرِيَانِ؟
وَهُمَا عَلَى فَرْشَيْهِمَا خِلْوَانِ
مِنْ بَيْنِ مَنْظُومٍ كَنْظُمِ جَمَانِ؟
مَحْبُوبٌ فِي رَوْحٍ وَفِي رِيحَانِ
بِأَكْفٍ أَقْمَارٍ مِنَ الْوِلْدَانِ
وَالْحَوْذِ أُخْرَى ثُمَّ يَتَّكِيَانِ
شَوْقَيْنِ بَعْدَ الْبُعْدِ يَلْتَقِيَانِ
وَهُمَا بِشُوبِ الْوَصْلِ مُشْتَمِلَانِ
وَحَيَاةِ رَبِّكَ مَا هُمَا ضَجْرَانِ
حَبِيبِهِ جَدِيداً سَائِرِ الْأَزْمَانِ
مُتَسَلِّسِلاً لَا يَنْتَهِي بِزَمَانِ
وَبِالْحَقِّ وَكِلَاهُمَا صِنُوانِ
يَدْرِيه دُو شُغْلِ بِهَذَا الشَّانِ

- ٥٣٩٧ - وَمَزِيدُهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَاصِلٌ
٥٣٩٨ - يَا غَافِلًا عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ أَنْتَبِهْ
٥٣٩٩ - سَارَ الرَّفَاقُ وَخَلَّفُوكَ مَعَ الْأُلَى
٥٤٠٠ - وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَخَلِّفًا
٥٤٠١ - لَكِنْ أَتَيْتَ بِخُطَّتِي عَجِزٍ وَجَهْدٍ
٥٤٠٢ - مَتَّكْتَ نَفْسَكَ بِاللَّحَاقِ مَعَ الْقُعُورِ
٥٤٠٣ - وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِينَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا

* * *

فصل

في ذكر الخلاف بين الناس هل تحبل نساء أهل الجنة أم لا؟

- ٥٤٠٤ - وَالنَّاسُ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ هَلْ بِهَا
٥٤٠٥ - فَتَفَاهُ طَاووسٌ وَإِبْرَاهِيمُ ثُمَّ م
٥٤٠٦ - وَرَوَى الْمُقْبِلِيُّ الصَّدُوقُ أَبُو رَزِي
٥٤٠٧ - أَنْ لَا تَوَالِدَ فِي الْجَنَانِ رَوَاهُ تَعَف
٥٤٠٨ - وَحَكَاهُ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ إِس
٥٤٠٩ - لَا يُسْتَهَى وَلَدٌ بِهَا وَلَوْ اشْتَهَا
٥٤١٠ - وَرَوَى هِشَامٌ لابنِهِ عَنْ عَامِرٍ
٥٤١١ - أَنَّ الْمُتَنَعَّمِ فِي الْجَنَانِ إِذَا اشْتَهَى أَل
٥٤١٢ - فَالْحَمْلُ ثُمَّ الْوَضْعُ ثُمَّ السَّنُّ فِي
٥٤١٣ - إِسْنَادُهُ عِنْدِي صَحِيحٌ قَدْ رَوَا
٥٤١٤ - وَرِجَالُ ذَلِكَ الْإِسْنَادِ مُخْتَجٌّ بِهِمْ

- ٥٤١٥ - لَكِنْ غَرِيبٌ مَا لَهُ مِنْ شَاهِدٍ
- ٥٤١٦ - لَوْلَا حَدِيثُ أَبِي رَزِينٍ كَانَ ذَا
- ٥٤١٧ - وَلِذَلِكَ أَوْلَهُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بِالشَّـ
- ٥٤١٨ - وَبِذَلِكَ رَامَ الْجَمْعَ بَيْنَ حَدِيثِهِ
- ٥٤١٩ - هَذَا وَفِي تَأْوِيلِهِ نَظَرٌ فَإِنَّ م
- ٥٤٢٠ - وَلَرُبَّمَا جَاءَتْ لِعَیْرِ تَحْقِيقِ
- ٥٤٢١ - وَاحْتِجَّ مَنْ نَصَرَ الْوِلَادَةَ أَنَّ فِي الـ
- ٥٤٢٢ - وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الْبَنِينَ مَعَ النِّسَاءِ
- ٥٤٢٣ - فَأَجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ لَا يَشْتَهِي
- ٥٤٢٤ - وَاحْتِجَّ مَنْ مَنَعَ الْوِلَادَةَ أَنَّهَا
- ٥٤٢٥ - حَيْضٌ وَإِنزَالُ الْمَنِيِّ وَذَانِكَ الـ
- ٥٤٢٦ - [لَكِنَّمَا الْمَوْجُودُ نَوْعٌ غَيْرُ مَعْدٍ
- ٥٤٢٧ - وَرَوَى صُدِّيٌّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ أَنَّ م
- ٥٤٢٨ - بَلْ لَا مَنِيٍّ وَلَا مَنِيَّةَ هَكَذَا
- ٥٤٢٩ - وَأَجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ نَوْعٌ سِوَى الـ
- ٥٤٣٠ - فَالْتَّفِي لِلْمَعْهُودِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الـ
- ٥٤٣١ - وَاللَّهُ خَالِقُ نَوْعِنَا مِنْ أَرْبَعِ
- ٥٤٣٢ - ذَكَرَ وَأُنْثَى وَالَّذِي هُوَ ضِدُّهُ
- ٥٤٣٣ - وَالْعَكْسُ أَيْضاً مِثْلُ حَوَا أُمَّنَا
- ٥٤٣٤ - وَكَذَلِكَ مَوْلُودُ الْجِنَانِ يَجُوزُ أَنْ
- ٥٤٣٥ - وَالْأَمْرُ فِي ذَا مُمْكِنٌ فِي نَفْسِهِ
- ٥٤٣٦ - [فَلِذَلِكَ عِنْدِي الْوَقْفُ حَتَّى يَسْتَبِيحَ
- فَرُودٌ بِذَا الْإِسْنَادِ لَيْسَ بِثَانِي
- كَالنَّصِّ يَفْرُبُ مِنْهُ فِي التَّبْيَانِ
- رُوطِ الَّذِي هُوَ مُنْتَفِي الْوَجْدَانِ
- وَأَبِي رَزِينٍ وَهُوَ ذُو إِمْكَانِ
- إِذَا لَتَحْقِيقِي وَذِي إِيقَانِ
- وَالْعَكْسُ فِي إِنْ ذَاكَ وَضَعُ لِسَانِ
- جَنَاتِ سَائِرِ شَهْوَةِ الْإِنْسَانِ
- مِنْ أَعْظَمِ الشَّهَوَاتِ فِي الْقُرْآنِ
- وَلِدَاً وَلَا حَبَلاً مِنَ النِّسْوَانِ
- مَلْزُومَةً أَمْرَانِ مُمْتَنِعَانِ
- أَمْرَانِ فِي الْجَنَاتِ مَفْقُودَانِ
- هُودٍ فَمَاذَا النَفْيُ وَالْإِثْبَاتُ مِتْحَدَانِ [
- مَنِيَّهِمْ إِذْ ذَاكَ ذُو فُقْدَانِ
- يَرْوِي سُلَيْمَانُ هُوَ الطَّبْرَانِي
- مَعْهُودٍ فِي الدُّنْيَا مِنَ النِّسْوَانِ
- إِسْلَادٍ وَالْإِثْبَاتُ نَوْعٌ ثَانِ
- مُتَقَابِلَاتٍ كُلُّهَا بِوَرَانِ
- وَكَذَلِكَ مِنْ أُنْثَى بِلَا ذُكْرَانِ
- هِيَ أَرْبَعُ مَعْلُومَةُ التَّبْيَانِ
- يَأْتِي بِلَا حَيْضٍ وَلَا فَيْضَانِ
- وَالْقَطْعُ مُمْتَنِعٌ بِلَا بُرْهَانِ
- رَنْ لِي الصَّوَابُ بِفَضْلِ ذِي الْإِحْسَانِ [

فصل

في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى ونظرهم إلى وجهه الكريم

- ٥٤٣٧ - وَيَرَوْنَهُ شُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ
٥٤٣٨ - هَذَا تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ
٥٤٣٩ - وَأَتَى بِهِ الْقُرْآنُ تَضْرِيحاً وَتَعْد
٥٤٤٠ - وَهِيَ الزِّيَادَةُ قَدْ أَتَتْ فِي يُونُسٍ
٥٤٤١ - وَرَوَاهُ عَنْهُ مُسْلِمٌ بِصَحِيحِهِ
٥٤٤٢ - وَهُوَ الْمَزِيدُ كَذَاكَ فَسَّرَهُ أَبُو
٥٤٤٣ - وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الرَّسُولِ وَتَابِعُو
٥٤٤٤ - وَلَقَدْ أَتَى ذِكْرُ اللَّقَاءِ لِرَبِّنَا الرَّ
٥٤٤٥ - وَلَقَاؤُهُ إِذْ ذَاكَ رُؤْيَتْهُ حَكَى الْ
٥٤٤٦ - وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ جَمِيعُهُمْ
٥٤٤٧ - هَذَا وَيَكْفِي أَنَّهُ شُبْحَانَهُ
٥٤٤٨ - وَأَعَادَ أَيْضاً وَصَفَهَا نَظْراً وَذَا
٥٤٤٩ - وَأَتَتْ أَدَاةُ «إِلَى» لِرَفْعِ الْوَهْمِ مِنْ
٥٤٥٠ - وَأَصَافَهُ لِمَحَلِّ رُؤْيَتِهِمْ بِذِكْرِ الْو
٥٤٥١ - تَالَهُ مَا هَذَا بِفِكْرٍ وَانْتِظَا
٥٤٥٢ - مَا فِي الْجَنَانِ مِنْ انْتِظَارِ مُؤَلِّمٍ
٥٤٥٣ - لَا تُفْسِدُوا لَفْظَ الْكِتَابِ فَلَيْسَ فِيهِ
٥٤٥٤ - مَا فَوْقَ ذَا التَّضْرِيحِ شَيْءٌ مَا الَّذِي
٥٤٥٥ - لَوْ قَالَ أَبُو بَيْنٍ مَا يُقَالُ لَقُلْتُمْ
- نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
يُنْكِرُهُ إِلَّا فَاسِدُ الْإِيمَانِ
رِيضاً هُمَا بِسِيَاقِهِ نُوْعَانِ
تَفْسِيرٍ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
يَزُوي ضَهَيْبٌ ذَا بِلَا كَثْمَانِ
بَكْرٍ هُوَ الصَّدِيقُ ذُو الْإِيْقَانِ
هُم بَعْدَهُمْ تَبَعِيَّةُ الْإِحْسَانِ
خَلَمَنَ فِي سُورٍ مِنَ الْقُرْآنِ
إِجْمَاعٍ فِيهِ جَمَاعَةٌ بِبَيَانِ
لُغَةً وَعُرْفًا لَيْسَ يَخْتَلِفَانِ
وَصَفَ الْوُجُوهَ بِنَضْرَةٍ بِجَنَانِ
لَا شَكَّ يُفْهِمُ رُؤْيَةَ بَعِيَانِ
فِكْرٍ كَذَاكَ تَرَقُّبُ الْإِنْسَانِ
جِهَ إِذْ قَامَتْ بِهِ الْعَيْنَانِ
رِ مُعَيَّبٍ أَوْ رُؤْيَةَ بِجَنَانِ
وَاللَّفْظُ يَأْبَاهُ لِذِي الْعُرْفَانِ
بِهِ حَيْلَةٌ يَا فِرْقَةَ الرُّوْعَانِ
يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْدِ ذَا التَّبْيَانِ؟
هُوَ مُجْمَلٌ مَا فِيهِ مِنْ تَبْيَانِ

- ٥٤٥٦ - وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ التَّطْفِيفِ أَنَّ م الْقَوْمَ قَدْ حُجِبُوا عَنِ الرَّحْمَنِ
٥٤٥٧ - فَيَدُلُّ بِالْمَفْهُومِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ مَن يَرُونَهُ فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
٥٤٥٨ - وَيَبْدَأُ اسْتِدْلَالَ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدُ وَسِوَاهِمَا مِنْ عَالِمِي الْأَزْمَانِ
٥٤٥٩ - وَأَتَى بِدَأِ الْمَفْهُومِ تَضْرِيحاً بآ خِرَهَا فَلَا تُخَدَعُ عَنِ الْقُرْآنِ
٥٤٦٠ - وَأَتَى بِذَلِكَ مُكَذِّباً لِلْكَافِرِينَ مَن السَّاخِرِينَ بِشِيعَةِ الرَّحْمَنِ
٥٤٦١ - ضَحِكُوا مِنْ الْكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ كَمَا ضَحِكُوا هُمْ مِنْهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ
٥٤٦٢ - وَأَتَابَهُمْ نَظراً إِلَيْهِ ضِدَّ مَا قَدْ قَالَهُ فِيهِمْ أَوْلُو الْكُفْرَانِ
٥٤٦٣ - فَلِذَلِكَ فَسَّرَهَا الْأَيْمَّةُ أَنَّهُ نَظَرُوا إِلَى الرَّبِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ
٥٤٦٤ - لِلَّهِ ذَلِكَ الْفَهْمُ يُؤْتِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ مَن جَادَ بِالْإِحْسَانِ
٥٤٦٥ - وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ مُسْنِداً عَنْ جَابِرِ خَبِراً وَشَاهِدُهُ فِي الْقُرْآنِ
٥٤٦٦ - بَيْنَاهُمْ فِي عَيْشِهِمْ وَسُرُورِهِمْ وَنَعِيمِهِمْ فِي لَذَّةٍ وَتَهَانِي
٥٤٦٧ - وَإِذَا بُسُورٍ سَاطِعٍ قَدْ أَشْرَقَتْ مِنْهُ الْجَنَانُ قَصِيئُهَا وَالذَّانِي
٥٤٦٨ - رَفَعُوا إِلَيْهِ رُؤُوسَهُمْ فَرَأَوْهُ نُورَ رَ الرَّبِّ لَا يَخْفَى عَلَى إِنْسَانٍ
٥٤٦٩ - وَإِذَا بَرَّبَّهُمْ تَعَالَى فَوْقَهُمْ قَدْ جَاءَ لِلتَّسْلِيمِ بِالْإِحْسَانِ
٥٤٧٠ - قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَيَرُونَهُ جَهراً تراه منهم العِينَانِ
٥٤٧١ - مِضْدَاقُ ذَا «يَس» قَدْ ضَمِنَتْهُ عِنْدَ لَدِ الْقَوْلِ مِنْ رَبِّ بِهِمْ رَحْمَنِ
٥٤٧٢ - مَن رَدَّ ذَا فَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ رَدِّ م وَسَوْفَ عِنْدَ اللَّهِ يَلْتَقِيَانِ
٥٤٧٣ - فِي ذَا الْحَدِيثِ عُلُوُّهُ وَكَلَامُهُ وَمَجِيئُهُ حَتَّى يُرَى بِعِيَانِ
٥٤٧٤ - هَذَا أَصُولُ الدِّينِ فِي مَضْمُونِهِ لَا قَوْلُ جَهْمِ صَاحِبِ الْبُهْتَانِ
٥٤٧٥ - وَكَذَا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ ذَلِكَ أَلْ حَبْرُ الطَّوِيلُ أَتَى بِهِ الشَّيْخَانِ
٥٤٧٦ - فِيهِ تَجَلَّى الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ وَمَجِيئُهُ وَكَلَامُهُ بِبَيَانِ
٥٤٧٧ - وَكَذَلِكَ رُؤْيُئُهُ وَتَكْلِيمُ لِمَن يَخْتَارُهُ مِنْ أُمَّةِ الْإِنْسَانِ
٥٤٧٨ - فِيهِ أَصُولُ الدِّينِ أَجْمَعُهَا فَلَا تَخْدَعُكَ عَنْهُ شِيعَةُ الشَّيْطَانِ

- ٥٤٧٩ - وَحَكَى رَسُولُ اللَّهِ فِيهِ تَجَدُّدَ الْ
٥٤٨٠ - إِجْمَاعَ أَهْلِ الْعَزْمِ مِنْ رُسُلِ الْإِلَادِ
٥٤٨١ - لَا تُخَدَعَنَّ عَنِ الْحَدِيثِ بِهَذِهِ الْ
٥٤٨٢ - أَصْحَابِهَا أَهْلُ التَّخْرُصِ وَالتَّنَا
٥٤٨٣ - يَكْفِيكَ أَنَّكَ لَوْ حَرَضْتَ فَلَنْ تَرَى
٥٤٨٤ - إِلَّا إِذَا مَا قَالُوا لِسِوَاهُمَا
٥٤٨٥ - وَيَقُولُهُمْ أَعْمَى يُظَنُّ كَمُبْصِرٍ
٥٤٨٦ - هَلْ يَسْتَوِي هَذَا وَمُبْصِرٌ رُشِدِهِ
٥٤٨٧ - أَوْ مَا سَمِعْتَ مُنَادِي الْإِيمَانِ يُخَدِّ
٥٤٨٨ - يَا أَهْلَهَا لَكُمْ لَدَى الرَّحْمَنِ وَعَد
٥٤٨٩ - قَالُوا أَمَا بَيَّضْتَ أَوْجُهَنَا كَذَا
٥٤٩٠ - وَكَذَلِكَ قَدْ أَدْخَلْتَنَا الْجَنَاتِ حَيْ
٥٤٩١ - فَيَقُولُ عِنْدِي مَوْعِدٌ قَدْ أَنْ
٥٤٩٢ - فَيَرُونَهُ مِنْ بَعْدِ كَشْفِ حِجَابِهِ
٥٤٩٣ - وَلَقَدْ أَنَا فِي الصَّحِيحِينَ اللَّذِي
٥٤٩٤ - بِرِوَايَةِ الثَّقَةِ الصَّدُوقِ جَرِيرٍ أَل
٥٤٩٥ - أَنَّ الْعِبَادَ يَرُونَهُ شُبْحَانَهُ
٥٤٩٦ - فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ كُلَّ وَقْتٍ فَاحْفَظُوا أَل
٥٤٩٧ - وَلَقَدْ رَوَى بِضَعِّ وَعَشْرُونَ امراً
٥٤٩٨ - أَخْبَارَ هَذَا الْبَابِ عَمَّنْ قَدْ أَتَى
٥٤٩٩ - وَالَّذِي شَيْءٌ لِلْقُلُوبِ فَهَذِهِ أَل
٥٥٠٠ - وَاللَّهُ لَوْلَا رُؤْيَاهُ الرَّحْمَنِ فِي أَل
٥٥٠١ - أَعْلَى النَّعِيمِ نَعِيمٌ رُؤْيَاهُ وَجْهِهِ

- ٥٥٠٢ - وَأَشَدُّ شَيْءٍ فِي الْعَذَابِ حِجَابُهُ
٥٥٠٣ - وَإِذَا رَأَهُ الْمُؤْمِنُونَ نَسُوا الَّذِي
٥٥٠٤ - فَإِذَا تَوَارَى عَنْهُمْ عَادُوا إِلَى
٥٥٠٥ - فَلَهُمْ نَعِيمٌ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ سِوَى
٥٥٠٦ - أَوْ مَا سَمِعْتَ سُؤَالَ أَغْرَفِ خَلْقِهِ
٥٥٠٧ - شَوْقاً إِلَيْهِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ الَّذِي
٥٥٠٨ - فَالشَّوْقُ لَذَّةٌ رُوحِهِ فِي هَذِهِ الدُّ
٥٥٠٩ - تَلْتَذُّ بِالنَّظَرِ الَّذِي فَارَتْ بِهِ
٥٥١٠ - وَاللَّهُ مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَلْتَذُّ م
٥٥١١ - وَكَذَلِكَ رُؤْيَاهُ وَجْهَهُ سُبْحَانَهُ
٥٥١٢ - لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ يُنْكِرُ ذَا وَذَا
٥٥١٣ - تَبَالُهُ الْمَخْدُوعُ أَنْكَرَ وَجْهَهُ
٥٥١٤ - وَكَلَامَهُ وَصِفَاتِهِ وَعُلوُّهُ
٥٥١٥ - فَتَرَاهُ فِي وَادٍ وَرُسُلُ اللَّهِ فِي

فصل

في كلامِ الرَّبِّ جَلَّ جلالُهُ مع أهلِ الجَنَّةِ

- ٥٥١٦ - أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ
٥٥١٧ - فَيَقُولُ جَلَّ جلالُهُ هَلْ أَنْتُمْ
٥٥١٨ - أَمْ كَيْفَ لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْنَا
٥٥١٩ - هَلْ نَمَّ شَيْءٌ غَيْرُ ذَا فَيَكُونُ أَفْ
٥٥٢٠ - فَيَقُولُ أَفْضَلُ مِنْهُ رِضْوَانِي فَلَا

- ٥٥٢١- وَيَذْكُرُ الرَّحْمَنُ وَاحِدَهُمْ بِمَا
٥٥٢٢- مِنْهُ إِلَيْهِ لَيْسَ نَمَّ وَسَاطِئَةٌ
٥٥٢٣- لَكِنْ يُعَرِّفُهُ الَّذِي قَدْ نَالَهُ
٥٥٢٤- وَيُسَلِّمُ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ
٥٥٢٥- وَكَذَلِكَ يُسْمِعُهُمْ لَدِيدَ خِطَابِهِ
٥٥٢٦- فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوهُ قَبْلَ ذَا
٥٥٢٧- هَذَا سَمَاعٌ مُطْلَقٌ وَسَمَاعُنَا أَلْ
٥٥٢٨- وَاللَّهُ يُسْمِعُ قَوْلُهُ بِوَسَاطِئَةٍ
٥٥٢٩- فَسَمَاعٌ مُوسَى لَمْ يَكُنْ بِوَسَاطِئَةٍ
٥٥٣٠- مَنْ صَيَّرَ النَّوْعَيْنِ نَوْعًا وَاحِدًا

فصل

في يوم المزيد وما أعد الله لهم فيه من الكرامة

- ٥٥٣١- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِشَأْنِهِمْ يَوْمَ الْمَزِيدِ
٥٥٣٢- هُوَ يَوْمٌ جُمِعَتْنَا وَيَوْمُ زِيَارَةِ الرَّ
٥٥٣٣- وَالسَّابِقُونَ إِلَى الصَّلَاةِ هُمْ الْأَلَى
٥٥٣٤- سَبَقُوا بِسَبْقِي وَالْمُؤَخَّرُونَ هَاهُنَا
٥٥٣٥- وَالْأَقْرَبُونَ إِلَى الْإِمَامِ فَهُمْ أَوْلُو الرُّ
٥٥٣٦- قُرْبٍ بِقُرْبٍ وَالْمُبَاعَدُ مِثْلُهُ
٥٥٣٧- وَلَهُمْ مَنَابِرٌ لَوْلُوٌّ وَزَبْرَجِدٍ
٥٥٣٨- هَذَا وَأَذْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَبِيٌّ م

- ٥٥٣٩ - مَا عِنْدَهُمْ أَهْلُ الْمَنَابِرِ فَوْقَهُمْ
٥٥٤٠ - فَيَرُونَ رَبَّهُمْ تَعَالَى جَهْرَةً
٥٥٤١ - وَيُحَاضِرُ الرَّحْمَنُ وَاحِدَهُمْ مُحَا
٥٥٤٢ - هَلْ تَذْكُرُ الْيَوْمَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ فِيهِ
٥٥٤٣ - فَيَقُولُ رَبِّ أَمَا مَنَنْتَ بِعَفْوِهِ
٥٥٤٤ - فَيَجِيبُهُ الرَّحْمَنُ مَغْفِرَتِي الَّتِي
مِمَّا يَرُونَ بِهِمْ مِنَ الْإِحْسَانِ
نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
ضَرَّةَ الْحَبِيبِ يَقُولُ يَا ابْنَ فُلَانِ
هُ مُبَارِزاً بِالذَّنْبِ وَالْعِضْيَانِ
قَدِمًا فَإِنَّكَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ
قَدْ أَوْصَلْتِكَ إِلَى الْمَحَلِّ الدَّانِي

* * *

فصل

في المطر الذي يُصيبُهُمْ هُنَاكَ

- ٥٥٤٥ - وَيُظِلُّهُمْ إِذْ ذَاكَ مِنْهُ سَحَابٌ
٥٥٤٦ - بَيْنَاهُمْ فِي النُّورِ إِذْ عَشِيَّتُهُمْ
٥٥٤٧ - فَتَظِلُّ تُمَطِّرُهُمْ بِطَيْبٍ مَا رَأَوْا
٥٥٤٨ - فَيَزِيدُهُمْ هَذَا جَمَالًا فَوْقَ مَا
تَأْتِي بِمِثْلِ الْوَابِلِ الْهَيَّانِ
سُبْحَانَ مَنْشِئِهَا مِنَ الرِّضْوَانِ
شَبَّهَ أَلَّهُ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
بِهِمْ وَتِلْكَ مَوَاهِبُ الْمَنَّانِ

* * *

فصل

في سوقِ الجنَّةِ الذي ينصرفون إليه مِنْ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ

- ٥٥٤٩ - فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ قَوْمُوا إِلَيَّ
٥٥٥٠ - يَأْتُونَ سُوقًا لَا يُبَاعُ وَيُشْتَرَى
٥٥٥١ - قَدْ أَسْلَفَ التُّجَّارُ أَثْمَانَ الْمَسِيءِ
٥٥٥٢ - لِلَّهِ سُوقٌ قَدْ أَقَامَتْهَا الْمَلَأُ
٥٥٥٣ - فِيهَا الَّذِي وَاللَّهِ لَا عَيْنٌ رَأَتْ
مَا قَدْ ذَخَرْتُ لَكُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ
فِيهِ فَخُذْ مِنْهُ بِلا أَثْمَانِ
عِ بَعْقَدِهِمْ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
يَكْفِي الْكِرَامَ بِكُلِّ مَا إِحْسَانِ
كَلَّا وَلَا سَمِعَتْ بِهِ أُذُنَانِ

- ٥٥٥٤ - كَلَّا وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ امْرِئٍ
٥٥٥٥ - فَيَرَى امْرَأً مِنْ فَوْقِهِ فِي هَيْئَةٍ
٥٥٥٦ - فَإِذَا عَلَيْهِ مِثْلُهَا إِذْ لَيْسَ يَدُ
٥٥٥٧ - وَاهًا لِذَا الشُّوقِ الَّذِي مَنْ حَلَّهُ
٥٥٥٨ - يُدْعَى بِسُوقِ تَعَارُفٍ مَا فِيهِ مِنْ
٥٥٥٩ - وَتَجَارِهِ مَنْ لَيْسَ تُلْهِيه تَجَا
٥٥٦٠ - أَهْلُ المُرْوَةِ وَالْفُئُوءَةِ وَالثُّقَى
٥٥٦١ - يَا مَنْ تَعَوَّضَ عَنْهُ بِالشُّوقِ الَّذِي
٥٥٦٢ - لَوْ كُنْتَ تَدْرِي قَدْرَ ذَلِكَ الشُّوقِ لَمْ
- فَيَكُونُ عَنْهُ مُعَبَّرًا بِلسَانِ
فَيُرْوَعُهُ مَا تَنْظُرُ العَيْنَانِ
حَقُّ أَهْلِهَا شَيْءٌ مِنَ الأَحْزَانِ
نَالَ التَّهَانِي كُلَّهَا بِأَمَانِ
صَحْبٍ وَلَا غِشٍّ وَلَا أَيْمَانِ
رَاتٍ وَلَا بَيْعٍ عَنِ الرَّحْمَنِ
وَالذِّكْرِ لِلرَّحْمَنِ كُلِّ أَوَانِ
رُكِرَتْ لَدَيْهِ رَايَةُ الشَّيْطَانِ
تَرْكُنْ إِلَى سُوقِ الكَسَادِ الفَّانِي

فصل

فِي حَالِهِمْ عِنْدَ رُجُوعِهِمْ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ

- ٥٥٦٣ - فَإِذَا هُمْ رَجَعُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ
٥٥٦٤ - قَالُوا لَهُمْ أَهْلًا وَرَحْبًا مَا الَّذِي
٥٥٦٥ - وَاللَّهِ لَأَزِدُّكُمْ جَمَالًا فَوْقَ مَا
٥٥٦٦ - قَالُوا وَأَنْتُمْ وَالَّذِي أَنْشَأَكُمْ
٥٥٦٧ - لَكِنْ يَحِقُّ لَنَا وَقَدْ كُنَّا إِذَا
٥٥٦٨ - فَهُمْ إِلَى يَوْمِ المَزِيدِ أَشَدُّ شَوْ
- بِمَوَاهِبٍ حَصَلَتْ مِنَ الرَّحْمَنِ
أُعْطِيْتُمْ مِنْ ذَا الجَمَالِ الثَّانِي
كُنْتُمْ عَلَيْهِ قَبْلَ هَذَا الآنِ
قَدْ زِدْتُمْ حُسْنًا عَلَى الإِحْسَانِ
مُجْلِسَاءَ رَبِّ العَرْشِ ذِي الرُّضْوَانِ
قَامَ مِنْ مُجِبِّ لِلحَبِيبِ الدَّانِي

فصل

فِي خُلُودِ أَهْلِ الجَنَّةِ فِيهَا وَدَوَامِ صِحَّتِهِمْ وَنَعِيمِهِمْ وَشَبَابِهِمْ وَاسْتِحَالَةِ المَوْتِ وَالنَّوْمِ عَلَيْهِمْ

- ٥٥٦٩ - هَذَا وَخَاتِمَةُ النَّعِيمِ خُلُودُهُمْ أَبَدًا بِدَارِ الخُلْدِ وَالرُّضْوَانِ

- ٥٥٧٠ - أَوْ مَا سَمِعْتَ مُنَادِيَّ الْإِيمَانِ يُحَدِّثُ
٥٥٧١ - لَكُمْ حَيَاةٌ مَا بَهَا مَوْتُ وَعَا
٥٥٧٢ - وَلَكُمْ نَعِيمٌ مَا بِهِ بُؤْسٌ وَمَا
٥٥٧٣ - كَلًّا وَلَا نَوْمٌ هُنَاكَ يَكُونُ إِذْ
٥٥٧٤ - هَذَا عَلِمْنَاهُ اضْطِرَارًا مِنْ كِتَابِنَا
٥٥٧٥ - وَالْجَهَنَّمَ شَيْخُ الْقَوْمِ أَفْنَاهَا وَأَفْ
٥٥٧٦ - طَرُودًا لِنَفْسِي دَوَامَ فِعْلِ الرَّبِّ فِي الْ
٥٥٧٧ - وَأَبُو الْهَيْدِيلِ يَقُولُ يَفْنَى كُلُّ مَا
٥٥٧٨ - وَتَصِيرُ دَارُ الْخُلْدِ مَعَ سُكَّانِهَا
٥٥٧٩ - قَالُوا وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَثْبُتْ لَنَا
٥٥٨٠ - فَالْقَوْمُ إِمَّا جَاحِدُونَ لِرَبِّهِمْ

فصل

في ذبح الموت بين الجنة والنار
والرد على من قال: إن الذبح لملك الموت أو إن ذلك مجاز لا حقيقة

- ٥٥٨١ - أَوْ مَا سَمِعْتَ بِذَبْحِهِ لِلْمَوْتِ بَيْدِ
٥٥٨٢ - حَاشَا لِدَا الْمَلِكِ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا
٥٥٨٣ - وَاللَّهُ يُنْشِئُ مِنْهُ كَبِشًا أَمْلِحًا
٥٥٨٤ - يُنْشِئُ مِنَ الْأَعْرَاضِ أَجْسَامًا كَذَا
٥٥٨٥ - أَفَمَا تُصَدِّقُ أَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ
٥٥٨٦ - وَلِذَلِكَ تَثْقُلُ تَارَةً وَتَخِفُ أُخْرَى

- ٥٥٨٧ - وَلَهُ لِسَانٌ كَقَمَّاتِهِ تُقِيمُهُ
- ٥٥٨٨ - مَا ذَلِكَ أَفْرَأَ مَعْنَوِيًّا بَلْ هُوَ أَلْ
- ٥٥٨٩ - أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنْ تَسْبِيحَ الْعِبَادِ
- ٥٥٩٠ - يُنْشِيهِ رَبُّ الْعَرْشِ فِي صُورِ تُجَا
- ٥٥٩١ - أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ حَوْلَ عَرْوِ
- ٥٥٩٢ - يَشْفَعْنَ عِنْدَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
- ٥٥٩٣ - أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ مُؤَنَسٌ
- ٥٥٩٤ - فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الْجَمِيلِ الْوَجْهِ فِي
- ٥٥٩٥ - أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَا تَثْلُوهُ فِي
- ٥٥٩٦ - يَأْتِي يُجَادِلُ عَنْكَ يَوْمَ الْحَشْرِ لِلرَّ
- ٥٥٩٧ - فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الَّذِي هُوَ شَا حِبُّ
- ٥٥٩٨ - أَوْ مَا سَمِعْتَ حَدِيثَ صِدْقٍ قَدْ أَتَى
- ٥٥٩٩ - فِرْقَانٍ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ بَيْنَهَا
- ٥٦٠٠ - شَبَّهُمَا بَعْمَامَتَيْنِ وَإِنْ تَشَأْ
- ٥٦٠١ - هَذَا مِثَالُ الْأَجْرِ وَهُوَ فَعَالَتْنَا
- ٥٦٠٢ - أَوْ مَا سَمِعْتَ بِقَلْبِهِ سَبْحَانَهُ الـ
- ٥٦٠٣ - فَالْمَوْتُ يُنْشِيهِ لَنَا فِي صُورَةِ
- ٥٦٠٤ - وَالْمَوْتُ مَخْلُوقٌ بِنَصِّ الْوَحْيِ وَالـ
- ٥٦٠٥ - فِي نَفْسِهِ وَبِنَشْأَةِ أُخْرَى بِقُدْ
- ٥٦٠٦ - وَكَذَلِكَ الْأَعْرَاضُ يَقْلِبُ رُبُّهَا
- ٥٦٠٧ - لَمْ يَفْهَمِ الْجُهَّالُ هَذَا كُفْلَهُ
- ٥٦٠٨ - فَمُكْذَّبٌ وَمُؤَوَّلٌ وَمُحَيَّرٌ
- ٥٦٠٩ - لَمَّا فَسَا الْجُهَّالُ فِي آذَانِهِ
- وَالْكَفَّتَانِ إِلَيْهِ نَاطِرَتَانِ
- مَحْسُوسٌ حَقًّا عِنْدَ ذِي الْإِيمَانِ
- وَذَكَرَهُمْ وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ
- دَلُّ عَنْهُ يَوْمَ قِيَامَةِ الْأُبْدَانِ؟
- شِ الرَّبِّ دُو صَوْتٍ وَدُو دَوْرَانِ
- وَيُذَكَّرُونَ بِصَاحِبِ الْإِحْسَانِ؟
- فِي الْقَبْرِ لِلْمَلْفُوفِ فِي الْأُكْفَانِ
- سِنَّ الشَّبَابِ كَأَجْمَلِ الشُّبَّانِ؟
- أَيَّامِ هَذَا الْعُمْرِ مِنْ قُرْآنِ
- خَمْسِينَ كَيْ يُنْجِيكَ مِنْ نَيْرَانِ
- يَا حَبِّذَا ذَلِكَ الشَّفِيعُ الدَّانِي
- فِي سُورَتَيْنِ مِنْ أَوَّلِ الْفُرْقَانِ؟
- شَرْقٌ وَمِنْهُ الضُّوءُ دُو تَبْيَانِ
- بِعَيَّائَتَيْنِ هُمَا لَذَا مَثَلَانِ
- لِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ بِالْإِحْسَانِ
- أَعْيَانٍ مِنْ لَوْنٍ إِلَى أَلْوَانِ؟
- خَلَّاقُهُ حَتَّى يُرَى بِعَيَّانِ
- مَخْلُوقٌ يَقْبَلُ سَائِرَ الْأَكْوَانِ
- رَةِ قَالِبِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَعْيَانِ
- أَعْيَانَهَا وَالْكُلُّ دُو إِمْكَانِ
- فَأَتُوا بِتَأْوِيلَاتِ ذِي الْبُطْلَانِ
- مَا ذَاقَ طَعْمَ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ
- أَعْمَوْهُ دُونَ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ

٥٦١٠- فَتَنَى لَنَا الْعِطْفَيْنِ مِنْهُ تَكْبُرًا وَتَبَخُّثُرًا فِي حُلَّةِ الْهَدْيَانِ
٥٦١١- إِنْ قُلْتَ: قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ فَيَقُولُ جَهْلًا: أَيْنَ قَوْلُ فُلَانٍ؟

فصل

في أن الجنة قيعان وأن غراسها الكلم الطيب والعمل الصالح

٥٦١٢- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّهَا الْقِيَعَانُ فَأَعْرِضْ
٥٦١٣- وَغَرَّاسُهَا التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ
٥٦١٤- تَبَا لَتَارِكِ غَرَسِهِ مَاذَا الَّذِي
٥٦١٥- يَا مَنْ يُقَرُّ بِذَا وَلَا يَسْعَى لَهُ
٥٦١٦- أَرَأَيْتَ لَوْ عَطَلْتَ أَرْضَكَ مِنْ غَرَا
٥٦١٧- وَكَذَلِكَ لَوْ عَطَلْتَهَا مِنْ بَذْرِهَا
٥٦١٨- مَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ
٥٦١٩- وَتَأْمَلِ الْبَاءَ الَّتِي قَدْ عَيَّنْتَ
٥٦٢٠- وَأَطْنُ بَاءَ التَّنْفِي قَدْ غَرَّكَ فِي
٥٦٢١- لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّاتِ أَضْلًا كَادِحٌ
٥٦٢٢- وَاللَّهُ مَا بَيْنَ النَّصُوصِ تَعَارُضٌ
٥٦٢٣- لَكِنَّ بَاءَ الْإِثْبَاتِ لِلتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ
٥٦٢٤- وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فَفَرَّقْ ظَاهِرٌ

فصل

في إقامة المأتم على المتخلفين عن رُفقة السابقين

- ٥٦٢٥ - بِاللَّهِ مَا عَذُرُ امْرِئٍ هُوَ مُؤْمِنٌ
 ٥٦٢٦ - بَلْ قَلْبُهُ فِي رُقْدَةٍ فَإِذَا اسْتَفَا
 ٥٦٢٧ - تَاللَّهِ لَوْ شَاقَتْكَ جَنَاتُ النَّعِيمِ
 ٥٦٢٨ - وَسَعَيْتَ جَهْدَكَ فِي وِصَالِ نَوَاعِمِ
 ٥٦٢٩ - جَلَيْتَ عَلَيْكَ عَرَائِمُ وَاللَّهِ لَوْ
 ٥٦٣٠ - رَقَّتْ حَوَائِشِيهِ وَعَادَ لِيَوْفِيهِ
 ٥٦٣١ - لَكِنَّ قَلْبَكَ فِي الْقَسَاوَةِ جَازَ حَدِّ م
 ٥٦٣٢ - لَوْ هَزَكَ الشُّوقُ الْمُقِيمِ وَكُنْتَ ذَا
 ٥٦٣٣ - أَوْ صَادَفَتْ مِنْكَ الصَّفَاتُ حَيَاةً قَدْ
 ٥٦٣٤ - حَوَّذَ لِعَيْنِي تَزْفُ إِلَيْهِ مَا
 ٥٦٣٥ - شَمْسٌ تُزْفُ إِلَى ضَرِيرٍ مُفْعَدٍ
 ٥٦٣٦ - يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَسْتَ رَخِيصَةً
 ٥٦٣٧ - يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَيْسَ يَنَالُهَا
 ٥٦٣٨ - يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ مَنْ ذَا كَفَّوْهَا
 ٥٦٣٩ - يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ سُوقُكَ كَاسِدٌ
 ٥٦٤٠ - يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ أَيْنَ الْمُشْتَرِي
 ٥٦٤١ - يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ هَلْ مِنْ خَاطِبٍ
 ٥٦٤٢ - يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَصْبِرُ أَل
 ٥٦٤٣ - يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَوْلَا أَنَّهَا
 ٥٦٤٤ - مَا كَانَ عَنْهَا قَطُّ مِنْ مُتَخَلِّفٍ
- حَقًّا بِهَذَا لَيْسَ بِالْمُقِظَانِ
 قَ قَلْبِي سُهُ هُوَ حُلَّةُ الْكَسْلَانِ
 م طَلَبَتْهَا بِنَفَائِسِ الْأَثْمَانِ
 وَكَوَاعِبِ بِيضِ الْوُجُوهِ حَسَانِ
 تُجَلِي عَلَى صَخْرٍ مِنَ الصَّوَانِ
 يَنْهَالُ مِثْلَ نَقَامٍ مِنَ الْكُثْبَانِ
 الصَّخْرِ فَالْحَنَسَاءُ فِي أَشْجَانِ م
 حَسٌّ لَمَّا اسْتَبَدَلْتَ بِالْأَدْوَانِ
 بٍ كُنْتَ ذَا طَلَبٍ لِهَذَا الشَّانِ
 ذَا حَيْلَةَ الْعَيْنِ فِي الْعَشِيَانِ؟
 يَا مَعْنَةَ الْحَسَنَاءِ بِالْعُمِيَانِ
 بَلْ أَنْتِ غَالِيَةٌ عَلَى الْكَسْلَانِ
 فِي الْأَلْفِ إِلَّا وَاحِدٌ لَا اثْنَانِ
 إِلَّا أَوْلُو التَّقْوَى مَعَ الْإِيمَانِ
 بَيْنَ الْأَرَاذِلِ سِفْلَةَ الْحَيَوَانِ
 فَلَقَدْ عَرِضْتَ بِأَيْسَرِ الْأَثْمَانِ
 فَالْمَهْرُ قَبْلَ الْمَوْتِ دُوْ إِمْكَانِ
 حُطَّابٌ عَنْكَ وَهُمْ دُوْوَ إِيْمَانِ؟
 حُجِبَتْ بِكُلِّ مَكَارِهِ الْإِنْسَانِ
 وَتَعَطَّلَتْ دَارُ الْجَزَاءِ الثَّانِي